حقيقة العلمانية

وضلالات العلمانيين

الفهرس

مقدمة

الفصل الأول هل العلمانية إذا هي الحل

الفصل الثاني هل الدين يكتسب بالوراثة

الفصل الثالث الاقتصاد بين الدين وعلمانية د. خالد منتصر

الفصل الرابع السياسة بين الدين والعلمانية

الفصل الخامس المواطنة بين الدين وعلمانية د. خالد منتصر

الفصل السادس حقوق الإنسان بين الدين والعلمانية

الفصل السابع فصل الدين أم إلغاء الدين

الفصل الثامن الرد على ضلالات د. خالد منتصر بخصوص تعارض الدين والعلم أو دحض العلم للدين

الفصل التاسع الرد على محاربة د. خالد للشريعة

الفصل العاشر معارك علمانية مصطنعة

الفصل الحادي عشر وما تشاءون إلا أن يشاء الله

الفصل الثاني عشر بل نحن نحتاج إلى الدين لا إلى العلمانية ،العلمانية هي المشكلة والدين هو الحل

مقدمة

في أواخر حكم مبارك أصـــبح تعبير الدولة المدنية ،هو المقابل لمصـــطلح الدولة الدينية وكانت الصـيحة التي يطلقها هؤلاء الذين يسـمون أنفسـهم بالنخبة المثقفة ، هي نريدها دولة مدنية لا دولة دينية ،وكنا في السـابق نعلم أن الدولة المدنية هي المقابل للدولة العسـكرية وهي الدولة التي يحكمها العسكر حكما بوليسيا قمعيا ديكتاتوريا ، أما الدولة الدينية فالمفروض أنها الدولة التي يحكمها رجال الدين ،والغريب أن مصـر وقتها وفي كل وقت لم تكن معاناة شـعبها أبدا سـببه قهر يمارسـه رجال الدين أو إرغام على اتباع توجيهات أو أوامر يفرضـها هؤلاء تسـبب تراجع البلد حضـاريا ،كان صـانعوا المشـاكل ومعرقلوا التقدم ومحتلوا كل المراكز السياسية والسيادية المؤثرة أبعد ما يكون عن الدين ،كانت مؤهلات المنصب إما رتبة عسكرية لواء غالبا او قضـائية مسـتشـار ،أو حتى اسـتاذ جامعي ،ومن أول رئيس للجمهورية حتى الوزراء والمحافظين ورئيس مجلس الشعب ،ولجنة السياسات ورؤساء المجالس المحلية ليس فيهم رجل دين ،كان منصب رجل الدين يقتصر على شيخ الأزهر أو المفتي أو وزير الأوقاف وكلها مناصب لا ناقة لها ولا جمل في التخلف والتأخر الذي كنا نرزح تحت وطأته ،كان الغاز يباع لإسـرائيل مدعوما والمصـريون يهلكون في طوابير البحث عن أنبوبة ،الخدمات بالغة التدني ،الصـحة التعليم ،الزراعة ،الصـناعة ،نستورد القمح الذي لا يصـلح للاستهلاك الآدمي والمبيدات المسـرطنة ونروي المزروعات بالصـرف الصـحي دون معالجة وكل هذا ولا تكف صـيحات هؤلاء عن المطالبة بدولة مدنية لا دينية ،وكأن الدين ورجاله هم المسـئولون عن كل هذا التردي ،هذا على الرغم من أنه عندما ثار الناس كان شعارهم يسقط حكم العسكر ولم يقل أحد يسـقط حكم رجال الدين ،عامة الشـعب المطحون كانوا يدركون جيدا أين تكمن المشـكلة وأين الحل ،أما هؤلاء المتثاقفون الذين عينوا أنفسهم أوصياء على العامة فلا يرون سوى الدين مسئولا عن كل هذه المعاناة وعلى ذلك فهم يريدون تنحية الدين

ولكن الأمر تطور أكثر من هذا فأصـبحت الصـيحة ليسـت دولة مدنية ،مقابل دولة دينية ولكن المناداة بدولة علمانية ،والحجة هي التقدم والرقي ،والعدالة ،والمسـاواة والمواطنة وحقوق الإنسان ،لماذا حسب زعمهم لأن العلمانية هي التي تحكم العقل في إدارة شئون البلاد ،الأفكار العلمانية هي نتاج العقل المتحرر الذي يصـل إلى المعلومة عن طريق المشـاهدة والتجربة ، والدراسة والاحتكاك بالآخرين ممن سبقونا في الوصول إلى أفضل السبل في التعامل مع هذا

العالم ، ثم النتيجة بعد ذلك قابلة للتعديل والتنقيح للوصـول إلى الأفضـل لا تجمد ،ولا مسـلمات مســبقة ،ولا أفكار مقدســة غير قابلة للتعامل معها ولا اتهام كل من يخالفها بالكفر والخروج على الله وأحكامه ،العلمانية إذا هي احترام العقل ،هذا الجهاز الذي يعلو به الكائن البشري على سائر قاطني هذا الكوكب وعلى هذا سأقوم بتوجيه هذا السؤال

أيها العلماني هل حقا تحترم عقلك أم تقدس أهواءك ؟

ليس المقصـــود من هذا العنوان أني أتهم جميع العلمانيين بأن دافعهم الحقيقي لتبني هذه الأفكار العلمانية هو اتباع ما يتماشـــى مع أهوائهم ، حتى لو ظنوا غير ذلك وأن الســبب وراء رفضـــهم الاعتراف بالثوابت الدينية الموروثة ليس لأنها تخالف العقل كما يدعون ، ولكن لأنها تتعارض مع هوى نفوسهم .

الحقيقة أني على الرغم من ثقتي بأن هذا هو حال الكثيرين منهم ، إلا أني مع ذلك لا أســتطيع أن أعمم ، البعض أيضـــا مقتنع أن ما يتبناه من مواقف وأفكار هو نتاج العقل المتحرر من القيود الذي يرى أنه أحد فضائله

أنا هنا أوجه النداء إلى كل إنســـان ممن يدينون بالعلمانية ويدافعون عنها بحماســـة ، أن يتحرى الحقيقة بداخله هل المشكلة مع الآخرين الذين لا يتوافقون معه هو في اختلاف نظرة وتعامل كليهما مع العقل ، هل هو فعلا إعلاء لقيمة العقل ،أم أن تحت هذا الدفاع المسـتميت عن العلمانية هو ميل مقصود او غير واعي إلى الاستنصار للأفكار التي تتوافق مع هواه ، وأعني بوضوح وعلى وجه التحديد فكرة الدين والإيمان بالله وما يترتب عليه من قيود في التصـرفات ، ومن خشـية المجهول بعد الموت ، الحقيقة أن كل إنسان حالة خاصة ، كل إنسان له طريقة تفكيره ونظرته وإن كان هناك أمور تجمع العلمانيين كلهم وأهمها النظرة الدونية للدين وأهله التي تصـــل كثيرا إلى حد العداء السافر أحيانا والمخفي أحيانا أخرى .

ولذلك فنحن في حاجة ماسة قبل كل شيء إلى وضع الامور في نصابها وتسمية الاشياء بمسمياتها .

هنا ســـأقوم بإثبات أن هدف الدكتور خالد منتصـــر لا يتوقف على فكرة تطبيق المقاييس العلمية والعلمانية لإدارة شئون البلاد ولكن في الحقيقة محاولة إلغاء الدين نفسه كدين وشعائر تمارس من حياتنا ، أي نشـــر الإلحاد ، عن طريق تفنيد العلم لكل عناصـــر الدين من وجود إله أو مصـــداقية الكتاب المقدس ، أو نبوة الأنبياء أو حتى فكرة وجود مســـلمات غيبية التي هي مفهوم الدين ،وعلى ذلك كان أمام د. خالد وحزبه معركتان لا معركة واحدة لابد من خوضهما

المعركة الأولى هي إبعاد كل ما له صـلة بتعاليم الدين عن شـئون البلاد ، وهذا يعني التخلص من دور الدين بالكلية في حياتنا ، حيث يعتبر الدين منهج حياة ، أي لا يقتصـــر فقط على إيمان وشـعائر ومناسـك ، ولهذا كان في الدسـتور مادة تنص على ان الشـريعة الاسـلامية أسـاس التشـريعات ، كما تحترم الشـرائع الاخرى بالنسـبة لأصـحابها ، لأنه المفروض أن الدولة تحترم مقدســـات مواطنيها ، وليس من المفترض أن تحاربهم أو تحول دون تمكينهم من عبادة الله وطاعة أوأمره كما يعتقدون ، وطبعا هذه المادة كانت دائما موضـوع معارضـة شـديدة من هؤلاء العلمانيين والذين يصفون أنفسهم بالنخبة ، ولا تتوقف محاولاتهم أبدا لإلغائها وكالعادة يعتبرونها دليل تخلف ، ولكن ليس هذا موضـــوعنا ، المهم ما يريده هؤلاء العلمانيون هو ألا يكون للاعتبارات الدينية أي دور في شـئون الدولة او حتى سـلوكياتنا الشـخصـية ولذا فإن الدكتور خالد منتصـر لا يكف عن الصـاق تهمة الدولة الدينية المتخلفة بالطبع باي تصـرف او إجراء يضـع للدين اي اعتبار ،وعلى هذا فهو دائما يقارن بين الدولة الدينية التي يزعمها من خلال هذا الفهم ، وبين الدولة العلمانية الرشيدة ولنستمع الى كلامه

" تعد العلمانية من أكثر الكلمات في قاموسـنا اللغوي تعرضـا للظلم البين والخلط الشـديد عن عمد أو عن جهل وهي قد أصبحت وصمة عار لكل من يتلفظ بها ، أما من يتجرأ بأن ينتسب إليها فقد اقتربت رقبته من مقصـــلة التكفير وأصـــبحت هدفا لحد الردة ، وكيف لا وهو منكر لما هو معلوم من الدين بالضرورة في رأي دعاة الدولة الدينية "

"السـبب في هذا الموقف المعادي للعلمانية هو الخلط بينها وبين الإلحاد أما السـبب الأقوى فهو أن العلمانية ستسحب البساط من تحت أقدام المستفيدين من دعوة المنادين بالدولة الدينية والمنظرين لها ، فهي تدعو لحوار الأفكار على مائدة العقل وتعريتها من رداء القداسـة التي يغطيها بها هؤلاء الدعاة للوصول إلى أهدافهم وهذا كله يجعل من المسألة مسألة بشرية بحتة ، فإذا كان حديثهم عن البركة في الاقتصـاد الإسـلامي حولته العلمانية إلى حديث عن خفض نسـبة التضـخم وزيادة الدخل القومي ، وإذا كان كلامهم عن حكم الله حولته العلمانية إلى حديث عن الديمقراطية والدســـتور لتنظم العلاقات بين

البشر ، فالله جل جلاله لا يحكم بذاته ولكن عن طريق بشر أيضا لهم أهواؤهم ومصالحهم التي لابد من تنظيمها ، وإذا كانت قضيتهم هي قراءة الماضي فقضية العلمانية هي صياغة المستقبل "
وبداية نتفق على الأصل اللغوي لكلمة العلمانية فالعلمانية هي المقابل العربي لكلمة

" secularism في الإنجليزية أو Seculaire في الفرنسية

وأصول الكلمة تعني يستولد أو ينتج ، أو يبذر أو يستنبت من الاهتمامات الدنيوية الحياتية ، ومن هنا فإنها استخدمت كصفة أيضا لأصحاب هذه الاهتمامات الدنيوية ،وللكلمة أيضا دلالة زمنية (saeculum) في اللاتينية بمعنى القرن حيث إنها تصف الأحداث التي تقع مرة واحدة في كل قرن ، فالدقة الكاملة لترجمتها كما يشير د. فؤاد زكريا هي الزمانية ،إن العلمانية ترتبط بالأمور الزمانية ، أي بما يحدث في هذا العالم وعلى هذه الأرض ، في مقابل الأمور الروحانية التي تتعلق بالعالم الآخر ، وقد كان المترجمون الشوام قديما يستخدمون العلمانية كترجمة للكلمة الفرنسية LAIQUE أو الإنجليزية LAIQUE وهي المأخوذة عن اللاتينية LAICU أي الجماهير العادية آو الناس أو الشعب الذين لا يحترف الكهانة تمييزا لهم عن رجال الدين ،و المفهوم الثاني وإن كان لا يستخدم الآن ، يؤكد المفهوم الثاني ولا ينفيه ، فاللفظ قد تطور ليعبر عن التحول من حكم الإكليروس (الكهنوتي) إلى السيطرة المدنية (حكم الرجال العاديين) المعنيين بالشئون الدنيوية (الزمانية) هذا عن المعنى اللغوي والذي كما رأينا لا يعني الإلحاد من قريب أو بعيد "

" العلمانية ليست هي المقابل للدين ولكنها المقابل للكهانة"

" العلمانية هي التي تجعل السلطة السياسية من شأن هذا العالم والسلطة الدينية شأنا من شئون الله "

" العلمانية هي في جوهرها ليست سوى التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين "

" العلمانية لا تجعل الدين أساسا للمواطنة وتفتح أبواب الوطن للجميع من مختلف الأديان ، هذه هي العلمانية دون زيادة أو نقصان ، فهي لم ترادف في أي زمان أو مكان نفي الأديان "

أسس الدولة العلمانية تتمثل فيما يلي :

"حق المواطنة هو أساس الانتماء بمعنى أننا جميعا ننتمي إلى مصر بصفتنا مصريين مسلمين كنا أم أقباطا "

"إن الأساس في الحكم الدستور الذي يساوي بين جميع المواطنين ويكفل حرية العقيدة دون محاذير أو قيود"

(جـ) "أن المصلحة العامة والخاصة هي أساس التشريع "

(د) "أن نظام الحكم مدني يستمد شرعيته من الدستور ويسعى لتحقيق العدل من خلال تطبيق القانون ويلتزم بميثاق حقوق الإنسان "

"العلمانية هي محاولة في سبيل الاستقلال ببعض مجالات المعرفة عن عالم وراء الطبيعة وعن المسلمات الغيبية "

"وحين نرفع شعار العلمانية هي الحل فلابد أن ندفع ثمن هذا الشعار كما دفعه الغرب منذ القرون جهدا ودماء ، فالعلمانية لا تقدم على طبق من ذهب أو تهبط هبة من السماء ، وأعتقد أننا ندفع الثمن حاليا ، فإما أن نشتري المستقبل أو نقع غرقى ديون الماضي إلى أبد الآبدين "

المعركة الثانية التشكيك في مفهوم الدين نفسه كدين وبعيدا عن علاقته بالأمور الدنيوية ،التشكيك في العقيدة ، وفكرة الإيمان بالله ومصداقية الكتاب المقدس والنبوة والتشريعات والسبيل الى ذلك هو خوض معركة مصطنعة بين الدين والعلم كانت هي حقيقة هدف د. خالد من تأليف كتاب وهم الإعجاز العلمي ،والمقالات التي ينشرها في الصحف ودفاعه المستميت عن دارون ونظريته

ما الفرق بين الملحد والعلماني ؟

وأعني الفرق على اساس ما يعلنه كل فريق ، وليس حقيقة الفرق بينهما ،الملحد انسان يعلن رفضه المطلق لفكرة وجود الله صراحة ، ويدافع عنها بنفس الاسلوب ، فكرة احترام العقل والعلم ، ولذلك ينكر موضوع الدين ويعتبره متعارضا مع العلم ومنافيا للعقل يسخر من أهله ، وينظر إليهم نظرة المخدوعين في امر وهمي المؤمنين بالضلالات .

[1]أما العلماني ، وأعني به تحديدا هؤلاء الداعين إلى العلمانية في بلادنا ،الذين لا يقصـــرون في استخدام وسائل الاعلام المقروءة والمرئية في الدفاع والدعوة والترويج والتبشير بعلمانيتهم ومن أنشطهم في ذلك د. خالد منتصر ،الطبيب والاعلامي المعروف ، والذي سأتخذه نموذجا في مناقشة أفكاره ، فيزعمون ان قضـيتهم ليس إلغاء فكرة الدين ولكن فصـل الدين عن كل ما عداه من أمور الدنيا ، عن العلم ، عن السياسة ، وعلى ذلك فدكتور خالد منتصر مثلا يشكو من سوء فهم الناس للعلمانية وخلطها بالإلحاد وتعرض العلمانيين لمقصـلة التكفير حسـب تعبيره ،الفكرة التي يبرر بها للدعوة إلى دولة علمانية ، أن التقدم في كل المجالات هو رهين التطبيق العلماني ، وأن التخلف هو قرين الدين الذي يوظف في غير مهمته الاصلية

والحقيقة أني أرى تناقضا واضحا بين هذا الزعم وبين مالا يقصر هو نفسه في إعلانه ، وسألتزم حرفيا بما يصرح به لنرى حقيقة ما يتبناه من افكار

لماذا يوضع الدين في مقابل العلمانية ؟ لماذا يقال الدولة الدينية مقابل الدولة المدنية ما هو المقصود بالدولة الدينية وما هو المقصود بالدولة المدنية ، هل نص الدستور على أن الشريعة الاسلامية هي مصدر التشريع الرئيسي ، فيه شيء من التحكيم غير المبرر للدين في الحياة العامة

الطريقة التي يتم بها الترويج للعلمانية ، عن طريق هؤلاء المدافعين عنها أمثال د.خالد منتصـــر ، تفتقر الى النضـج الفكري أو الموضـوعية ، طريقة يستطيع أي انسـان أن يستخدمها للترويج لأي فكرة في مقابل فكرة أخرى : مثل

هل تريد ان تعتمد فرصـتك في الالتحاق بوظيفة على كفاءتك ، إذا هي العلمانية أو اليسـارية ، لكن الدين هو الذي يجعل هذا الالتحاق يعتمد على دينك ، حتى لو لم تمتلك أية مؤهلات شـــخصـــية للوظيفة ، لذا فالعلمانية تعني تكافؤ الفرص والمواطنة ،والمسـاواة والعدل ، هي التي تجعل الجميع يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات بصرف النظر عن دينهم ، أما الدين فيعني أن هناك مفاضلة بين الناس على أساس الدين .

العلمانية تعني استخدام الاسـلوب العلمي في إدارة الامور ، في الاقتصـاد تعني تقليص التضـخم ، ايجاد فرص عمل ومكافحة البطالة وكل ما يحقق التقدم ، أما الدين فيعني الاعتماد على البركة والدروشة والحديث عن البنوك الاسلامية في مقابل البنوك الربوية !

11

وفي الصحة تعني استخدام الأسلوب العلمي في محاربة المرض وتثقيف المواطن ، أما الدين فيعني الاستشفاء بجناح الذبابة ، وبول الابل والحجامة وتعطيل قانون نقل الاعضاء

في السياسة ، العلمانية معناها أن نصبح دولة ديمقراطية متحضرة ، الشعب يحكم نفسه بنفسه ، أما في الدولة الدينية ، الحاكم يستخدم الدين في اعطاء نفسه وضع ممثل الله على الارض مثل المنصور الذي قطع يد بن المقفع لأنه عارضه وشواها وأكلها له !

العلمانية هي العلم والتقدم والمساواة .والعدل وكل شيء جميل ،تحكيم العقل والعلم اما الدين فهو إضفاء رداء القداسة على كل تصرفات الحاكم

وحتى على المستوى الشخصي ، أن تحكم الدين في معاملاتك معناها انك تدين الناس وتنصب نفسك قيما عليهم ، تحاكمهم وتقيم عليهم الحدود

أما العلمانية فهي التي تجعلك تتصرف كإنسان متحضر ، محترم

العلمانية تقف على مسافة متساوية بين كل الاديان وتحترم الجميع ، وعلى ذلك فالحقوق متساوية والواجبات أيضا والجميع سواسية أمام القانون ،أما الدين فهو الذي يجعل لك وضعا خاصا فوق الآخرين ، في ظل نظرة معادية لكل من لا يشاركونك دينك تجعلك لا ترى لهم حقوقا مثلك ، هناك إذا تفرقة بين الناس على أساس دينهم

العلمانية تعني الفصل التام بين العلم والدين وبين الدنيا وأمورها والدين ، فمن يرد أن يعبد الله فليفعل ذلك فقط في المسجد ، فليس للدين شان بالأمور الدنيوية مثل البنوك أو مسابقات الجمال ، أو السياسة ،

العلمانية تحترم العقل ولا تعلي سواه وتحكمه في كل مناحي حياتنا ، أما الدين فيلغي العقل ، لأنه يعتمد على الإيمان الاعمى أو بالوراثة ، على التعامل من خلال مسلمات لا تقبل الجدل ،وعلى ذلك فالعلمانية هي التي تحقق التقدم والتحضر ولذا فلابد أن ندفع الثمن والتضحيات من أجل ترسيخ هذه العلمانية مثلما فعلت أوروبا فأصبحت المسافة بيننا وبينها قرون ، وإلا ظللنا(نقبع في هذا الجهل والتخلف الى أبد الآبدين)كما يقول الدكتور خالد

باختصار العلمانية تعني كل صفة جميلة محمودة ، والدين هو كل صفة منفرة مكروهة ، ثم يأتي في النهاية ويقول إن العلمانية هكذا من أكثر الكلمات تعرضا للظلم لانهم يجعلونها مرادفة للإلحاد

أو هي في مقابل الدين ، وفي الحقيقة العلمانية تحترم جميع الاديان وهي المقابلة للكهنوت وليس الدين ، هذا ما يقولون

وبعد أليس بإمكان اي شـــخص أن يعكس هذا التوصـــيف ، فيجعل الغباء ، وقصـــر النظر والجهل قرين العلمانية ، بينما التحضـر والتقدم هو الذي يتحقق في ظل فهم حقيقي للدين ، وهذا ما سـأفعله إن شـاء الله ولكن ليس على طريقة الدكتور خالد منتصـر الطفولية ، ليس بطريقة رفع كل ما أتفق معه من أشـخاص أو مبادئ الى أعلى عليين ، وخسـف كل ما ومن أختلف معه الى أسـفل سـافلين ،سأفعل من خلال مناقشة موضوعية ، ناضجة ولكن قبل ذلك : علينا أن نسأل :

ما هي العلمانية وما هو الدين ؟

لماذا تكون دائما من متطلبات الدعوة إلى العلمانية والترويج لها عقد هذه المقارنات بين نظام دولة تحكمه المقاييس الدنيوية كهدف وحيد نهائي لهذه الحياة وكقوانين ونظم طبيعتها كلها وضـــعية ،وليس للاعتبارات الدينية أي شـــأن ،وبين آخر يتعامل مع هذه الاعتبارات الدينية بتقدير واهتمام وإعمال لها ؛

و لماذا مع ذلك فالادعاء لا ينتهي بأن العلمانية لا تحارب الدين ولا تقف في مواجهة ضـــده ، لكي نتفهم هذه الدعوة إلى اقامة دولة علمانية يجب أن ننظر بعمق الى ما تعنيه العلمانية تحديدا وما يعنيه الدين .

ما أفهمه من تعبير العلمانية هو ما يخص هذا العالم الذي نعيش فيه ،أما الدين فيتعلق بالعالم الآخر الذي ســـننتقل إليه بعد مغادرة هذا العالم ويتطلب من المؤمنين به إيمانا بإله و بحياة اخرى وبعث ونشـــور وحســـاب وثواب وعقاب ،وعلى ذلك فالمنطق الذي يتحدث به هؤلاء الداعون إلى النظام العلماني ،أن الدين شـــأن بين العبد وربه لا دخل له بنظام الدولة ولا قوانينها ،وأن إدخال العنصـــر الديني في الحكم والسياسة سيؤدي حتما الى تدهور حال الدولة كما أنه سيضر بسمعة الدين نفسه الذي من المفروض أنه يعلو على هذه الاعتبارات الدنيوية .

وعلى ذلك فالدعوة أن تكون الاعتبارات والمقاييس التي نتعامل بها مع شـــئون هذا العالم مقاييس ونظم علمانية بمعنى قوانين وضـــعية ليس للدين شـــأن بها هي دعوة منطقية تماما كما يرونها ،ما شأن للدين بالسياسة ،ما شأن الدين بالبنوك أي الاقتصاد طالما أن السياسة والاقتصاد هي أمور يراها هؤلاء لا تخص إلا هذا العالم؟ ،فهل فعلا هذا الكلام صـــحيح ،عميق وهل هذا ما يقتنع به

فعلا ويعمل مخلصا على إرساء جذوره في مصر هؤلاء الذين سأتخذ دكتور خالد منتصر نموذجا لهم لنشاطه الزائد في الترويج لدولة مصرية علمانية ؟

هل الدين حقا ليس له شأن بأمور هذا العالم من سياسة واقتصاد ،وصحة وتعليم ...الخ وعلى ذلك فإدخال الاعتبارات والمقاييس الدينية في هذه المجالات الدنيوية سيضر بمصلحة البلاد ويؤدي إلى التخلف والتراجع الحضـــاري ، هل لأن هذه الامور يجب أن تدار من خلال نظام وعلم وتخطيط ورؤية وخبرات ،بينما المقاييس الدينية هي عبارة عن أفكار تخص عالما آخر لا علاقة لها بكل هذا ،فليس من العقل أن يلبسها البعض رداء القداسة ويفرضها فرضا على نظم الدولة ، وهل لأنها لها طبيعة لا تقبل الاختلاف معها فستكون النتيجة بلد تدار بالدروشة ،والسذاجة والسطحية ،ولنناقش هذا الكلام بالمنطق

أولا إذا كان الدين يخص علاقتنا بالله ويتعلق بحياة أخرى غير الحياة التي نحياها فهل هو مجرد إيمان بكل هذه الغيبيات ،هل هو مجرد ركعتين نؤديهما في المسجد ؟ الحقيقة أن الدين يخبرنا ان وضـعنا في هذه الحياة الاخرى التي يعتقد المؤمنون أو المسـلمون والمسـيحيون الذين هم الغالبية الساحقة في هذا البلد بأبديتها لا يعتمد إلا على سلوكياتنا في هذه الدنيا ،الدنيا ليست منفصلة عن الآخرة ولكن الدنيا كلها من أجل الآخرة ،وعلى ذلك فكرة الدعوة الى تنحية الدين ومقاييســه جانبا كما يستميت د. خالد وحزبه في ترويجها هي ضربة موجهة الى الدين نفسه ،ومن ينادي بها هو في الحقيقة يروج أولا لفكرة تعارض التوجيهات الدينية مع المصـــالح الدنيوية وثانيا يدعو إذا افترضنا حسن النية ، إلى إعلاء الاعتبارات الدنيوية على الاعتبارات الدينية متعللا بمصلحة الحياة في هذا العالم ،وعلى ذلك لدينا ادعاءان علينا أن نبحثهما لنرى أي الادعائين هو الأقرب إلى العقل والمنطق والواقع :

ادعاء أن الدين اصلا ليس له شأن بإدارة هذا العالم وبالتالي فرض الاعتبارات الدينية سيضر بكل أموره ،وادعاء يقول أن الصـــلة وثيقة جدا بين الدين وبين كل أمور الدنيا وعلى ذلك فالدعوة الى العلمانية هي ضـــربة موجهة الى الدين وليس كما يزعم أصـــحابها ،وهل تحكيم الدين في أمور السياسة والاقتصاد وغيرها من أمور هذا العالم هو مع أو ضد المصلحة الدنيوية والتقدم والرقي ومسايرة ركب الحضارة ، وهل التخلف الذي نعايشه في كل حياتنا هو فعلا قرين تحكيم الدين في شئون الدولة وعلى ذلك يجب أن نحذو حذو الدول التي تخلصت من سيطرة الدين وبذلك انطلقت كالصـــاروخ ،وهل علينا أن نبذل في ســبيل تحقيق ذلك كل غالي ونفيس لأن العلمانية هذا الهدف

الأسمى لا تأتي هكذا بدون تعب ومجهود ،هذا وإلا وقعنا أسرى الماضي إلى أبد الآبدين كما يقول د. خالد منتصر ،ولكن

انا هنا لا يهمني ما يدين به حقيقة د.خالد منتصـــر وأمثاله ، هو مؤمن أو ملحد ، أيا كان ليس هذا شـأني ولا موضـع اهتمامي في قليل او كثير ، هذا شـان بينه وبين الله يتحمل تبعاته وحده ، ولكن الذي يهمني بشـدة هو الرسـالة التي لا يتوانى ولا يكف عن إرسـالها بكل همة ونشـاط ،هو إنسـان صـاحب رسـالة لا يكتفي بما يؤمن ، ويقبع بعيدا ولكنه يروج ، ويدعو ويبشـر ، من خلال قلمه ، مقالات في الصـحف أو كتب ،من خلال الانترنت ، حيث له موقع بالإضـافة الى الفيسـبوك ، من خلال ظهوره الـدائم في مختلف القنوات على التليفزيون ، من خلال المؤتمرات التي يعقـدهـا ويتحدث فيها ويسهب !

انا هنا يهمني ماذا يريد مني في هذه الرســـالة ، إلام يدعوني ؟، ما أراه وما فهمته من متابعتي الكثيفة له أنه يتعرض للدين من الزاويتين ، من زاوية كونه دين عقيدة وإيمان وتشـــريعات ، ومن ناحية دورة في حياتنا لأنه منهج حياة ، الطريقة التي يدخل بها على الدين نفسه ليتناول آيات القرآن نفسها بالتحليل والتعليق هو أنه لا يجوز مزجه - بالعلم ويتخذ من موضوع الاعجاز العلمي السبيل لهذا الغرض ، وهذا التناول اكثر ما هو في كتابه وهم الإعجاز العلمي الذي لم يكتف بتأليفه ولكنه يعقد اللقاءات مع العلمانيين إخوانه لمناقشـة ما جاء به من افكار تنويرية طبعا وتثقيفية قيمة ! ، كما أنه يهاجم بشدة ما أسماه التسويق "هكذا يقول ! "العلمي للعبادات أي استخدام العلم للترويج للعبادة مثل الصـــيام ولا يكتفي بذلك الاعتراض ولكنه يقدم ما يرى أنه يدحض الفكرة ، أما موضـــوع اعتراضـــه على كون الدين منهج حياة فهو يواجهه بفكرة العلمانية مبينا ومركزا على الفروق الفظيعة التي يراها بين دولة تدار من خلال مقاييس واعتبارات دينية لا يرى فيها إلا دروشـــة وسـذاجة ، ودولة علمانية رشـيدة تتبع الأسـلوب العلمي ، وتحقق العدل والمسـاواة والمواطنة ، وإعلاء حقوق الانسان كأفضل ما يكون .

الحقيقة ان ما سوف أثبته هنا وبالأدلة من كلامه اولا :أنه لا موضوع فصل الدين عن العلم وفصل وتنزيه القرآن عن التفسـيرات العلمية ، ولا موضـوع العدل والمسـاواة والمواطنة والتقدم هو ما يشـغل باله ، ولكن نشـر الالحاد بكل قوة والتوسـل بهذه العلل والأسـباب لبلوغ هذا الهدف هذا ما

أفهمه من الرسـالة التي يبعث بها إلي ، وثانيا سـأقوم بدحض كل الادلة والتفسـيرات ، والتناولات التي قام بها لتحقيق هذا الهدف ، وأبين كم الضـحالة والسـذاجة الفكرية والجهل الديني العلمي أيضـا التي يتم بها هذا التناول، والله ولي التوفيق

الفصل الأول

هل العلمانية إذا هي الحل !؟

مجموعة مقالات بعنوان "لا يا دكتور نحن نحتاج أيضا إلى العلمانية " يسهب فيها في شـرح لماذا نحن نحتاج إلى العلمانية كتبها د. خالد منتصـر الذي يروج للعلمانية ويسـتميت في الدفاع عنها ردا على مقال للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح المنتمي إلى جماعة الإخوان المسـلمين ،سـأسـتعرض آراءه التي قدمها في هذه المقالات ،ثم أقوم بالرد عليها

ردا على مقولة د. أبو الفتوح أن الاســـلام لا يحتاج الى العلمانية التي كانت احتياج اوروبي املته ظروف العصـور الوسـطى وأن الإسـلام لا يعرف القمع أو مصادرة الرأي قال

1 ***"لابد أن نتفق على عدة أساسيات حتى لا يتوه النقاش، أهمها أنه ليس من الطرح العلمي المنهجي المضبوط أن نبدأ نقاشاتنا بأن نخلط آراءنا الشخصية بأن نبدأ الجملة بعبارة «الإسلام يقول كذا..»، فقد أصبحت هناك إسلامات وليس إسلاماً واحداً، ورأيك الشخصي أو ما تستمده من مذهبك أو فقيهك المفضل ليس بالضرورة هو الإسلام، ولا تقل لي إنني أتحدث عن صحيح الإسلام، فما يعتقده محمد عبده أنه صحيح الإسلام، لا يعتبره عمر عبدالرحمن كذلك، والترابي له صحيح الإسلام الذى يختلف به عما يعتقده الملا عمر، والشيخ ابن باز يؤكد أن آراءه هي صحيح الإسلام وأن آراء الشيخ الغزالي ليست كذلك ويعارضهم جميعاً الإمام الخمينى!، وهكذا فإن بداية النقاش بهذه الطريقة فيها مصادرة على جدوى الحوار نفسه، ولذلك أقول إن خير ضمان لسيادة رأى الدكتور أبو الفتوح المنفتح الذى نشره هو العلمانية نفسها التي يستنكرها، ويقول بهذا المعنى أيضا في مقال آخر :***

حين يقول السلفيون نحن لا نحتاج إلى العلمانية بل نحتاج إلى حزب ذي مرجعية إسلامية، من حقنا أن نسأل من صاحب هذه المرجعية؟، حين تجيبني الله والرسول، ومن حقي أن أسأل: أجيبك بأنه ليس من حق أحد أن يحتكر الكلام باسم الله والرسول، فالله والرسول لن يحكما بنفسيهما، والوحى لم يعد يهبط على أحد، هل ستتخذون الشيخ الغزالي مرجعاً حين رفض النقاب وهوجم في السعودية أم ستتخذون رأى الشيخ عمر عبدالرحمن؟!، هل ستسمحون لي بأن تكون مرجعيتي الشيخ محمد عبده الذى حارب من أجل فكرة الوطن، أم ستفرضون على رأى سيد قطب برفض فكرة الوطن أو المرشد السابق الذى قال عن فكرة الوطن طظ!، هل من حقي أن أرفض مرجعية مفتى الإخوان عبدالله الخطيب الذى حرم بناء الكنائس أم ستفرضونها علينا بالقوة بصفتكم محتكري الدين ووسطائه الوحيدين ومفتيكم عبدالله الخطيب وليس على جمعة... إلخ!!

ألست معي قارئي العزيز في أن العلمانية هي حل بسيط لكل هذه المشكلات والتناقضات، وأهم ما فيها أنها لا تدعى العصمة، وإصلاحها ونقدها وتغيير قوانينها لا يعتبر ردة أو كفراً."

ليس من حق أحد أن يقول الإسلام يقول أو القرآن أو الله أو الرسول لأن أحدا لا يمثل الإسلام أو كتابه ،أو رسوله والوحي قد توقف عن النزول ،هنا يدعو إلى أن يفهم كل

إنسان عن الله كيفما شاء ،لأن هناك إسلامات وليس إسلاما واحدا واستعرض بعض النماذج التي يحمل أصحابها أفكارا مختلفة عن بعضهم ،ويتساءل أي نوع من الإسلام يجب أن نتبع

وبينما يروج لهذا الرأي عن الإسلام فهو يرى أن العلمانية أمرا واحدا متفق عليه واضح ولذلك فعلينا ان نتجنب هذا التشويش والاختلاف

الحقيقة أن أعجب مايمكن أن نسمعه من إنسان مسلم يدعي أن دعوته وترويجه لفكرة العلمانية لا تحمل أي تشويه او تسبب خلطا بين العامة في نظرتهم وتعاملهم مع القرآن كلام الله المصدر الأول للتشريع وسنة نبيه وهي المصدر الثاني هو قوله بأنه ليس من حق أحد أن يحتكر الكلام باسم الله والرسول، فالله والرسول لن يحكما بنفسيهما، والوحى لم يعد يهبط على أحد،

ما هذا الهراء يا دكتور !لماذا أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه على نبيه ،ولماذا كل هذه التوجيهات النبوية قولا وفعلا على مدى ثلاثة وعشرين عاما ،إذا كان المطلوب هو ان يحكم الله ورسوله بنفسيهما أو يستمر الوحي في الهبوط ليكون الكلام ملزما ومفهوما

وعلى فرض أن هناك اختلافات بالطبع في تناول او فهم بعض الاشخاص لبعض الامور في القرآن او السنة النبوية التي تحتمل هذا الاختلاف والتي يمكن مراجعة اصحابها ،بينما العلمانية التي تدعو اليها سيادتك متفق عليها ومعلومة تماما مع ان هذا ايضا غير صحيح بالمرة ،وكما تقول هناك اسلامات وليس اسلاما واحدا فهناك ايضا علمانيات وليست علمانية واحدة ،ولكن على فرض صحة كلامك فهل هذا المنطق يكفي ان نتبع هذه العلمانية التي تدعو اليها وتبشر بها ،هل تدري من الذي يتحدث مثلك ايضا بهذا المنطق

انهم الملحدون والزنادقة ،منطقهم إذا كنت تؤمن بوجود إله خالق يجب ان يعبد فأي إله هو الاله الحق ،إله المسلمين ،المسيحيين ،اليهود ،البوذيين ،الهندوس ،هناك الف دين فأي دين يجب ان نتبع ؟،أما الالحاد فهو امر واحد معلوم للجميع ،لا يوجد اله ولا خلاف بين ما يدينون بهذه الفكرة بينهم ،ونفس كلامك ايضا يكرره لورنس كراوس عالم الرياضيات الملحد الذي يدافع عن الحاده بشراسة ،لماذا لم يرنا الله نفسه مرة واحدة ،المطلوب ان نرى الله وهو يخلق وإلا فلا إله هناك ،تماما مثل قولك ،الله والنبي لا يحكمان بنفسيهما والوحي لم يعد ينزل وعلى ذلك فكل انسان يفهم كما يرى وبعد ذلك نجنب هذا الفهم ونحكم العلمانية التي لا شان لها بالقرآن او الحديث النبوي وما يقولانه

يا دكتور هذه الفكرة التي تروجها هي عملية تمييع للدين وللقرآن ،تصـــوير الدين على انه شـيء هلامي غير محدد المعالم على كل انسـان ان يفهمه كيفما يشـاء هي جزء من حملتك العلمانية على الدين نفسه وتغييب العامة دينيا

الله يا دكتور في آية بالغة الوضـــوح يقول ،وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ،فإذا كان هناك غاية وحيدة من وجودنا في هذه الدنيا وهي العبادة فكيف لا يبين الله في كتاب وصـف آياته بانها احكمت ثم فصلت من حكيم خبير ،كيف نعبده سبحانه وتعالى ،ما الذي يرضيه وما الذي يسـخطه ،هناك بالقطع في القرآن وفي السـنة أوامر إلهية ونواهي لا لبس فيها ولاغموض ،هناك آيات وصـفت بانها أيات محكمات هن أم الكتاب وهناك بعض الآيات المتشـابهات انزلها الله لحكمة والقرآن ذكر أن من يتبعون هذه المتشـابهات أناس في قلوبهم زيغ ويبتغون الفتنة فهل ترى ان هذا الوصف ينطبق على ما تروج له

يا دكتور لن اكون مسـلمة وكتابي التي اتعبد به هو القرآن الكريم الذي اعتقد بيقين انه كلام الله الذي اعبده ،وأومن اني ما خلقت الا لهدف هذه العبادة ثم لا اعرف بكل تحديد ماذا يقول القرآن وماذا يريد الله منا ،ورسوله ،فعلى ذلك عندما اقول قال الله وقال الرسول ،والاسلام يقول فهذا هو المنطق والعقل ،كيف ساحا سب إذا إذا لم اعرف ماذا قال الله وماذا قال الرسول وما يقوله ديني الاسلامي

على عكس ترويجاتك ،في الامور التي لا تحتمل الاختلاف او تعدد الآراء وبها قدر من السـعة في العبادة من قبيل تيسير الله على خلقه ،الله في الآيات يأمر وينهي بمنتهى الوضوح

<u>وهذه نماذج :</u>

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَـــيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّـــرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [سورة البقرة 155 - 157]

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّـــمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[سورة البقرة 164]

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْـــرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَـــاكِينَ وَابْنَ السَّـــبِيلِ وَالسَّـــائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّـــلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّـــابِرِينَ فِي الْبَأْسَـــاءِ وَالضَّـــرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَـــدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)]سورة البقرة 177]

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [سورة البقرة 188]

(**وَقَاتِلُوا فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)** [ســـورة البقرة 190]

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَـــيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)]ســـورة آل عمران 92**]**

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) [سورة النساء 9 - 10]

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [سورة النساء 58]

(مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَـــيْءٍ مُقِيتًا * وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) [سورة النساء 85 - 86]

(..... ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَـــدِيدُ الْعِقَابِ) [ســـورة المائدة 2]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [سورة المائدة 8]

(مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) [سورة المائدة 32]

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)[سورة النحل 90 - 91]

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[سورة الإسراء 70]

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[سورة الفرقان 70 - 74]

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [سورة الزمر 53]

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[سورة فصلت 34 - 35]

(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [سورة الشورى 43]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[سورة الحجرات 6]

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [سورة الحجرات 9 - 13]

(..... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة الحشر 9]

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [سورة الممتحنة 8]

(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)[سورة الإنسان 7 - 9]

(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [سورة المطففين 1 - 6]

قلي يا دكتور اي هذه الآيات عرضه ان يفهمها كل انسان كما يشاء

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِـــيمًا)[سورة النساء 105]

هذه الآية في غاية الوضـــوح ان الله ســـبحانه وتعالى قد انزل الكتاب بالحق ليتم الحكم كما ارانا الله فيه ،فهل يعقل بعد ذلك ان يقال هذا الحكم يفهمه كل انســـان كما يرى ،أو بمعنى آخر يحكم الهوى وينسب ما يدعيه إلى القرآن

ثم تأتي بعد ذلك وتقول ان هناك اسلامات ،اسلام كما يفهمه الشيخ محمد عبده ،واسلام كما يفهمه الترابي ،وآخر حسب ما يرى الخميني ، وعلى ذلك فالحل العبقري ان نلغي الاسلام بالكلية ونتبنى العلمانية! مصيبة فعلا ،يا دكتور انت انسان مكلف ومسئول امام الله وهناك علاقة خاصة بين الجنس البشري وبين الله سبحانه وتعالى ،علاقة مباشرة ،غاية في القوة كرم بها الإنســان واعطاه القدرة علي تحمل هذه المسئولية من خلال عقل مميز يعمل من وراء حواس تتعامل مع هذا الكون بطريقة فريدة ،كائن اطلق عليه الله صـــفة خليفة قبل ان يخلقه ،ان تتخلى عن كل هذا وتستغنى عن هذه العلاقة بحجة انك لا تدري كيف تكون ،هذه مسئوليتك ان تميز بين الحق والضلال وليس الحل العبقري ان تتخذ من سوء فهم البعض لدينهم او التعلل بالدين والتخفي وراءه لتحقيق اغراض دنيوية ما انزل بها الله من ســـلطان حجة ومبررا تصور به ان الدين شيء هلامي غير محدد المعالم ،اذا كنت لا يتستطيع ان تفرق بين فهم الترابي للدين او فهم الخميني وما يقوله كتابك ودينك واسلامك بكل وضوح فلماذا تصر على تنصيب نفسك قيما على عقول الآخرين ، ثم ما اكثر ما ذاقت البشرية من ويلات على ايد اناس يتخذون من الحرية والديمقراطية تبريرا لافعالهم ،وعلى ذلك فبالقطع انت لا تدعو الى التخلي عن الحرية والديمقراطية ،ولن يلتبس الامر عليك في فهم حقيقتهما ،الموضوع كله يتعلق بصدق نيتك ورغبتك الحقيقية في الوصول الى الحقيقة واتباعها او اتباع الهوى الذي لن يؤدي بك إلا الى التردي في مزالق التهلكة ،قمة الغيبوبة ان تكون حجتك في مقاومة الدين هو ان البعض يفهمه فهما مختلفا ،بينما العلمانية مفهومة ،انت هنا تماما مثل انســـان ضـــاعت نقوده في مكان يصـــعب البحث فيه فيقوم بالبحث عنها تحت

عامود النور لانه اسهل ،لكي تحصل على نقودك الضائعة الامر يستحق التعب والاخلاص والرغبة الحقيقية ،تبحث عنها في المكان الذي لابد ان توجد فيه ولو كلفك الامر الكثير من المشـــقة ،العلمانية ،كما ســـأثبت هي التخلي عن الدين بالكلية والحجج كلها اوهن من بيت العنكبوت ،اما المصـــلحة الدنيوية او فصـــل الدين عن العلم او البعد عما تســـميه تســـويق العبادات تعبيرات تعكس معنى الآية الكريمة قد بدت البغضـــــاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر .

مثال خر يصور عبقرية د. خالد منتصر في قلب الامور

فعلى ســـبيل المثال تهنئة أبوالفتوح لنجيب محفوظ وإشـــادته بمؤلف رواية «أولاد حارتنا» والقلم الذى أهداه لصـــاحب نوبل، كل هذا كان من الممكن أن يكون مبرراً لإقامة الحد عليه بعد الهجوم الكاســـح من إخوانه وجماعته الذى وصل لحد التكفير، وللعجب سيكون طوق نجاته الوحيد هو العلمانية!

2 هكذا يقرر د. خالد منتصـر أن تتبع الدين معناه انك تحاكم الآخرين وتقيم عليهم الحدود ،وعلى ذلك اذا اردت ان تتصـرف كإنســان متحضـر عادل عليك ان تنحي الدين جانبا وتضـطر اضـطرا للجوء للعلمانية ،هجوم مباشـر على فكرة الدين نفســه لا مجال هنا للتعلل بموضـــوع فصـــل العلم او غيره من التماحيك التي يقنع بها د. خالد حربه على فكرة الدين من اساسها

إذا كان د. أبو الفتوح قد قام بزيارة نجيب محفوظ وأهداه قلما فلا يمكن أن يكون ســـبب هذا كما يرى د. خالد بعبقريته المعهودة أنه اضـــطر إلى التخلي عن اعتباراته الدينية التي تدفعه إلى العداء وإقامة الحدود ،واســـتســـلم للمقاييس العلمانية التي تهيء له أن يتصرف كإنسان متحضر ولكن يا حضرة الدكتور لابد أنه رأى ان هناك اتهاما لامبرر له ربما باسم الدين من قبل بعض المتشددين بمخالفة تعاليم دينهم وهو لا يرى ذلك فقام تنفيذا وإعلاء للأوامر الإلهية بعدم رمي الناس بالباطل والعدل معهم بهذا التصرف الذي تنسبه حضرتك إلى العلمانية آيات القرآن واضحة بالأمر بالعدل حتى مع أعدائنا ،فما الذي أمرت به العلمانية ؟هل تريد أن توهمنا أن العلمانية التي هي التجرد من الاعتبارات الدينية هي الأصل في التعامل مع الناس بالحسنى وان الدين هو الذي ادخل الظلم والافتراءات وتجريم السلوكيات بدون حق واقامة الحدود ،العلمانية اذا هي فكرة بالغة السوء عن الدين نفسه تنسب اليه كل النقائص في التعامل مع الناس !

هذا أولا ،وثانيا ،ليس معنى أن نجيب محفوظ حائز على جائزة نوبل انه لا يمكن ان يكون قد ارتكب خطأ او أخطاء لها طابع ديني من حق كل من يغار على دينه ان يراجعه فيها دون اتهام او دخول في النوايا او تنصيب احد نفسه قيما او حفيظا على احد ،هذه اوامر القرآن نفسه ،القرآن يقول للنبي نفسه ،لست عليهم بمسيطر ،فحتى لو كان ما كتبه نجيب محفوظ مخالفا لروح الدين او توجيهاته او حتى تعاليمه ،فالحل الالمعي ليس بابعاد مفهوم الدين بالكلية ،ولكن مراجعة بالحسنى والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن وبما ان نجيب محفوظ مسلم وكتابه المقدس هو القرآن فعليه ان يستمع ويستجيب ويتراجع لأن الدين هو اعلى من اي اعتبار آخر ومن يكون اسلوبه غير هذا فهو مخطئ دينيا ويجب مراجعته بالقرآن

واحب ان اكمل كلامه هنا بمأثورات له أخرى ليكود الرد شاملا :

3 ***ما رأى د. عبدالمنعم أبو الفتوح في أن نستخدم صفة وتعبير تاريخ المسلمين بدلاً من تاريخ الإسلام؟ حتى نرفع الحرج عن الدين ونبرئه من بعض ممارسات الاضطهاد الفكري، التي مارسها حكام مسلمون ضد مفكرين مسلمين اختلفوا معهم في الرأي، والتي ذكرت بعضاً منها في مقال الأمس، وننسبها إلى المسلمين بدلاً من نسبتها للإسلام، وإذا تحدثنا عن المسلمين فنحن نتحدث عن سياسة لا عن دين، فمثلما أحرقت الكنيسة القس جيوردانو برونو وحاكمت جاليليو انطلاقاً من مفهوم الدولة الدينية واحتكار الحقيقة، أحرق محمد بن أبى بكر الصديق وهو في بطن حمار، وذبح الجعد بن درهم في عيد الأضحى وهو مقيد في منبر المسجد!، ومثلما كان الكهنة يبررون للملوك ألوهيتهم ويقنعونهم بأنهم ظل الله على الأرض ويبيعون صكوك الغفران، كان معاوية يقول: «أنا خليفة الله في أرضه»، وأبو جعفر المنصور يهدد بأنه «سلطان الله فى أرضه»، ومن قبلهما كان ذو النورين عثمان يقول: «لن أخلع رداء سربلنيه الله»، أي أن الحكم تحول إلى رداء إلهى!،***

الحقيقة اني انا التي اريد هذا الحرج الذي يزعم د.خالد منتصر انه يريد رفعه عن الدين بنسبة كل هذه التصرفات التي يتحدث عنها الى المسلمين كأشخاص وليس الى الاسلام كدين واقول له ان الأمر لن يختلف كثيرا كما تظن ،فعندما انسب أي فعل الى انسان اصفه بأنه مسلم فأنا في الحقيقة ايضا اتهم كونه مسلم وبالتالي اسلامه بأنه وراء هذا التصرف ،وهذا تناول بالغ السطحية والزيف ،فالإنسان ليس شخصية لها طبيعة واحدة ولكن شخصية لها جوانب متعددة بعضها يتعلق بالدين الذي ينتمي اليه وبعضها يتعلق بكونه انسان ،فهناك من بين الناس من هو لص ،ومن هو مرتشي ،ومن هو قاتل سفاح

،ومن بين هؤلاء الناس من يدين بالإسلام او المسيحية او لا ينتمي الى دين ،فهل يجوز ان نصف مثل هذا بانه مسلم سارق او مسلم سفاح او مسيحي مرتشي ،الحقيقة انه لا دخل لكونه مسلم او مسيحي بما يرتكبه من افعال الا اذا كان يقوم بها اتباعا لاوامر دينه ،يمكن ان اصف شخص بانه مسلم فلا ياكل لحم الخنزير ،او مسلم فلا يتعامل بالربا ،لأن اسلامه وثيق الصلة بهذه السلوكيات هو الدافع لهذه التصرفات من جانبه ،اما ان نصفه بانه مسلم لص او مسيحي قاتل فهذا كلام مغرق في السطحية والضحالة طالما انه يقوم بهذه الافعال ليس اتباعا لدين يامره بها ولكن على العكس مخالفة لدين ينهاه عنها ،وعلى هذا فلا يجب خلط الأمور

الحقيقة **ان** النظرة العميقة للامور تقول شيئا آخر هو النقيض لما يروج له د. خالد منتصر

الحقيقة حتى ولو كان الانسان مسلما او مسيحيا يؤدي شعائر دينه ويحترمها في عامة تصرفاته ،فهو عندما يخالفها لا يكون عندها مسلما او مسيحيا ولكن عندها يكون قد تجرد من علاقته بالدين وفعل ما فعل لاغراض ومنافع دنيوية بحتة بعيدة عن الاعتبار الديني ،عندها يا دكتور خالد وعلى عكس فهمك المعكوس يكون هذا الشخص علمانيا لا يحركه سوى الدافع الدنيوي المحض والرسول عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الصحيح ،لا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر انسان وهو مؤمن ،هل فهمت معنى وعمق هذا الحديث ؟معناه انه عندما يقوم انسان بعمل اي تصرف او سلوك مخالفا اوامر الله فهو يفعله اذا بعيدا عن الغرض الديني الاخروي ولكن لان الاغراءات الدنيوية ساعتها تكون قد تمكنت منه وانتصرت عليه وعلى ذلك فهو يقوم بفعل هذه المخالفات وهو علماني ،وعلى ذلك فهذا التاريخ الذي تنسبه حضرتك الى المسلمين وليس الاسلام حتى لا تضع الدين في حرج هو في حقيقته ليس تاريخا متعلقا لا بالإسلام ولا بالمسلمين ولكن تاريخ اللحظات التي تخلى الانسان عن دينه وتعاليمه والغرض الاخروي وراءها واستسلم للمنفعة والمقاييس الدنيوية او هو باختصار تاريخ العلمانية عندما تغلبت على الدوافع الدينية

مرة اخرى اذا كنت لم اخلق الا للعبادة فكيف أعبد الله ؟، هل كما يقول البعض العبادة هي علاقة قلبية بين الانسان وربه لا شأن لها بالامور الدنيوية ،من يريد ان يعبد الله فليعبده في المسجد ،الحقيقة أن المسجد هو فقط مكان لإقامة صلاة الجماعة ،والعبادة ليست فقط صلاة او صيام او زكاة اولكن اي سلوك اقوم به في هذه الدنيا الله اوضح لي ان كان هو ما يامر به او ينهى عنه .وعلى هذا انا لا اعبد الله بقلبي ،القلب لا يصلي او يزكي او يصوم او يحج او يرتدي الخمار ،نحن نعبد الله بجوارحنا ،نفعل او نمتنع عن فعل ،ولكن دور القلب هو ان ما نلتزم بفعله او نمتنع عنه ،يكون طاعة لله وابتغاء مرضاته وليس لهدف دنيوي ايا ما كان

وعلى هذا فعندما يفعل الانسان ما نهي الله عنه لا يكون في وضع عبادة ،وعندما يفعل ما يامر به الله ولكن لهدف دنيوي ،لا يكون هكذا متعبدا والله يقول على امثال هؤلاء وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ،ولكن عندما يلتزم باوامر الله طاعة له واحتسابا فهذه هي العبادة ،وايضا عندما ينتهي عن ما نهى الله عنه ابتغاء مرضاة الله فهذه عبادة لو انتهى فقط اتقاء لضرر دنيوي فهذه ليست عبادة ،ما علاقة هذا بموضوعنا الذي يدعو فيه د. خالد الى العلمانية

اريد ان اوضــح ان الامور اعمق بكثير جدا من هذا التناول الســطحي الذي يروجه العلمانيون واتساءل ،هل هناك تعارض بين الالتزام باوامر الله والمصلحة العلمانية الدنيوية التي لا يهمها الا هذا العالم ،هل هناك مصـــلحة دنيوية فعلا في مخالفة التوجيه الالهي بالامتناع عن نواهيه ،مصـلحة تلزمنا ان ننحي الدين جانبا لنحقق المصـلحة الدنيوية وعلى ذلك نتفهم دعوة د. خالد وحزبه بتنحية مثل هذه الاعتبارات الدينية ســـواء ما كان منها اوامر او نواهي ،اليس هذا هو موضـــوعنا ،اليس هو ما نفهمه من اصـــراره على المقارنة بين ما ياتي به الدين وبما تاتي به علمانيته في مثل هذه الامور التي يروج لفكرة أنها يقتصـر اختصـاصـها على هذا العالم الذي نعيش فيه اريد ان آخذ أمثلة لمواضيع من هذا القبيل،موضـوع الاقتصـاد والرواج الاقتصـادي موضوع السياسة ،موضوع المواطنة ،موضوع حقوق الإنسان ولنر هل للدين شأن هنا ،وهذا ما سافعله في الفصول القادمة إن شاء الله

مقالة اخرى

إذا قلت يا دكتور إن مرجعيتك في الحكم والسـياسـة إسـلامية وترفض العلمانية، أسألك سؤالاً بسيطاً عن أهم ركن في العمل السياسي الذي أنت مقدم عليه ألا وهو اختيار وترشـيح رئيس الجمهورية، هل سـيكون بطريقة سـقيفة بنى سـاعدة، أم بترشيح شخص معين بالاسم، أم باختيار واحد من ستة أشخاص، أم برفع راية لا حكم إلا لله، أم الملك العضـــوض؟ أيهم تســـتطيع أن تقنعني بأنه أســـلوب اختيار الرئيس في الإسلام؟

نأتي إلى تكوين البرلمان الذى تختزلونه في كلمة الشورى التي لم تتحدث عن آلية هذه الديمقراطية، أو بالأصح هذه الشورى، وأسألك سؤالاً بسيطاً: هل هي شورى أهل الحل والعقد؟ وهل الشورى ملزمة أم غير ملزمة كما قال بعض الفقهاء؟ ومن يستحق من هؤلاء الفقهاء أن نقول عنه إنه يمثل رأى الإسلام، وليس رأى نفسه؟ وما الضـرر إذن من الاسـتفادة من منجزات العلمانية في الفكر السـياسـي بدلاً من تلك الأرتيكاريا المزمنة منها؟.

ترشـــيحك لرئاســـة الجمهورية يا دكتور أبو الفتوح جاء نتيجة ثورة ومظاهرات وخروج على حاكم، هل تريد معرفة ماذا تقول كتب الفقه غير العلمانية عن عقوبة الخروج على الحاكم؟ وإذا اعتبرت هذه الكتب هي مرجعيتك فيجب التنازل فوراً عن الترشـيح، ولو رفضـت ما فيها فيجب أن تشـكر العلمانية على جميلها الذى أسدته إليك بإفساح الطريق للثورة على الحاكم والجلوس على كرسيه!.

هذه مجرد اقتباســـات وشـــذرات من تراثنا الفقهي عن وجوب عدم الخروج على الحاكم، عن ابن عباس: «من كره من أميره شـــيئاً فليصـــبر، فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية!»، وهناك في صحيح مسلم «تسمع وتطيع الأمير وإن ضـــرب ظهرك..»، وهناك أيضـــاً «الإمام الجائر خير من الفتنة»، وأخيراً ما قاله ابن تيمية: «ستون سنة في حكم إمام جائر أفضل من الصلاة بدون إمام»!!

د خالد يريد ان يفهمنا ان الدعوة الى ان تكون المرجعية اســـلامية ان ذلك يعني ان طريقة اختيار الرئيس طبقا لهذه المرجعية هي طريقة محيرة ولا قاعدة فيها فضلا عن انها بدائية ،هل تكون كما يقول بطريقة سقيفة بنى ساعدة، أم بترشيح شخص معين بالاسم، أم باختيار واحد من ستة أشخاص، أم برفع راية لا حكم إلا لله، أم الملك العضوض؟هو هنا يريد ان يفهمنا مرة اخرى ان موضوع اختيار الحاكم في الاسلام موضوع هلامي لا قاعدة له ،فقد تم في التاريخ الإسـلامي بطرق متعددة ،واسـأله الا يمكن ان تنظر للموضـوع نظرة اخرى غير هذه النظرة ،الا يعني هذا المرونة واحترام الظروف ،بدلا من كل ضيق الافق هذا الذي تتحدث به

عموما انا ايضـا يمكنني ان ارد عليك واقول وهل الطرق العلمانية التي تدعو اليها سـيادتك في اختيار الحاكم ، هي طريقة واحدة متفق عليها ام ان الاختلافات موجودة هنا ايضـــا ؟هل هو نظام بالوراثة مثل المملكة المتحدة حيث النظام ملكي وبلجيكا او امبراطوري مثل اليابان وحيث تختلف صـلاحيات الحاكم من دولة إلى أخرى ففي المملكة المتحدة فإن منصـب الملك أو الملكة الرغم من أنه يملك صـلاحيات حل الحكومة والبرلمان إلا أن العرف يمنعه من ذلك اما في بلجيكا فصـلاحيات الملك محدودة للغاية ولا يتجاوز كونه منصـباً فخرياً لا أكثر.او نظام انتخابي جمهوري ، حيث يتم اختيار الحاكم من قبل الشـعب أو من يمثله ولفترة زمنية محدودة يتم تحديدها وقابلية تجديدها وفق دســتور كل دولة على حدى. وهل يتم اختيار الحاكم عن طريق الانتخاب من مرحلة واحدة او مرحلتين ،او الانتخاب من ضمن البرلمان المنتخب شعبيا

وهل تعني انه الحاكم المطلق القادر على حل الحكومة والبرلمان او مجرد منصـــب فخري ذو صلاحيات محدودة جدا .

هل المشـــكلة في طريقة تعيين الحاكم ،ما هي هذه العلمانية التي تريد تطبيقها في مصـــر ،هل مشـكلتنا هنا ان الرئيس او الحاكم قد اتى بطريقة سـقيفة بني سـاعدة ،او اي من هذه الاسـاليب التي تتحدث عنها وتريد ان توقعنا في حيرة بســـببها ،هل مناداة د. ابو الفتوح او غيره بوجود مرجعية اسـلامية تعني ان نتخلى عن الطريقة البالغة التحضـر والديمقراطية التي اتى بها حكام

مصر منذ عهد عبد الناصر ونتبع طريقة سقيفة بنى ساعدة التي اتت بالخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه ،لماذا تصطنع دائما مشكلة لا اصل لها وتلصقها بالدين ساتحدث وارد عليك بالتفصيل في فصل قادم اشرح فيه مقارنة بين الاعتبار الديني والاعتبار العلماني فيما يخص السياسة

الغريبة ان العصر الذي جاء فيه الحاكم بترشيح شخص معين بالإسم وهو يقصد بالطبع الخليفة عمر بن الخطاب ،كان هو العصر الاسلامي الذي تمتع فيه الناس بالحرية والعدالة والمساواة ،كأفضل ما يكون ،ولم تات سقيفة بني ساعدة بديكتاتور حكم الشعب بالحديد والنار ،بل كان راعيا بحق متحملا لمسئولية الامانة الثقيلة ،التي يستشعرها والتي نستشعرها من خلال كلماته الموجزة التي نطق بها اول عهده بالحكم والتي تعجز جهابذة العقول الديمقراطية عن الاتيان بها ،ولا يفهم احد اني او حتى الدكتور ابو الفتوح نريد ان تكون هذه طريقة تعيين الحاكم ،ولكن ان نتحدث عن جوهر وليس كلام سفسطة ،الحاكم يعين في مصر بانتخابات شرعية ووفق قواعد ديمقراطية وكذلك ياتي ممثلوا الشعب في المجالس النيابية ،ومع ذلك فالديمقراطية لدينا مهزلة تصورها من البداية النسبة التي يحظى الرئيس بها في الانتخابات الرئاسة وهي نسبة معلومة للجميع سابقا قبل اجراء اي انتخابات ،نسبة تسعة وتسعون وجزء من العشرة في المائة ،فما هي بالضبط المقاييس العلمانية التي يريد د. خالد أن نتبعها ؟الحقيقة ان ما ينقصنا هنا هو المقاييس الدينية وليست العلمانية ،ان يستشعر كل مواطن ثقل المسئولية الملقاة على عاتقه وهو يختار ،وقبلها ان يستشعرها هؤلاء المسئولون عن اجراء الانتخابات ،وتكون المنافسة حقيقية ،ليست بين ديكتاتور حكم وقمع لسنين عديدة تعمل كل اجهزة الدولة تحت سيطرته وبين انسان مجهول الهوية جاء فقط من اجل ان تبدو هناك صورة للديمقراطية ،لو حضرتك يا دكتور خالد تريد دولة حديثة فعلا ينعم اهلها بالحرية والديمقراطية التي ينعم بها غيرنا فالواجب يحتم عليك ان تبحث عن الاسباب الحقيقية لما نعانيه وتنادي بها كما يفعل الشرفاء خالصي النية ،اما ان يكون كل جهدك موجها للسخرية من المقاييس الدينية وعليها فقط تلقي زورا وبهتانا مسئولية كل ما نعانيه ،فهذه احد مظاهر الحرب المعهودة على الدين نفسه والتي لا تنفذ جعبتك من السهام المسمومة التي تلصقها بالدين والتي تخرجها منها كل حين

اما عن مقولة يجب عدم الخروج على الحاكم ،فلماذا هذا الراي دون غيره الذي تاتي به واذا كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول اطيعوني ما اطعت الله فان لم افعل فلا طاعة لي عليكم ،ثم ما هو المقصود بالخروج على الحاكم ،هل هو مجرد عدم الرضا بوجوده على رأس الدولة لأنه لم يتحمل المسئولية المفروضة ،والسعي لتحقيق ذلك بالطرق السلمية او المقصود هو مقاومة هذا الحاكم بالسلاح مما قد يؤدي إلى الفتنة ونشوب حرب أهلية ،انت تعرف تماما أن ما أتى بدكتور أبو الفتوح وغيره ليكون مرشحا للرئاسة لم تكن ثورة مسلحة ولا حربا ولكن مجرد ثورة سلمية كان شعارها عيش حرية عدالة اجتماعية بمعنى مجرد السعي لاحترام

انسـانية المواطن وحقوقه المشـروعة في بلده ،شـارك فيها كل طوائف الشـعب وتعرف أيضـا كيف تم تغيير مسـار هذه الثورة عن طريق من لهم المصـلحة في هذا التغيير ، وحتى لو كانت كتب الفقه ترفض الخروج على الحاكم فلابد أن يكون السبب هو مصلحة ،أو درأ ، ضرر ،أي حكمة عميقة وليس تقديسا لشخص الحاكم ،

والغريب أيضا انه على الرغم من انك وحزبك تدينون بهذه العلمانية إلا أن موقفكم من الثورة كان مائعا ،لا نعرف ان كنتم مع أو ضـد ،مع انك كنت تكتب يوميا وقتها في الصـحف ،ومع انك كنت قبلها بقليل تتحدث عن الظلم البين الواقع على المسيحيين فمع ذلك لم نسمع لك صوتا عندما أظهرت الثورة بكل وضوح أن معاناة المسلم وحرمانه من ابسط مظاهر المواطنة كانت هي نفسها ما يعانيه المسيحي ولذا كان هناك الترابط والتلاحم بين المسلم والمسيحي والذي كان مثار انتباه وتعليق الكثيرين ممن ليس لهم مصـلحة مثل حضـرتك في اشـعال النار بين الفريقين ومحاولة ايهام فريق منهما بأن حضرتك تنتصر له انتصارا لحقه المهضوم في البلد ،هل كنت حضـــرتك وقتها من مؤيدي الخروج على الحاكم ام من المعارضـــين ؟، لا أحد يدري ،ولماذا تســـتخدم تعبير كتب الفقه الغير علمانية ،هل تريد إيهامنا أن هناك اجماع بين جميع الفقهاء بفكرة عدم الخروج على الحاكم !،هل تريد إيهامنا بأن مقاييس حضـــرتك العلمانية هي التي يسرت حدوث هذه الثورة .وعلى ذلك فنحن في حاجة ماسة لهذه العلمانية ،؟

فرغم المســـاحات المشـــرقة المتســـامحة في هذا التاريخ إلا أن هناك مســـاحات اضـطهاد للفكر المخالف على عكس ما قال د. أبو الفتوح بأن تاريخنا الإسـلامي لم يشهد قمعاً للمجددين والعلماء، وأسأل د. أبو الفتوح: هل تعرف من الذى أمر بقتل السهرودرى، وهو واحد من كبار الفلاسفة الموسوعيين الذين جمعوا بين الفلسفة الإسلامية واليونانية والهندية والمصرية والفارسية؟!

هل تعرف من الذى أمر بقتل هذا الشاب صاحب الستة وثلاثين عاماً بسجنه ومنعه من الطعام والشراب حتى يموت وتتعفن جثته؟!

إنه صلاح الدين الأيوبي! بالتأكيد سيصدم كل من يصر على تناول التاريخ بطريقة فيلم صلاح الدين، ولكنه لن يندهش كل من يقرأ التاريخ بعين ناقدة وعقل محايد.

من يضمن لنا أنه عند اللزوم لن يخرج لنا هذا الحاكم من عباءة النصوص الفقهية الدينية مما يرسخ ظلمه وما يدين ويجرم ويكفر الخروج عليه، إنها العلمانية التي تحتاجها الإنسانية ولا يحتاجها دين معين، هي الضامن، المناطق المظلمة في التاريخ لا تلوث الدين نفسه، ولكن ما يلوث الدين هو جره إلى شارع السياسة الذى يزكم الأنوف ترابه ودسائسه.

مضطر أنا يا دكتور أبو الفتوح لأن أفتح عدسة الرصد التاريخى لمفكرين وعلماء اضطهدوا بسبب ألوهية الحاكم وخلط الدين بالسياسة، أن تتحول من الزووم إلى البان، حتى تقتنع بأن العلمانية ضرورة وليست ترفاً، وبأنها الحل الوحيد لصناعة نهضة الأمم، وهى ليست ضد الدين وإنما هي ضد تدخل السلطة الدينية، وهى لا تفصل الدين عن المجتمع بل تفصله عن السياسة، وأسألك عن ابن المقفع ومن قتله وكيف قتل؟!

قتله الخليفة أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، المؤسس الحقيقي لأعظم خلافة إسلامية وهى الخلافة العباسية، والذى قال عن نفسه: «إنما أنا سلطان الله في أرضه»، قتل الخليفة هذا المفكر العظيم، لأنه فقط نصحه في كتاب رسالة الصحابة بأن يحسن اختيار معاونيه! كيف يتجرأ ابن المقفع على ظل الله في الأرض؟!

عاقبه المنصور بتقطيع أطرافه قطعة ،قطعة، ثم تشوى على النار أمام عينيه، ثم يأكلها ابن المقفع حتى يموت!!!، أعتقد أن ما حدث هو البذرة الأولى لفيلم الرعب «هانيبال»، الذى لم يصل بالطبع إلى واحد على مليون من رعب ابن المقفع.

التاريخ يا دكتور أبو الفتوح رمادى ليس فيه هذا اللون الأبيض الناصع ولا الأسود الغطيس، ولهذا نحتاج إلى العلمانية، لأننا لسنا استثناء من التاريخ،

أنا أيضـا مضـطرة أن أذكر حضـرتك مرة أخرى ان كل ما ذكرته لا يمكن أن يوصـف بتاريخ الإســـلام ،وأن كلامك كالعادة أحادي النظرة ويفتقر إلى الموضـــوعية والتجرد والعمق ،أنت تتحدث وكأن الحل الألمعي العبقري لمواجهة ما ارتكبه بعض الحكام المنتمين دينيا إلى الإسلام ،أن نلغي الاعتبار الديني الإســلامي كليا وكأن هؤلاء الحكام القمعيين الظالمين لابد لهم من إله يبررون به ما يفعلونه باســمه وان كل هذا الظلم والديكتاتورية لا يمكن أن يخرج إلا من عباءة بعض النصــوص الفقهية التي يؤولها اصــحابها كيفما شــاءوا ،وكأن التاريخ الذي تتحدث عنه غير مليء بصفحات ايضـا حالكة السواد كان الضـحايا فيها ليست مجرد أفراد ذكرتهم بالاسم ولكن ملايين بل عشرات الملايين من القتلى والمعذبين والمشردين، لم يكن الجناة فيها يتعللون بنصوص فقهية ،لم يسقط في يد ستالين الذي ينسب اليه مقتل خمسين مليون من البشر وتعذيبهم لأنه لم يكن لديه نص فقهي يتمسح به ،بل كان علمانيا خالصا ليس لديه هدف الا هذا العالم كما يريد حضـرة الدكتور خالد ، ومع ذلك وجد عنده كل الجرأة أن يعلن موت إنسـان واحد مسـأله مأسـاوية موت عدد من البشـر مسـألة إحصـائية !وأيضـا لم ييأس مشـعلوا نار الحرب العالمية الأولى والثانية من وجود مبرر ديني ،نص فقهي ليفعلوا ما فعلوا بالبشـــرية كلها ،وكذلك لم يسقط في يد لينين ولا ما وتسـي تونج ،ولا شـاوشسكو ،ولا هتلر ولا موسيليني ،لا أحد يحتاج الى اله ليتمسح به مبررا ظلمه وجبروته ،وعلى ذلك فالحل الالمعي ليس حتما في اقصاء الدين بالكلية والترفل في نعمة العلمانية الرشيدة .

،هل تريد شيئا آخر .

قليل من العمق يدلك على ان حتى هؤلاء المسلمين الذين تتحدث عن افعالهم ،الخليفة المنصور او صـــلاح الدين الايوبي ،لم يكن وراء كل ما تســتنكره وتصــفه بانه يفوق افلام الرعب هو اســلامهم او كونهم مسـلمون بل العلمانية التي تدافع عنها بضــراوة هي السـبب يا دكتور ،هل تدري كيف ؟ليس هذا فقط بل ان كل ما تنسبه الى العلمانية من سلوكيات راقية انسانية هي في حقيقتها ليست كذلك ،بل انه منهج الله الذي اتبع يا دكتور حتى وان كان اصحابه لا يؤمنون بالله ،هل يمكن لك ان تتصور هذا لتعرف كم التشويش والسطحية الذي تعانيه

أريد أن أذكرك بالشـيخ محمد عبده الذي تظهر إعجابا شـديدا بفكره وتجتهد لتضـع عليه مسـحة العلمانية ،والذي تسـتأذن د. أبو الفتوح لاتخاذه مرجعيتك الدينية ،وأذكرك بمقولته الشـهيرة جدا ،وجدت في أوروبا إسلاما بدون مسلمين ،وفي مصـر مسلمين بدون إسلام هل تفهم ماذا يعني هذا ؟

أولا يعني أن الإسـلام وتوجيهاته وتعاليمه واضـحة كل الوضـوح حتى إن جاءت من قبل من لا ينتمون إلى الإسلام كدين ،وحتى إن غابت من تصرفات من ينتمون إلى الإسلام كدين ،وليست هذا الشيء الهلامي غير محدد المعالم الذي تروج لفكرة أن يفهمه كل إنسان كما يشاء

ثانيا ما لا تريد أن تفهمه أبدا لفكرتك البالغة السوء عن الدين نفسه والتي تروج لها من وراء ستار ،أن تعاليم وتوجيهات الدين نفسه هي الخير الحقيقي الأكيد حتى فيما يخص هذا العالم الذي نعيش فيه ،حتى إن من لا يؤمنون بالإسلام أنفسهم لا يجدون أفضل منها ليتبعوها تحقيقا للتقدم والرقي ،ليس طمعا في الثواب الأخروي وراءها ولكن تحقيقا للمصلحة الدنيوية ،أليس ما رآه الشيخ محمد عبده هو العدل ،والمساواة والمواطنة واحترام حقوق الإنسان والعمل والاجتهاد ،وتكافؤ الفرص ،وهي امور نفتقرها في مجتمعاتنا المفروض انها اسلامية ،هل هذه بعيدة عن تعليمات الدين الاسلامي ،اليس هذا ما وصفه الشيخ محمد عبده ،مرجعيتك التي تستأذن في اختيارها ، بإسلام بغير مسلمين ،ألم تحث آيات القرآن وتدعو بكل وضوح إلى هذه القيم العالية ،لا أدري لماذا يصر د. خالد منتصر على ان كل هذا هو ما تدعو اليه علمانيته الرشيدة ،أريد أن أذكرك بشيء آخر يثبت عكس كلامك :

هذه المبادئ الإسلامية العظيمة ،لا يطبقها هؤلاء العلمانيون إلا في بلادهم لأن الغرض وراءها دنيوي بحت ،أما خارج حدود أرضهم ،فالوضع يختلف ،ما إن يضعون أقدامهم في دولة حتى يعم فيها الخراب والدمار وسفك الدماء ،أنظر إلى ما فعلته أمريكا في العراق متذرعة بما أسموه محاربة الإرهاب ،قتل ما يقرب من مليون إنسان مسلم أعزل من السلاح ،نساء أطفال ،شيوخ ،تدمير البنية التحتية اشعال الصراع بين السنة والشيعة ، سجن ابو غريب الذي يمارسون فيه كل أنواع التعذيب والتنكيل بالبشر ،بلد ذات حضارة عريقة ،تدمر هكذا والغريب انهم يفعلون ما يفعلون بطريقة يضفون عليها صفة الشرعية والديمقراطية ،،،ألم يعترف أوباما ان امريكا هي التي كانت وراء اسقاط حكم د. مصدق في إيران الذي كان يقود بلاده نحو الديمقراطية ،ونحو انتفاع بلاده بما وهبه الله لها من ثروة بترولية وجد ان امريكا تستولي على معظمها ،وجاء بحكم الشاه الديكتاتور الذي ادى الى قيام هذه الثورة الخومينية التي يشتكون منها الآن ،ما فعله بوش في افغانستان يفوق الوصف ،وما فعله سابقوه من رؤساء امريكا في فيتنام حتى وصفت بانها قطعة من الجحيم على الارض ،تجارة العبيد التي يقومون باختطافهم من افريقيا ويذيقونهم معاملة وامتهان اسوأ ممن لو كانوا يتعاملون مع حيوانات وليسوا آدميون شركاء لهم في الانتماء الى الجنس البشري ،ما فعلته بريطانيا في الهند ،حرب الافيون في الصين ،تدمير تام ،اختراعهم هذه الاسلحة الفتاكة ،التي لا تؤدي الى الموت احيانا الا بعد ان يذوق ضحاياها الاما يعجز عنها الوصف ،هذه القنبلة الذرية التي القيت بكل دم بارد على هيروشيما ثم الاخرى على ناجزاكي ولو كان عندهم ثالثة لألقوها مسببين كل هذا القتل والدمار والآلام الرهيبة والتشوهات الجنينية التي استمرت لعقود ،لو كان هؤلاء يؤمنون ان كل هذا محسوب ومكتوب عليهم وسيلقوا جزاءهم العادل على فعله ما قاموا بهم ،لا تقول لي هذا المسلم قتل فلان او عذب فلان ،في النهاية بصرف النظر عن انهم افراد وليسوا الافا ،ومئات الآلاف واحيانا الملايين من البشر فإن ما فعله هذا المسلم انما فعله لانه لم يكن مسلما وقتها وساعتها انما كان متجردا من توجيهات دينه التي تحرم الاذي بكل صنوفه حتى لو لنبات

يستظل الناس بظله من وهج الشمس ،فعلوا ما فعلوه عندما كانت المقاييس العلمانية هي التي تحكمهم ،المنفعة الدنيوية المجردة ،لماذا تقلب الامور ؟

أحب أن أعلق على كلامك عن صلاح الدين الأيوبي البطل العربي المسلم الذي انتصر على الصليبيين الغاصبين في موقعة حطين الشهيرة ،ولا أدري ما الذي ذكرك الآن وذكر حزبك به وبالفيلم الذي يتناول معاركه المظفرة ضد الغزاة ،والذي تصفه انه يأتي على طريقة اذاعة صوت العرب ايام عبد الناصر وصحيفة برافدا السوفييتية ايام لينين ،لماذا يؤرقكم ويشقيكم ان يكون بين حكام المسلمين من هو في قوة وسماحة واخلاق صلاح الدين الايوبي ،التي شهد لها الجميع حتى اعداؤه ،عندما قام صلاح الدين بطرد الصليبيين وعامل اعداءه من خلال هذه الأخلاق الإسلامية الراقية ،كان وقتها مسلما ملتزما بتوجيهات وأوامر دينه ،أما ما تقول انه فعله مع السهروردي ان كان قد حدث وبالطريقة التي تتحدث بها فاحب ان تفهم انه ساعتها ان كان فعل لاسباب دنيوية بحته ،فهو وقتها بالقطع تجرد من اسلامه وتحكمت فيه المقاييس العلمانية ،،ان كان قد حجب الطعام والشراب عن السهروردي هو في محبسه حتى مات وتركه لتتعفن جثته ،فهذا لا يمثل ولا يسيء الى الاسلام في شيء ،لأنه وقتها يا دكتور خالد كان خاضعا لمقاييس حضرتك العلمانية التي تدعو اليها ،والتي لا تعلي الا الهدف الدنيوي ،الدين الاسلامي يا دكتور واقولها الدين الاسلامي لا يمكن ان يدعو الى هذا ،الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث المعروف جدا يقول ان امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلا هي اطعمتها ولا تركتها تأكل من حشاش الأرض ،هذا حكم الله في هرة ،وعندما تدخل أمرأة النار فلابد ان يكون بسبب ان ما قامت به كان منافيا للاسلام وليس التزاما بأوامره فما دخل الاسلام والدين والعلمانية التي تدعو اليها وتبشر بها فيما فعله صلاح الدين الذي لم يحدث الا لأن هذه المقاييس العلمانية هي التي تحكمت فيه وتغلبت على نوازعه الدينية ،لماذا تخلط الأمور هكذا

احب ان اذكرك أيضا بموضوع المنصور الذي قطع اوصال ابن المقفع ،المفكر العظيم وشواها واكلها له والتي تصفها بانها تفوق فيلم الرعب هانيبال ،المنصوراولا ليس هو ولا افعاله ممثلين للإسلام باي صورة ولكن هو سيحاكم امام الله على كل افعاله وفقا للمقاييس الدينية الاسلامية التي تجافاها تماما وابتعد عنها واعلى وقتها الغرض الدنيوي بمعنى انه كان علمانيا ،نحن سنعاقب يا حضرة الدكتور على افعالنا التي قمنا بها وليس امامنا من هدف الا المنفعة الدنيوية كما نراها بنظرنا القاصر، على اللحظات التي اعلينا فيها الاعتبارات العلمانية على الاعتبارات الدينية ،هكذا نضع الامور في نصابها ،الم يفعل المنصور ما فعل الا لان ابن المقفع نصحه بحسن اختيار مساعديه ،ابن المقفع فعل ما يامره به دينه كان في هذا مسلما ،وان كان ما قام به هو ابتغاء مرضاة الله فهو ايضا تصرف اسلامي اخروي بالاضافة لكونه دنيوي ،ولكن رد فعل المنصور لم يكن من الاسلام في شيء ولكنها العلمانية يا حضرة الدكتور!

أريدك أن تفهم بعمق ما تعنيه حكاية الخليفة المنصور وابن المقفع التي ترددها كثيرا ،هل تريد ان تقنعنا ان المنصور لو لم يكن مسلما لما وجد الذريعة ليقطع اوصال ابن المقفع ويشويها ،كان سيلتزم بنصيحة ابن المقفع له باختيار من يستشيرهم !

اذا كان المنصور يقول انه ظل الله في الأرض وهي عبارة يرددها ايضا بعض الفقهاء ،فهل تفهم ما هو المعنى الاسلامي الحقيقي لهذه العبارة ،معناه بصفته الحاكم ان عليه ان يقيم شرع الله ويعلي دينه وينفذ أوامره ويقود البلاد الى كل ما يرضى الله عنه ،هكذا قال الله في القرآن بكل وضوح لنبيه الكريم داود عليه السلام ،:

"يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ"ص 26

الآية قمة في الوضوح ،الله استخدم تعبير خليفة هنا ،جعل الله داود خليفة في الأرض لماذا ليحكم بين الناس بالحق الذي شرعه الله ويبتعد عن الهوى والأهداف الدنيوية الحقيرة فيكون الجزاء أنه يضل عن سبيل الله فيكون مستحقا لعذاب الله الشديد لأنه هكذا نسى يوم الحساب ،وليس معنى ظل الله او خليفة في الارض أنه يكون إلها لا يراجعه أحد فيحكم عليه بالعذاب ،ما فعله المنصور هو صورة من القمع والتنكيل والتعذيب باسم الدين كما يفعل دائما باسم كل شيء طيب ،ابو بكر الصديق يفهم معنى الخلافة الحقيقي فيقول اطيعوني ما أطعت الله فإن لم أفعل فلا طاعة لي عليكم ،هو المكلف والمسئول بتنفيذ اوامر الله وطاعته وان لم يفعل تنزع منه صفة الخلافة ،ولو كنت تفهم اسلامك جيدا يا دكتور خالد وتحترمه وتعلي من شأنه ولا تحكم الهوى والاغراض الدنيئة التي تريد من ورائها إقصاء الدين من حياتنا بالكلية ،لكان انتقادك للخليفة المنصور هو بسبب مخالفته اوامر الله ومراجعته دينيا فيما فعل

ثم لماذا لا تتحدث ابدا عن النماذج التي كان الاسلام هو الذي يحكم تصرفات البشر وتدعو ان نعلي هذه الاعتبارات الدينية ،لماذا لا ترى كيف كان عمربن الخطاب ،وابو بكر الصديق ،والصحابة ،رضوان الله عليهم جميعا يتصرفون عندما يعلون الدين ومبادئه وهو الحال الذي كان يغلب على تصرفاتهم

اريد ان تفهم شيئا يغيب عن طريقتك السطحية المغرضة في التفكير ،ما يفعله كل انسان يراجع عليه بالمقاييس الدينية فيكون خطأ او صــواب اما ان تقيم الحجة على الدين نفســه بتصــرفات الناس ،حتى لو كانوا ينتمون الى هذا الدين طالما لا يفعلون ذلك تنفيذا لاوامره ولكن مخالفة لها فهذا قمة السذاجة الفكرية وقلب الامور

مقالة أخرى :

أتحدث معك يا دكتور أبوالفتوح في البداية كطبيب، وأذكّرك بأن تأخر قانون زرع الأعضــاء كان نتيجة الإصــرار على إقحام الآراء الدينية الفقهية في قضــية طبية، ومازلنا لا نعرف من هو المسؤول عن، وفى رقبة من نعلق دم ضحايا تأخر زراعة الكبد نتيجة هذا الجدل الفقهي؟ المنقذ من هذا الجدل هو الحل العلماني الذى هو حــل يحتكم إلى الرأي الطبي المعتمــد عــالميــاً فقط ويحترم تطور الزمن وتغير الظروف، وأيضـــاً يحترم مبدأ دينياً مهماً ألا وهو العدل وإنقاذ مريض من الموت وتخفيف الألم عنه، وهو مبدأ لا يختلف عليه أي دين وأي إنســان عاقل، هذا مجرد مثال على كيفية الاقتراب من حل مشــكلة بالطريقة العلمانية المختلفة عن الطريقة الأصــولية، والعلمانية أســلوب وليســت عقيدة أو ديناً، هي مجرد أســلوب تفكير ومنهج تعامل وآلية حل، ولذلك فهي ليست ضد الأديان ولكنها أكبر ضمان لحماية الأديان، وأكرر حماية الأديان، لأن الفكر الأصـــولي يحمى ديناً واحداً ويقصـــى الآخرين، إنما الفكر العلماني يحمى كل الأديان لأن همه الأساسي المواطن وسؤاله الأساسي هو عن هذا المواطن حاضره ومستقبله لا دينه وعقيدته،

العلمــانيــة هي التي تحمي جميع الاديــان !كيف ؟إذا كــانــت العلمــانيــة هي النظرة المحدودة الى هذا العالم الذي نعيش فيه على انه الهدف النهائي لوجودنا فيه والتي يجب ان تتحقق المصلحة فيه بعيدا عن اي اعتبار ديني ،بينما الدين يقول ان كل هذا العالم مجرد معبر الى عالم آخر ابدي تعتمد حياتنا فيه من نعيم او شقاء على التزامنا بتعاليم الدين الذي ننتمي اليه والذي تحاول بكل جهد تمييعها وتشـــويهها ومحاربتها واســـقــاطهــا من حيــاتنــا ،ثم تزعم بعدهــا ان هذه العلمــانيــة لا تتعــارض مع الــدين

،الموضـوع كله كما سـأبين لاحقا انها الحرب الضـروس المسـعورة على الدين نفسـه من وراء ستار ما تسميه بالعلمانية والتي تسخر في كل تفصيلة تتحدث بها عنها من الدين نفسه واعتباراته ،ثم

عفوا يا دكتور ان كنت أولا لا اصـــدق هذا التباكي على الذين حرموا من فرصـــة الحياة بزرع كبد بسـبب التعنت الديني والبعد عن المقاييس العلمانية الرشـيدة ،وثانيا خلطك وسوء فهمك وسطحيتك الشديدة التي لا سبب لها الا هذه العلمانية التي تتخذها كدين تتعصب له اكثر من تعصب بعض اصحاب الاديان

يا دكتور الدين الذي تريد ان تنحيه جانبا في موضـوع زرع الاعضـاء ،لمن يفهمون معنى الدين المفروض ان له اعتبار شـــديد هنا على عكس ما تقول ،نقل الاعضـــاء التي وهبها الله لعباده هو تصـــرف مادي اما ان يرضـــي الله او يســـخطه لان هناك طرفان يجب اعتبارهما وليس طرفا واحد تعجز نظرتك القاصـرة على رؤية سـواه ،الطرف الذي سينقل منه العضو وبالتالي يحكم على صاحبه بالموت الاكيد ،ستقول ان هذا الشـــخص الذي من المفروض ان ينتزع منه العضـــو وهو مازال على قيد الحياة لم يلفظ بعد انفاســـه الاخيرة هو في حكم الميت ،لان جزع مخه قد مات ،هنا فقط مجال عمل الاطباء ،هل فعلا ان احتمال موت هذا الشـخص سـريعا هو احتمال مائة في المائة ،اما على اهل الدين هو ان يقولوا كلمتهم في حكم انتزاع عضـــو حيوي من شـــخص ما زال على قيد الحياة وبذلك يحكم عليه بالموت المؤكد حتى ولو كان الموت هو مصـيره المحتوم ، نحن هنا نتعامل مع نفسـين بشـريتين لهما كل الاحترام لا نفس واحده ،والموضوع قابل للنقاش وطرح الحجج التي يستند عليها كل فريق واحترامها وليس الصـاق تهمة التعنت والتشـدد بالدين واهله ،ومن الطبيعي ان ياخذ هذا النقاش كأي موضـــوع مماثل آخر مجراه ووقته حتى تتغلب حجة احد الطرفين ،مشـكلتك انك لا يمكن بوصـفك علماني ان تتفهم وجهة نظر الطرف الذي يختلف معك ولكن تصمه بالجمود والتخلف .

وثانيا اولى من كل هذا ان نجاهد ونصـــارع ونعمل على تقليص عدد الذين ادى الاهمال الجسـيم والاسـتهتار بالأرواح التي تتباكى عليها الى وجود كل هذه الاعداد من الضحايا الذين هم اما اصبحوا في حاجة الى عضو حيوي لينقل لهم لإنقاذهم من الموت ،او في غنى عن احد اعضائهم الحيوية لانهم في حكم الموتى ،هذا فضلا عن ان موضـوع نقل الاعضـاء والسـماح به لن ينتفع به هؤلاء الفقراء المطحونون لأنه

كما تعرف عالى التكلفة وامكانيات الدولة لا تســـمح بإجرائه على نفقتها فالأمر لم يختلف معهم عندما تم إجازة القانون

وليســأل كل منكم نفســه عن المســاجد التي شُــيدت في أوروبا من أموال دافعي الضــرائب هناك بجانب الكنائس والمعابد اليهودية والبوذية، ويكرر نفس الســؤال والبحث عن بلاد أصــولية في محيطنا العربي لا ترفض بناء الكنائس والمعابد فقط بل تمنع وتجرم بناء مســاجد لأصــحاب المذاهب الإســلامية المختلفة عن مذهب العائلة الحاكمة!

نعم ويااليتك انت تسـأل نفسـك أيضـا عن الموارد والأموال التي نهبت من أهل البلاد التي فرض عليها أصحاب هذه الحضـارات سيطرتهم ،ولكنها دائما نظرتك الأحادية !

: «إن الدين يجل عن مخالفة العلم الحديث، فإن وقعت المخالفة وجب تأويل الدين»؟!

لا أذكر على لســان من أورد هذه العبارة ،ومن الغريب هنا ان حضــرة الدكتور قد غير رأيه من وجوب فصـــل الدين عن العلم إلى تأويل الدين بما يتوافق مع العلم !وعلى كل حال نعم اتفق مع قائلها أن الدين يجل عن مخالفة العلم ولكن اختلف معه وبشده في موضوع تأويل الدين ليتفق مع العلم وهي العبارة التي لا يمكن للدكتور ان يتفق مع قائلها الا اذا كان وراءها تلميح يضر بفكرة الدين كعادته ،تأويل يعني تغيير المفهوم بما يتفق ،هذا يعطي انطباع هنا في هذه الحالة على ان فيه شـيء من التلفيق لتحقيق هذا الاتفاق ،وهذا ما لا يمكن ان يكون ،اذا كان الله سبحانه وتعالى هو خالق العلم وهو ايضــا منزل القرآن وما فيه من مفاهيم دينية فالمحتم انه لا يمكن ان يوجد اختلاف بينهما فإذا ما حدث الاختلاف فلا يمكن ان يكون هناك الا احتمالين ،اما ان يكون هذا نوع من العلم الغير ثابت والذي مازلنا في طور اكتشـــافه ،اي ليس حقيقة علمية ثابتة وراســـخة ،او يكون فهمي للدين او القرآن فيما يخص هذه الفكرة هو الخـاطئ ،أمـا ان اقوم بتحوير معنى النص ليتوافق مع العلم فهـذا تكلف مرفوض

والدين ليس بحاجة اليه اطلاقا لأنه لا القرآن يمكن ان يختلف مع صـــنع الله منزل القرآن ،وما اكثر الآيات التي كنا لا نفهمها بعمق واصــبحنا الآن اكثر فهما لها مثل آيات توســع الســماء وما يتعلق بعلم الاجنة والنطفة الامشــاج والنطفة التي خلق الله منها الانسان فقدره ،وغيرها

أليست علمانية صرخة الإمام محمد عبده حين قال: «إن تعارض العقل والنقل أُخذ بما يدل عليه العقل، ولكل مسلم أن يفهم عن الله، وعن كتاب الله، ومن كلام رسوله دون توسيط أحد من سلف ولا من خلف»؟

وأســـأل بالله عليك اين هذه العلمانية المزعومة ،العلمانية تعني الهدف هو الدنيا والوسيلة كذلك ،وعندما يصرخ حسب تعبير الدكتور خالد الشيخ محمد عبده بإعلاء قيمة العقل عن النقل عند تعارضــهما اقول لا يمكن من الأســاس أن يتعارضــا ،ثم كلامه لا يمكن ان يعني اســقاط الاعتبار الديني واعمال الاعتبار العلماني الذي يروج له د. خالد ،ولكن يعني محاولة فهم الدين بعمق لإزالة هذا التعارض الظاهري

ثم موضوع ان يفهم كل مسلم عن الله وعن كتاب الله ومن رسوله كما يشاء فالشيخ اشترط ان الذي يفهم ان يكون مسلما اي يدين بالإسلام ويفهمه جيدا ويعلي اعتباراته ويعلم ما يترتب على اتباعه او عدم اتباعه لأوامر الله ،وليس كل انسان منسوب الى الاسلام او يدعيه ولكن يحكم الهوى والاغراض الدنيوية اي علمانيا يتلاعب بمعني القرآن حتى يصف حضرة الدكتور كلام الشيخ محمد عبده بالعلمانية ،واذكره مرة اخرى بمقولة الشيخ نفسه عن الاسلام في اوروبا الذي يأتي من قبل غير مسلمين ليعلم ان فهمه الذي تسيطر عليه المقاييس الدنيوية العلمانية لكلام الشيخ هو مجرد تحكيم هوى النفس وقانا الله شره

أليست علمانية ما قاله عبدالقادر حمزة في المقتطف 1904 حين كتب «القرآن لا يتضمن سوى قوانين عامة لجميع الناس، وإن لكل أمة حق التصرف انطلاقاً من الحكمة المتضمنة في هذه القوانين»؟

ألست معي في أن العلمانية هي حل بسيط لكل هذه المشكلات والتناقضات، وأهم ما فيها أنها لا تدّعى العصـــمة، وإصـــلاحها ونقدها وتغيير قوانينها لا تعتبر ردة أو كفراً؟

الحقيقة اننا لسنا في حاجة إلى الأستاذ عبد القادر حمزة ولا جريدة المقتطف لنعلم أن الدين لا يدخل في كل تفصـــيلة في القوانين التي تســـنها الدولة ،ولكن هناك احكاما دينية عامة يجب ان تلتزم بها ولا تخالفها القوانين الوضـــعية التي تراعي ظروف البلد ومصـــلحته ،وهذا ما تعنيه تماما المادة الثانية من الدســـتور والتي يحاربها العلمانيون وعلى رأسـهم حضـرة الطبيب نفسـه ،فإذا قال الاسـتاذ حمزة إن لكل أمة حق التصـــرف انطلاقاً من الحكمة المتضـــمنة في هذه القوانين»؟يعني القوانين الموجودة في القرآن اي انه في الذهاية إعمال الشـــريعة وعدم مخالفتها فأين هذه العلمانية المزعومة هنا ؟

<u>وفي مقال بعنوان نحن متدينون بالفطرة علمانيون بالضرورة</u>

مازال الســـلفيون يعتبرون حلمى النمنم، وزير الثقافة، هو عدوهم الأول، ومازالوا يراهنون أن وصولهم إلى البرلمان سيمر على جسر شتيمته وانتقاده وسبه على المنابر، كل هذا العداء والتربص لأن حلمى النمنم قال عبارة بديهية جداً، وهى أن

مصر علمانية، تصحيح العبارة من وجهة نظري أن مصر نصف علمانية أو شبه علمانية، وأن مصدر معظم مشاكلنا أننا لسنا دولة علمانية بجد وبحق وحقيقي، يصرخ السلفيون: نحن شعب متدين بالفطرة، وماله برغم أنى أجد الأخلاق في الحضيض والسلوكيات في أسفل السافلين، لكن حنعديها، إذا كنا متدينين بالفطرة فنحن علمانيون بالضرورة، وهى ضرورة اللحاق بالحداثة والحضارة التي لن نصل إليها إلا بالعلمانية، خطابي لن يكون للسلفيين ولكن للمواطن الذى ضحك عليه السلفيون وأوهموه بأن العلمانية هي الجاهلية الكافرة الملحدة، وأن العلماني هو الشيطان سفير جهنم،

تصحيحا لكلامك وكلام حلمي النمنم اقول نحن لسنا دولة علمانية ولكن دولة يسيطر على كل مقاليد الامور فيها ،اناس يدينون بالعلمانية ويتعصبون ضد الدين يريدون تهميشه تعصبا يفوق تعصب المتحدثين والمتطرفين باسم الدين ،يسيطرون على الاعلام ،الصحافة ،وقنوات التليفزيون ،والمناصب المؤثرة ،والفن وكل ما من شأنه توجيه الناس وفتنتهم في دينهم ،تقرير حلمي النمنم عن علمانية مصر الذي تصفه بأنه عبارة بديهية جدا كما هو حالك في توصيف الافكار التي تتفق معها هو ايضا نوع من الحجر عما يراه الآخرون ،حتى انك تبرر هجومهم عليه على انه جسر يعبر بهم الى البرلمان ،وهكذا تسمح لنفسك بما تنكره على الآخرين ،لا تعترف او تقر بان هناك من يختلفون معك في رؤيتهم لما يجب ان تكون عليه بلدهم ،وجود حلمي النمنم على راس وزارة مهمتها تثقيف المواطنين وانماء وعيهم وتقريره ان مصر دولة علمانية هو اكبر دليل على ماذكرته منذ قليل وهو ان مصر يتحكم في وعي المواطنين فيها وثقافتهم اناس يدينون بالعلمانية ويروجون لها امثالك وامثال حلمي النمنم ووزير الثقافة الاسبق الذي جلس على كرسي الوزارة ربع قرن من الزمان ،وكأنه لا يوجد من هو في كفاءته وهو لا يعرف عدد اركان الاسلام فيقول هل الحجاب ركن من. اركان الاسلام الاربعة عندما هوجم بسبب سخريته من موظفة قررت ارتداء الحجاب ،وكأنه يظن ان الاسلام مثل الحجرة التي لها اربعة اركان ،معلومة يوصف بالجهل طفل لا يعرفها وهو مازال لم يغادر المرحلة الابتدائية بعد

ثم من أعطى د. حلمي النمنم الحق أن يتحدث باسم المصريين جميعا فيصف بلدهم بأنها علمانية وهكذا يقرر أمرا المفروض أن يقرر في الدستور ويتفق عليه الجميع ،فهل فعلا جموع الشعب المصري تريدها دولة علمانية كما يصرح وزير ثقافتهم ،الدليل على منافاة هذا الادعاء للحقيقة هو تبريرك هجوم وشتائم السلفيين للسيد وزير الثقافة بأنه جسر يعبرون به إلى البرلمان **!**،وهكذا أن تعترف دون أن تدري أن معارضة أفراد الشعب لتصريحات الدكتور حلمي النمنم من الوضوح واليقين حتى ان السلفيين يستخدمون من الهجوم عليه وسيلة لإرضاء

الشـــعب كي ينتخبهم ،هل يعني هذا أن الســـلفيين يتفقون مع وزير الثقافة في علمانية مصـــر ولكنهم يتظاهرون برفضـــها طمعا في كرســـي مجلس النواب ،هل تعرف لماذا تتخبط يادكتور خالد في اقوالك ؟ لأن الكثير منها يخرج من فمك دون اي قناعة به حقيقة ،انت لا تقصـــر في انتهاز الفرص لالقاء التهم جزافا والدخول في نوايا من تناصـــبهم العداء ،تريد ان تلحق بالسلفيين صفة ممالأة العامة لمصلحتهم وتنسى ان موقفهم لا يختلف عن هؤلاء العامة بالنسبة لما يسمح لنفسه منفردا بإعلانه السيد الوزير دون أن يوكله أحد في الحديث باسم مصر كلها

ثم ما هذه البديهية التي اعلنها الســـيد الوزير وكأنه امر مفروغ منه والذي تحاول اثباتها بهذا الدليل المتهافت من اقوال البعض والذي على فرض منطقيته لا يقيم حجة ولا ينهض دليلا على بديهية علمانية مصـــر كلها وليس اكثر من رأي يمكن بمنتهى الســـهولة الرد عليه و يوجد في مواجهته أضعافه من آراء

الفصل الثاني

هل الدين يكتسب بالوراثة ؟

في مقال بعنوان الدين والســـبوبة والعلمانية يذكر خالد منتصـــر ان ا لغالبية العظمى من اهل مصر مسلمون سنيون ، وانهم اكتسبوا دينهم بالوراثة هكذا يقول :

"هل بوســـع أحدٍ أن يُجادل في أن الإســـلام هو دين الأغلبية الســـاحقة من المصـــريين؟ هل بمقدور أحد أن يُنكر أن تلك الأغلبية تعتنق المذهب السني؟ هل يستطيع أحد أن يدعي أن تلك المسألة حدثت لسببٍ غير أن هؤلاء وُلدوا فوجدوا أنفسهم مسلمين على مذهب أهل السنة والجماعة؟! هذه حقيقة معلومة للجميع، ولا أتصور أن باستطاعة أحد أن يجادل بشأنها."

عفوا بالقطع هذا الموضـــوع الذي تتحدث فيه عن هذه المعلومة التي تقرر انه لا يمكن ان يجادل احد بشأنها اعمق بكثير من هذا التناول الضحل الذي هو سمة من سمات خالد منتصر في التعامل مع المواضيع العميقة

لو قرأت باقي الموضوع وسأورد فقرات منه لعلمنا ان الفكرة التي يدعو اليها هو ان المفروض ان كل انســان يفهم القرآن حســب ما يرى وانه لا داعي اطلاقا لوجود ما يعرف برجل دين ، وان هذه المهنة هي عبء على دافعي الضرائب ، وان رجال الدين هم الذين ابتدعوها بزعمهم ان القرآن وحده لا يكفي ولا يمكن فهمه بمفردنا ، على الرغم انه وصـــف في بعض آياته انه ميسر للذكر وذلك حتى يكون ممارسة الدين بالنسبة لهم سبوبة كما وصفها ، ولذا فالحل الاكيد هو طبعا في العلمانية ، التي لا ادري ما علاقتها بفهم القرآن ، ولا ما هي مناســبة ذكر ان الغالبية العظمى من المصريين خرجوا الى الدنيا فوجدوا انفسهم مسلمين وانهم لا خيار لهم في ذلك ،هنا هو ينتهز الفرصــة ليؤكد على فكرة ان الدين الاســلامي شــأنه شــان اي دين آخر لا يكتسب الا بالوراثة . ان هذه الحقيقة لا جدال فيها

وعندما يقال ان الدين يكتسب بالوراثة فهذا يعني انه لا عقل ولا حكمة ولا منطق في الانتساب اليه .

كون الانســان يجد نفســه قد جاء الى الدنيا وله ابوين مسـلمين مما يسـتتبع ذلك ان يصـبح هو الآخر مسلما شيء

وكون الدين نفســه او القرآن لا يمكن الدخول فيه او الانتماء اليه الا عن طريق الوراثة شــيء آخر

من الطبيعي ان الانســان يولد لأبوين لهما او لكل منهما انتماء ديني معين ، بما في ذلك الالحاد او الكفر ، ان يكونا ملتزمين بما ينتميان اليه او يكون الالتزام بالاســم فقط ، وفي كل الاحوال الغالب ان يتأثر الولد بشيء من هذا

ولكن هل القرآن الكريم ككتاب مقدس يدعونا الى ان نتبع ماو جدنا عليه آباءنا وان يكون هذا هو ســبيلنا الى الايمان بالله، واتخاذ الاســلام دينا ؟لا يوجد آية واحدة في القرآن تامرنا ان نتبع آباءنا

الحقيقة ان القرآن قد حدد الطريقة التي نصـــل بها الى الله ، في آيات كثيرة ، الله يقول: " قل هذه ســـبيلي ادعو الى الله على بصـــيرة انا ومن اتبعني ..."فالايمان بالله يجب ان يكون على بصـــيرة حتى لو كان الطريق من البداية الذي اعتنقنا الاســـلام من خلاله والذي تعرفنا عليه كدين هو ظروف نشأتنا مسلمين

الله ســبحانه وتعالى ينتقد بشــدة هؤلاء الكفار والوثنيين الذين يتعللون بتمســكهم بالضــلال انهم وجدوا عليه آباءهم ، ومن الطبيعي انه لا يمكن ان يدعو ولا يؤيد ان يكون تمسك الانسان بدينه هو بســـبب انه وجد عليه آباءه ، لأنه حتى ولو حدث وكان هذا الدين هو الدين الحق ، فطريقة الاعتناق هذه ستجعله يتعامل معه بطريقة خاطئة ، وسيكون نموذجا سيئا للمسلم لأنها طريقة تلغي العقل الذي هو قوام الوصول الى الله ،وعبادته

والحقيقة الطريق الى اعتناق اي دين باطل والالتصاق به ، لابد ان يكون بعيدا عن العقل والمنطق ،والوراثة هي اهم وســيلة ثم بعد ذلك التأثر العاطفي البعيد عن المنهج العقلي ، وذلك لان اي دين باطل ، مزيف ، مبتدع ، محرف ، لا بد ان يحتوي بل ويعج بكل دلائل زيفه ، لا يمكن لإنسان يحترم عقله ويعي ويفهم ان يعبد صنما يصنعه بيده او هو الذي يحتاج الى حمايته ، ولكن الامر يختلف قطعا بالنسبة للدين الحق

اذا كان الله ســـبحانه وتعالى له كل الحيثية والاهلية ان يعبد ، اذا كانت اظهر حقيقة في هذا الكون هو انه خلق وراءه خالق ، فلماذا يريدنا الله ان نلغي عقولنا التي تعمل وراء حواســـنا وســمعنا وابصــارنا ، والتي تقودنا حتما الى الايمان بهذه الحقيقة ويطلب منا ان نؤمن به ايمانا اعمى او بمبدأ وجدنا عليه آباءنا

المشكلة ان الدكتور خالد منتصر لديه مجموعة من الافكار المصبوبة في قوالب مجمدة وليست لديه مرونة ولا نظرة عميقة لتميز الامور من بعضــها ، فليس معنى ان الله ســبحانه وتعالى قد يسر علي الطريق وجعلني فضلا منه ومنة ان اتعرف على القرآن واتعامل معه مبكرا انه لابد ان يكون هذا ايمان عن طريق الوراثة ، الهداية الى الحق تأتي من الله وقد يكون تعرف الانسان على طريق الدين الحق عن طريق ظروف نشأته ، كما ان هناك احداث وسيناريوهات لتدابير لا تنتهي يمضــي الله بها مشــيئته في التعرف الى الحقيقة كأي شــيء آخر ، وقد تكون الحقيقة تحت سمع وبصر انسان ولكنه يصر على التعامي عنها ،فليس معنى تمرد سيادته على الوراثة انه هكذا اعمل عقله ، فالحقيقة التي قد لا يشــعر بها ان رفضــه الايمان بالقرآن وما

فيه ورفضــه لفكرة الاله الخالق ولفكرة الدين عموما ليس لان كل هذه الافكار التي انتقلت اليه بالوراثة مرفوضة عقليا ومنطقيا ، ولكن لأنه يعمل هوى نفسه ،هو لا يريد الحقيقة كما هي ، ولكن يصـنعها وفق هواه ، الايمان بالله له متطلبات تسـتغرق عمق الحياة ، متطلبات وقيود في ايماننا وتصــرفاتنا ، وخشـية وخوف من مصــير لا نعلمه ، فهو يريد ان يتخلص من هذا كله ويعيش حياته كما يريد ، والدليل انه يحكم الهوى ،هذا الاســلوب الذي يتبعه، من يريد الحقيقة خصوصا في هذا الموضوع ذو الاهمية القصوى يجتهد ان يصل اليها بتجرد وموضوعية ، لا بالســخرية والاســتهزاء والتعالم ، وقلب الامور والتلاعب بالكلمات ،ورفع من يتفق معه الى اعلى عليين وخسف من يختلف معه في اسفل سافلين بهذه الطريقة الصبيانية .

وأريد أن أســأله : انت لديك ولدان فبماذا يدينون ؟ هل بالدين الاســلامي ، هل يؤمنون بالقرآن كما يؤمن به الاغلبية الســاحقة التي تتحدث عنها من اهل مصــر ، ام ان ظروف كونك ابيهم جعلت الموضـوع يختلف معهم وينظرون الى القرآن نظرتك ؟كتاب يردد ما كان شـائعا عصـر ظهوره من افكار علمية مغلوطة ، وينقل معلوماته من اســاطير الحضــارات الوثنية ،وافواه القابلات ، وتقع بعض آياته في فخوخ لا سبيل الى الفكاك منها مما يعني انه صورة من معارف عصــر ظهوره ، هل ينظران نفس النظرة العالية الى دارون وكتـابه العظيم ؟ هل يؤمنون بالخلق ، ام انهم مثلك يرون ان موضـوع الانتخاب الطبيعي قد حل مشـكلة نشـأة الكائنات ولا داعي لإلـه ، لو قلـت لي انهم يؤمنون بـالقرآن ولا يجـارونـك فيمـا ترى ، فهـذا دليـل على ان المسألة ليست مسألة وراثة ، ولو قلت لي انهم يشاركونك كل ما تعتقد ، فها هم ايضا قد سلكوا نفس السبيل الذي تنتقده للآخرين ، اتبعوك وافكارك بالوراثة ، ولو قلت انهم قد اقتنعوا بالحجج العظيمة القاطعة التي لا تدحض التي تقدمها لهم ولا تكف عن ترويجها للآخرين ، اقول لك ولماذا لا يكون هذا ايضـا هو حال اهل السـنة ثم اقول لك واذا ثبت كما اوضـحت لك ان كل ما تعتمد عليه من ادلة من اول فهم موضوع السونار الذي امدك بعلم ما في الأرحام الى موضوع تأثر القرآن بما تقوله القابلات ،..... الخ هي كلها اوهن من بيت العنكبوت ، ومجرد اوهام وضلالات ، واذا قلت لك كما سأوضح واوضحت ان القرآن فعلا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وانه فريد لا يأتون بمثله فألا يعني هذا ان موضوع الوراثة الذي تتحدث عنه او تزيين وتنميق ما يتماشــى مع الاهواء هو الطريق الذي لا يمكن ان يســلك ســواه امثال حضـرتك لحث الناس على التعامي عن اوضـح واظهر حقيقة في هذا الكون حقيقة الخلق الذي وراءه اله خالق ، وانه على عكس ما تقول حتى ولو كان معظم او الغالبية الكبرى من الناس قد وصــل اليهم الدين عن طريق والديهم فان هذا لا يعني اطلاقا انه لا حجة ولا راي ولا منطق

وراء الايمان به ، وانه كما انك تزعم انك قد اســـتخدمت ما تظنه منطق وعقل وراي لإقناع اولادك بما ترى ، فهذا ايضـــا ما يفعله الآباء المقتنعون بدينهم ، وان المفروض بدلا من هذه الاتهامات المتبادلة ان نتناول الموضوع نفسه بكل تجرد وموضوعية للإجابة على اخطر سؤال يطرحه انسان على نفسه ، هل يوجد اله للكون ، يجب ان يعبد ، وعلى اي دين وبصفتي مسلمة اومن بالقرآن والاسلام عن قناعة سأحاول افهام حضرتك كيف يقنعنا القرآن بكل الغيبيات عن طريق عالم الشهادة ، كيف نرى الله وندركه من خلال هذا الكون ، مما يتطلب الاجابة عن هذا السؤال

هل الكون الذي نعيش فيه هو كون يمكن ان يفسر من خلال نظرية التطور وتطوراتها ، ام انه كون لا يمكن ان يأتي بدون قوة عظيمة خارقة اســـمها الله ســـبحانه وتعالى ، وهل قام القرآن بإثبات ان الاجابة الثانية هي الاجابة الحقيقية الصحيحة من خلال آياته ،

الحقيقة ان القرآن الكريم مليء بالآيات التي تجيب عن هذا الســـؤال ، فكما اوضـــحت ســـابقا الطريق الى الله يعتمد اولا على كون يدل على اله ثم على آلة اســـتطلع بها الكون ، ثم على خصوصية في هذه الآلة تجعلني اوقن بان وراء ما تراه حواسي اله يجب ان يعبد

الله لا يتحدث الينا حديثا مفصـــلا يتناول كل معلومة بالشـــرح والتحليل واثبات ان وراءها اله ، ولكن الله ســـبحانه وتعالى يعطينا في القرآن نماذج لبدايات خيوط للتفكير والوصـــول اليه عن بصيرة من خلال خلقه ، هذه البدايات يستغرق فيه كل انسان حسب ما يسمح له علمه وعقله ليقوده الخيط في النهاية الى الله على اي مستوى من العلم او القدرة على التفكر ، وهذه البدايات ليســت على ســبيل الحصــر ولكنها الطريقة التي يوجهنا الله من خلالها كيف نتعامل مع دقائق وتفاصيل اي معلومة نجدها في كتاب متخصص او منظر تقع عليه ابصارنا ، حتى ولو كان نملة صـــغيرة لنحصـــل على الفائدة الكبرى من المعلومة ، الفائدة الباقية التي تتعلق بالمهمة الوحيدة التي ما خلقنا الا من اجلها

بالنسبة لمن يؤمن بالله مسلما كان او مسيحيا او يهوديا هناك نوعان من المعارف ، نوع يتعلق بعالم الغيبيات ، الله ، البعث النشور الحساب الجنة والنار ، ونوع يتعلق بعالم الشهادة يخص كل انواع المعرفة الكونية والعلوم المعروفة ، من فيزياء وكيمياء وبيولوجي ورياضـــيات ،

سأطلق عليهما وصفا آخر ، نوع من المعارف يتعلق بالخالق ،وجوده ، طبيعته وحدانية مطلقة ، تعدد ، وحدانية وتعدد ، شـــريعته وعبادته واوامره ونواهيه ، وكل ما يخبرنا به ، ونوع من المعارف يتعلق بالخلق ، اما لماذا اخترت صفة الخالق للحديث عن الله ، لأنها هي الصفة التي تحدد اذا ما كان هناك اله ام لا ، من يؤمن بوجود الله يتبع ذلك بإيمانه ان كل ما في الكون هو خلقه ، ومن ينكر وجود الله لابد انه يرى تفســيرا آخر لوجود هذا العالم ، ولا معنى اطلاقا لما يزعمه د. خالد منتصر من عدم تعارض علمانيته مع الايمان بالله في الوقت الذي يرفض تماما فكرة الخلق بالأســـاس كما يقول ، اما من لا يؤمن بالله فليس لديه الا نوع واحد من المعارف وهي كل هذه العلوم في هذا الكون والتي نصـــل اليها بحواســـنا المجردة ثم بعد ذلك بالأدوات العلمية والمنهج العلمي والدراسة والابحاث ، وهؤلاء التفسير الوحيد لديهم في نشأة الكون انه وجد من تلقاء نفسه ، ثم جاءت نظرية النشوء والارتقاء لتفسر بدء الحياة وتطورها على هذا الكوكب

وعلى ذلك فدارون ونظريته بالنسبة لهم هي السبيل الى مواجهة ما يرونه مزاعم من يؤمنون بالله ويرون الدليل القاطع لديهم هو هذا الكون وهذه الاشـــكال من الحياة ، هناك في الحقيقة نظرتان الى نظرية دارون ، نظرة الملحدين واللادينيين التي ترى ان دارون قد قدم الدليل العلمي على عدم حاجة الكون الى اله ، ونظرة المؤمنين بالله الذين يرون ان الله لم يخلق الكائنات بالارادة المباشرة ولكن مثل اي شيء آخر وفق سنن وقوانين ، فكان قانون التطور هو السنة الالهية التي وفقها خلق هذه الكائنات

وهكذا نرى ان من يؤمنون بالله ينظرون الى كل عناصر الكون والمعرفة المتعلقة به على انها خلق خالق ، ومن ينكرونه يرون ان نظرية دارون هي التفســير الكافي وعلى ذلك لا يتحدثون عن الكون انه خلق

انا بصفتي مسلمة وكتابي الكريم هو القرآن اقول ان القرآن بما انه يريدنا ان نصل الى الله عن قناعة وبصيرة ويقين فهو يتخذ هذا الخلق على انه السبيل الوحيد للوصول الى الخالق والكثير من آيات القرآن مهمتها كما اوضـــحت هي بيان الكيفية وســـأتخذ من عنوان الكتاب الذي الفه انتوني فلو وسيلة ، عندما يقول انتوني فلو لا يوجد وهو يقصد الحديث عن الله ، فهذا يعني بكل وضوح انه ينظر الى كل هذا الكون على انه وجود لا يدل على اله ، ولكن عندما يقوم بشطب كلمة لا ويبقي على كلمة يوجد ثم يتبع هذا بقوله ، كيف غير اشرس الملحدين رأيه ،وكيف هذه الذي هو موضوع كتابه لم يكن سوى نظرة أكثر عمقا وتفهما للعلم وحقيقته ، ، و هكذا

لفظ ايمانه السابق بنظرية دارون كتفسير لوجود الكون بدون حاجة الى اله وبالتالي الى رفض فكرة لخلق ، اذا كل ما توصـــل اليه انتوني فلو هو ان هذا الكون هو خلق يدل على خالق ، ولكنه بالقطع لم يكن باســـتطاعته معرفة ما الذي يريده هذا الخالق ، او ما هي طبيعته وكيف يؤمن به ، فمثل هذه المعارف هي غيبيات لا يوجد ســـبيل اليها الا الوحي الذي اتي عن طريق الكتب المقدسة والانبياء المرسلة .

.

الفصل الثالث

،الاقتصاد بين الدين وعلمانية د. خالد منتصر

سأتعرض هنا لبعض شئون البلاد التي تبدو في ظاهرها كما يروج العلمانيون ،امورا دنيوية بحتة لا يجب إدارتها إلا من خلال مقاييس واعتبارات دنيوية ،وهل حقا المفروض أن الدين ليس له شأن بها ،وسأضطر أحيانا إلى عقد مقارنة فيما يخص هذه الامور بين دولة علمانية ،وبين دولة الدين له كلمة ووضع فيها ،وسأبدأ بموضوع الاقتصاد .

لا ينكر أحد أن الاقتصـاد هو عصـب الحياة في أي مجتمع ،وأن النمو الاقتصـادي والانتعاش والرفاهية هي هدف أسـمى لكل مواطن ،وأن أمور الحياة كلها ،من صـحة وتعليم ،وزراعة ،وصـناعة تتأثر كلية بالحالة الاقتصادية ،ليس هذا فقط فإنه حتى الظروف الاجتماعية في الدولة ،هي قرينة الحالة الاقتصادية ،معدل الجرائم ،الفروق بين الطبقات ، والعلاقات بين الناس وبعضـها ،أمور كلها يبدو من ظاهرها أنها تتعلق بشـدة بهذا العالم ،وعلى ذلك فلابد أن تدار كل الأمور المتعلقة بالاقتصـاد من خلال نظام وعلم ،وخبرة ،ودراسـة يبدو طابعها كله دنيوي ،أي علماني ،فالهدف علماني دنيوي لابد أن تكون الوسـيلة كذلك ،فهل فعلا يجب أن ننحي كل الاعتبارات الدينية جانبا لنحظى بهذا الرخاء والتقدم الاقتصادي

يقول الدكتور خالد منتصـر متحدثا عن الداعين للدولة الدينية ، فإذا كان حديثهم عن البركة حولته العلمانية الى حديث عن خفض نسبة التضخم ومحاربة البطالة

د. خالد في مقارنة له بين دولة تدار اقتصاديا بمعايير علمانية وأخرى تعلي الاعتبارات الدينية أن الأولى تدار بطريقة علمية موجهة إلى الصـالح العام ، بينما الأخرى تحكمها الدروشـة ،على أسـاس طبعا أن الدين لا دخل له بالاقتصاد ،فهل هذا هو الواقع

الدين يخبرنا أن المال هو مال الله ونحن مستخلفون فيه ،أي أننا نتصرف فيه سواء في طريقة الحصول عليه ،أو طريقة إنفاقه ،بأسـلوب حدده الله لنا ،أي أن التعامل في الشـئون المالية هو شـيء من العبادة ، التي سـنحاسـب عليها ،هناك طرق حللها الله وأخرى حرمها سـواء في التعامل المالي ، وفي العلاقات المادية بين الناس وبعضـها ،الرسـول يخبرنا أنه لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسـئل عن ماله كيف اكتسـبه وفيم أنفقه ،وعلى ذلك فالاعتبار الديني المتعلق بالمال هو اعتبار موجود وقوي وهو جزء من الهدف من وجودي في هذه الدنيا ،ومن حقي كمواطن أنتمي إلى هذه الدولة ،أن توفر لي الدولة الطرق الشـرعية التي بها اتكسـب المال وفيها انفقه ،يجب أن يكون هناك طريقة ترضـي الله الذي اعبده استثمر من خلالها مالي ،البنك الذي اضع فيه مدخراتي ،يجب أن اطمئن أني لا أعصي الله بسبب تعامله ،ومن المفروض أيضـا أن الدولة التي اتعامل معها ليسـت مجرد آلة ،أو حاسـوب ،ولكن ناس مثلي مواطنين ،لهم نفس اعتباراتي الدينية حيث اني امثل الاغلبية ،وليسوا افرادا قد قاموا بتنصيب أنفسهم بلا مناسـبة أوصـياء علي وعلى اهتماماتي الدينية وقرروا فرض مقاييس تضـرب بهذه الاعتبارات الدينية عرض الحائط بأسـلوب المتعالي الذي يحتكر معرفة كيف يجب ان اسـير اموري المالية ،وإلا إذا كانت هذه هي العلمانية فأين هذا الاحترام المزعوم لكل من اعتبار المواطنة واعتبار الدين لدي

هذا من جهة ،ومن جهة أخرى لنفترض إعمال هذا المنطق الذي يتعللون به ،وهو الصـــالح المادي الدنيوي الذي يزعمون انه يتعارض مع اعتباراتي الدينية ،هل فعلا هذه الاعتبارات هي المســئولة عن التدهور الاقتصادي الذي نعايشة وأن الحل هو في العلمانية الرشيدة ،أم أن الموضوع كما سأبرهن لاحقا هو حرب ضروس مسعورة على الدين نفسه والتعلل والحجة هو المصلحة والتقدم والرفاهية ولنسأل :

ما هو حال الاقتصـــاد في بلادنا ، لا يخفى على احد : البلد تئن من الديون وفوائدها ، تدهور في الصـــناعة والزراعة والتجارة ، تدهور في قيمة العملة المحلية ،وازدياد نســبة التضـــخم والبطالة . اتســاع الفروق الرهيبة بين الطبقات ،هل يمكن لأحد أن ينكر هذا ،أليس من أجل هذا الوضع الاقتصادي المتردي ينادي هؤلاء بالعلمانية لحل كل هذه المشاكل ،والسؤال هو ،ما هي تحديدا هذه المقاييس العلمانية التي يريدون تطبيقها في مجال الاقتصـاد ،ومن هو المسئول أصلا عن هذا التدهور الاقتصادي هل هو الدين الذي يريدون تغييره عن طريق العلمانية

الغريب أن المســئول عن الحالة الاقتصـــادية المتردية ليس له علاقة من قريب أو بعيد بالاعتبارات الدينية في بلدنا جميع الوزارات التي لها علاقة بالاقتصـاد ليسـت لها اي صـفة دينية ، وزارة الاقتصاد ، المالية ، التخطيط ، التجارة ، الصناعة ، الزراعة ، وعلى راس كل منها بل وجميع موظفيها من اول الوزير حتى اصـغر عامل ليس لهم اي وضـع او صـفة دينية وكلهم متخرجون من كليات ليســت دينية ، والمواد التي كانت تدرس لهم بالقطع لم تكن الفقه والشـــريعة ولكن مواد من التي يتحدث عنها د.خالد ، تتبع المنهج العلمي ، تدرس النظريات الاقتصادية ،والمحاسبة ولم نسمع ان احدا حاول ان يخلع رداء القداسة على افكاره ونادى بان يدار الاقتصـــاد في مصـــر بالبركة ! ومع ذلك فهو بالقطع يدار بالبركة ، هذه الكلمة التي يستخدمها المصريون عندما يصفون امرا يسير بعيدا تماما عن العلم والعقل والمنطق والنظام فتكون النتيجة ابعد ما تكون عن البركة ، مع كل طلعة شمس مطلوب منا سداد ديونا وارباحها تقدر بمئات الملايين من الجنيهات او الدولارات ، لا يدري احد فيما انفقت والبلد بكل هذا التردي !، الزراعة الصـــناعة ، حدث ولا حرج تزايد عدد من هم دون مســـتوى الفقر ، العشوائيات، البطالة ، الطرق التي يفوق ضحاياها ضحايا الحروب ، التضخم الذي يتحدث عنه

د. خالد ، ما الذي منع هؤلاء المسـئولين من خفض نسـبة التضـخم ، او محاربة البطالة ، او تحسين الاقتصاد عموما ، ما هي المقاييس الدينية المتخلفة التي تضع رداء القداسة على الافكار الرجعية التي سببت كل هذا حتى نتخلص منها ونبدلها بالمقاييس العلمانية التي تتحدث عن رفع مستوى الفرد

بالقطع هذا التردي الذي نعيش فيه له اسـبابه وطرق علاجه ، تعرف بطريقة علمية جادة ، اما ان نلقي باللائمة على الدين ورداء القداسـة والبركة ، ونزعم ان الحل في العلمانية فلا يمكن ان افهم من هذا سـوى هي الحرب المعهودة على الدين والترويج للعلمانية التي لا تعدو سـوى اداة لهذه الحرب ، انكار كل ما يمت للدين بصلة في حياتنا والحجة الجاهزة هي التقدم

لو كان شـان البلد واقتصـادها فعلا يهم د. خالد وحزبه لبحث عن اسـباب هذا التردي الحقيقية وقاد البلد بما له من قدرة واضـحة على القيادة الفكرية لكل فكرة مسـتنيرة تؤدي الى تجاوز كل هذا التخلف الاقتصـادي والفقر والمعاناة ، ولكن ليست هذه مشكلته، مشكلته الحقيقية هي كيف نتخلص من الدين في حياتنا

والآن من الذي اخبر د. خالد ان الدين يقف في تعارض مع خفض نسـبة التضـخم ، ومحاربة البطالة ، ورفع مستوى المعيشـة والتقدم الصـناعي والزراعي ، ما الحكمة من وضـع الدين في مواجهة مع العلمانية فيما يخص الاقتصاد

السـبب الذي يتعلل به انه كما ذكرت هناك اعتبارات دينية يجب عدم اهمالها فيما يخص الامور الاقتصـادية ، الدين مثلا يحرم الربا ، يحرم الاتجار في الخمر او السـلاح او الفحشـاء ، يحرم المقامرات والمراهنات ، يحرم الاحتكار ، فهل هذه الاعتبارات الدينية مع أو ضـد التقدم الاقتصـادي ؟هل هي مع أو ضـد مصـلحة العامة من المواطنين المطحونين الذين عليهم دفع ،كل هذه الديون وفوائدها ، التي لم تقدم اليهم اصـلا في صـورة خدمات وتيسـيرات ،من فقرهم وعرقهم ،وراحة بالهم .

الحقيقة أن الدين لا يدخل في كل تفصـيلة في الدولة ولكن هناك اعتبارات يجب مراعاتها وبعدها فلنفعل ما نشـاء ، نستخدم الطرق العلمية الحديثة ، تجارب الآخرين ،طالما لا تتعارض مع الشريعة ، الله حتى في القرآن يطلب منا ان نسأل اهل الذكر ولو ان الموضوع في الاساس يتعلق بالعلم الديني ولكن الفكرة والمقياس يطبق في كل العلوم الاخرى ، هناك حقائق تخص الاقتصاد نفسه كعلم ، هذه يسأل عنها اهل الذكر من الاقتصاديين ،وهذه اول مخالفة دينية تؤدي

الى التردي الذي نعيشـــه فمثل هذه الامور الهامة لا توكل عادة لأهل الذكر ، ولكن لأهل الثقة والنتيجة كما نرى ، من مقاصـــد الشـــريعة المحافظة على المال ،اما ان نضـــرب بكل هذه الاعتبارات الدينية عرض الحائط كما صـــرح د. خالد منتصـــر عندما يقول ، ما شـــان الدين بالبنوك ، اذا كان هناك من يريد ان يتحرى الحلال في ماله الذي يعتقد حسب دينه انه سيسأل عنه يوم القيامة ويطمئن انه لم يأت اليه عن طريق الربا المحرم شـــرعا والذي توعد الله آكله وموكله وشـاهديه باللعنة فما شـأنك انت ، واذا كان من حقه كمواطن وانت تتحدث عن حقوق المواطنة ان يســتثمر ماله تحت رعاية الدولة التي ينتمي اليها وتيســيراتها بما لا يتعارض مع دينه وهذا واجب الدولة الاكيد نحو مواطنيها بدلا من ان يضـــطر ان يأتمن على ماله وشـــقاء عمره شـركات النصـب التي تعمل على هذا الوتر فتكون انت اول من يسـخر منه، لم يمنعك احد ان تتعامل بالربا كما تشـــاء ، ولكن لماذا تفرض مقاييســـك على الآخرين بدعوى التقدم والاصـلاح ، هذه الدعوى التي سـأدحضـها بعد قليل واثبت لك بطريقة علمية وبشـهادة اجانب غير مسلمين كيف ان هذه المقاييس الاسلامية وبعيدا عن اي دين هي الافضل اقتصاديا

الله يخبرنا نعم في القرآن أن المال كله هو مال الله ونحن مســتخلفون فيه ، ولكنه احترم تماما ملكية كل انسـان لماله و حدد بدقة كيفية انتقال المال من يد الى يد بالطريقة الحلال التي ترضـيه ، فهل هذه الطريقة في صف رواج الحالة الاقتصادية ام ضدها

الله مثلا حرم التعامل بالربا أن أقرض بفائدة مع أنه أحل التجارة لماذا ؟

في الربا انتقال المال من يد إلى يد ، هنا من يد المحتاج الى يد الغني ليزيد فقر الفقير وغنى الغني وتتسع الهوة بينهما ، ما هو مصوغات انتقال هذا المال ، ما هي حركته في المجتمع ، هل ادى هذا الى رواج اقتصـادي ؟ كل حيثيات المقرض في الحصـول على المال هو انه لديه مال ، فيم اسـتثمره ؟ لم يسـتثمر ولم يزداد ولكنه الزيادة جاءت من دم وعرق فقير محتاج نعم هو فك ازمة المحتاج ووفر له المال لينفقه فيما احتاجه ،الموضـوع هو اسـتغلال هذه الحاجة بصـورة سيئة وصورة تفقد روح التعاون والمحبة بين افراد المجتمع ، لو قلت إن المقترض استغل المال في عمل مشـروع يعود عليه بالنفع ، فهو قد افاد واسـتفاد و هذا شـيء طيب ، نعم ولكن النقود التي حصـل عليها المقرض كانت بسـبب إقراضـه فقط ولا شـأن له بما فيما أنفقه المقترض ولو خسر المشروع فهو ليس طرفا في الخسارة على المقترض ان يرد اليه ماله وفوقه الفائدة ، ولكن إذا كان للمقرض علاقة باستثمار هذا المال ، اي تكون الزيادة مرتبطة باستخدام القرض بحسب

اتفاق يرضي الطرفين ، فالموضوع يختلف ، هذا مال حلال ، ومال نتج من حركة حقيقية لهذا المال ورواج اقتصادي ، لو كان كل ما يعتمد عليه البنك او المصرف في زيادة ما لديه من مال هو الفارق في نسبة الربح بين المال المودع والمقترض ، لو كان كل ما يفعله البنك هو أن يودع لديه اموال الناس مقابل نسبة في الربح ثم يقوم بإقراضه لآخرين مقابل نسبة أكبر فأي رواج اقتصادي او حل لمشاكلنا الاقتصادية سيأتي عن هذا الطريق ، ولكن ان يستثمر البنك اموال المودعين في التجارة الحلال او الصناعة او اي مشروع يعود بالربح الحلال ، مشاريع مدروسة بعناية وبعلم وخبرة ، مشاريع يحتاجها الناس مثل الاسكان ، او في الزراعة او بناء مدارس ، او تطبيق التكنولوجيا ، هل الدين يمنع هذا ؟ هنا يعتبر المودع شريكا ، يحصل على نسبة من الارباح ، هذا هو الوضع الاسلامي المقبول ، فهل يتعارض هذا مع الصالح العام ، هناك صور كثيرة من المعاملات الاسلامية التي تصون حقوق الناس وتضمن حركة المال بصورة تحافظ على هذه الحقوق وفي الوقت نفسه تؤدي الى رواج اقتصادي حقيقي ،

أهمها التجارة الحلال ، أي فيم أحل الله وبالطريقة التي شرعها ولكن لا استغلال ، لا احتكار ، لا غش ، الربح المعقول ، لا مغامرات او مقامرات ، أو مراهنات والتاجر يحصل على المال نظير خدمة يؤديها للمجتمع ، مثل ان يحضر البضاعة من مكان بعيد فيوفر على المشتري المسافة ، او يبيعها في وقت لا تكون موجودة فيه ، او يشتريها جملة فيدفع فيها مبلغا كبيرا مرة واحدة ليبيعها تجزئة للناس كما يحتاجون ، هنا يوجد حركة للمال تساعد على الرواج
الدين حرم الميسر ،،أليس هذا مثال آخر من الأفكار التي ترتدي رداء القداسة والتي لها علاقة بالاقتصاد ؟،هل تحريم الميسر مع أو ضد المصلحة الاقتصادية ؟،ما هي أهلية انتقال المال هنا من يد إنسان إلى يد إنسان آخر ،أنه انتصر عليه في لعبة بريدج ، يدخل أحدهم صالة القمار وبحوزته آلاف الجنيهات او الدولارات ويخرج مدينا ،نسمع عن هذا الثري كيف خسر أمواله في القمار ،وبالإضافة إلى ضياع الوقت الثمين في مثل هذه الأمور الفارغة ،وبالإضافة إلى شد الأعصاب هناك الكثير من الجرائم ترتكب بسبب هذه الطريقة في انتقال الامول وتداولها بين الناس ،ما هي الحركة الاقتصادية ،أو النمو الاقتصادي الذي صاحب هذا ،لا شيئ
أو هذه التي يطلق عليها اللوتاري اوراق صغيرة يحمل كل منها رقم وهناك رقم منها حدده القائمون على هذه العملية ان يكون هو الرقم الفائز ، بعد بيع جميع الأوراق وانتهاء عملية شرائها يحصل الذي ساعده حظه أن يكون صاحب الرقم الفائز الجائزة المقررة ،عمليه انتقال هذه الكميات الكبيرة من الاموال الصغيرة إلى يد إنسان واحد ،ما هي مصوغاتها القانونية

العادلة ،انه تصـــادف أنه يحمل الرقم المطلوب ، هذه هي كل أهليته ،وتصـــبح هذه العملية نوع من الإدمان عند صـاحبها ،يشتري الكثير من الأرقام على أمل الربح ،وهناك أشكال من الميسر تمارس دائما ، ،وبعض ضـحايا هذا الإدمان يكون أولاده في حاجة إلى لقمة تسـد جوعهم ولكنه وقد اصـــبح أســـيرا للأمل في الربح الذي غالبا لا يأتي ابدا يمكنه ان يتغاضـــى عن حاجة بيته الماسة للنقود لقضاء الأمور بالغة الضرورة

التجارة في المحرمات ،الفحشاء ،الخمور ، مع أو ضد المصلحة العامة ؟أو تجارة السلاح الذي ترتكب به الجرائم غالبا أو يصوب إلى صدور الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء والمدنيين العزل ،الحقيقة أن الأسس التي يقوم عليه الاقتصاد الغربي هي أسس لا أخلاقية ،وهذا ليس قولي بل قول خبيرة الاقتصـــاد لوريتا نابليوني التي ســأورد مقتطفات من اقوالها بعد قليل والتي قامت بتأليف كتابين يتعلقان بالاقتصـــاد حســب ما تمليه هذه الحضـــارة الغربية التي يريدنا د.خالد ان تقتدي بها حيث انه احد المفتونين والمتيمين بمبادئها التي صـــورتها الخبيرة لوريتا في كتابيها بدءا من العنوان ،عنوان الكتاب الأول ،قوادين العولمة ،والثاني اقتصاد ابن آوى

فمنذ اعوام قليلة كان العالم يعيش تحت وطأة ازمة اقتصـــادية عاتية وفي غمار هذه الأزمة ، سمعنا عن الاقتصاد الاسلامي ، تقارير من خبراء اقتصاد عالميين ، كانوا يتحدثون عن اسباب الازمة ، والمخرج ، وكان الاتجاه كله الى الاقتصـــاد الاســـلامي ، انا هنا ســأورد كلمات قالتها لوريتا نابليوني الصـحفية الايطالية المتخصـصـة في الشـئون الاقتصـادية والكلمات مسـجلة لها بالصوت والصورة وهذا هو برنامج على التليفزيون الالماني يقدم للموضوع ويسجل ما قالت :

" إن هناك بديل للنظام النقدي تجعلنا على قيد الحياة ,إنه النظام المالي الإســـلامي ،إن به رمز اخلاقي قد فقدناه من زمن طويل ،إنها الحقيقة , فالنظام المالي الإســـلامي هو الوحيد في العالم الذي لم يتأثر بأزمة العقارات الأمريكية ، إذا حدث االانهيار فإنه الوحيد الذي ســـيظل على قيد الحياة ، والسبب هو

النظام المالي الإســـلامي لم يشـــترك في التعاملات الغير قانونية الغير اخلاقية ، والشـــريعة حرمت استثمار المال في المنتجات على أساس الربا وعمل المال للمال

عالم الاقتصـاد الإسـلامي له شكل مختلف فلا يوجد فيه مضـاربات ، لدي اعتقاد جازم بان مبدأ فكرة البنوك الإسلامية سوف نطبقه في بلادنا في القريب العاجل ,هذا يعني اننا نبحث عن نظام

جديد للرأسمالية ، لقد وصلت الشريعة الإسلامي للفاتيكان , ياله من شيء مذهل ،يحب ان تلتزم البنوك في المستقبل بالقوانين الإسلامية ، هذا ما طالبت به صحيفة البابا

مقالات خبير الاقتصاد لوريتا نابليوني صاحبة كتابي (كتاب قوادين العولمة ، اقتصاد ابن آوى) احدثت فضيحة , دعائية للإسلام هكذا اتهمت

لوريتا : نحن هنا في شارع هاي ستريت في لندن ، أمام احد البنوك واسمه هالى فاكس ، والذي يكاد ان يفلس جراء الأزمة الاقتصادية ، كان من الممكن تفادي كل هذا إذا التزمت البنوك ببضع مبادئ أخلاقية ,والتزموا بالشريعة الإسلامية في اعمالهم المالية ,لوريتا نابليوني قارنت النظام المالي الغربي بالنظام المالي الإسلامي , وتوصلت إل ان النظام المالي ألسلامي خسائره محدودة لأن الشريعة تحرم الاقتراض المالي مقابل الربا , وتحرم المساهمة مع البنوك التقليدية وشركات التأمين ، فقط الاستثمار المباشر هو المسموح , المشاريع ذات المخاطرة العالية غير مسموح بها ، نحن لدينا غالبا شخصين ، أو طرفين يدخلون في شراكة ، ويتساويان في تحمل مخاطر هذه الشراكة , وهذا بالضبط عكس ما يحدث في الاقتصاد الغربي ، في بلادنا اصبحت المخاطر نوعا من الاستثمار ، تتحكم التعاملات في زيادة او هبوط قيمتها ، وهذا بالضبط ما اوصلنا لهذه المرحلة التي نحن بها الآن .

لندن هي مركز الاقتصاد الإسلامي في اوروبا ، هنا مقر لمجموعة بنوك تلتزم بالشريعة الإسلامية ، فهم لا يشاركون في المضاربات ، ولا بالاستثمار في انتاج الخمور ، أو في الإباحية او في انتاج الأسلحة ، بدلا من القروض استثمار مباشر في مشاريع مشتركة ، قطاع هذه البنوك ازداد في العام الماضي فقط إلى نسبة 20 % مؤسسة المال الاوربية التي تملكها قطر تنتمي الى هذا القطاع ، ومديروه ليسوا مسلمين فقط ، جميع انواع الاستغلال ، والإفراط في المخاطر ، وعمل مال من المال ، كل هذه الأشياء محرمة في الإسلام بشدة ، (سايمون باولي) لا يؤمن بالله ، ولكنه يؤمن بالنظام الاقتصادي للشريعة الإسلامية ، ليس هنا قروض لشراء منزل ، وبدلا من هذا يشتري البنك المنزل , ويطرحه للعميل بإيجار بيع ، وهكذا يتساوى الطرفان في المخاطرة ، وعلاوة على هذا يحقق البنك مكاسب ايضا ، القرآن يتحدث بلغة واضحة جدا ، كل المعاملات المالية يجب ان تستند عل اساس قيم البيع والشراء الفعلية عل سبيل المثال إذا كنت تمتلك منزل وتريد بيعه ، فهذا شيء سوي تماما ، إذ يمكنك تمويل عمليتي البيع والشراء ، ولكن ما لا يجوز القيام به أن تعطي لشخص قرض ، ولمجرد هذا تحصل منه على رسوم ، لقد حصلوا على مبالغ ضخمة ، وجعلوا العالم على حافة الهاوية ، إنهم موظفي بنوك الاستثمار في نيويورك ، أي منتج للبنوك الإسلامية يحب ان بفحص بلجنة الشريعة هؤلاء مصرفيون ومتخصصون في الشئون الإسلامية ، يستطيع المرء أن يقول إن هناك رقابة اخلاقية على المنتجات

تقرير من التليفزيون الألماني الفرنسي

البنوك الإسلامية على الأقل هي التي نجت من الأزمة الاقتصادية العالمية ، والسبب أن هذه المؤسسات تلتزم بقواعد القرآن ، معنى هذا بشكل آخر أنهم يستثمرون فقط في المشاريع الحقيقية ، الاستثمارات على شكل مضاربات لا يفكرون فيها ، حتى الآن تعمل البنوك الإسلامية فقط في لندن ، ولكن ايضا تبدي فرنسا اهتمامها بهذه المؤسسات المالية ، اليكم **تقرير لإيزابيل لا يانيه**

القروض الإسلامية أصبحت مألوفة لدى فيليب بعد عمله لمدة عشر سنوات في الاقتصاد الغربي ، يحاول تجرب حظه في النظام المالي الإسلامي ، في هذا القطاع كثيرا من الانتعاش الاقتصادي ، والانتعاش الأكبر ما زال امامنا ، قطاع البنوك الإسلامية في جميع أنحاء العالم يوظف خمسمائة مليار دولار ، طبقا لتعاليم القرآن ، لابد أن يلتزم المرء بعدة مبادئ أخلاقية ، فهناك الحرام ، ولا يسمح على سبيل المثال بأخذ الفوائد لأن هذا ربا ، ولا يسمح بالعمل مع الشركات التي تعمل في مجال الإباحية وتجارة السلاح ، الاستثمارات ذات المخاطر الكبيرة والمضاربات ايضا محرمة ، في مدرسة إدارة الأعمال في شستراسبرج يدرس الاقتصاد الإسلامي و تدريس هذه المادة جديد في فرنسا " :

مادة استحدث تدريسها في دولة اوروبية كبيرة هي فرنسا اسمها الاقتصاد الاسلامي ، والصحيفة الناطقة باسم بابا الفاتيكان تدعو الى تطبيق الشريعة الاسلامية في المعاملات المالية لماذا اليس لحاجتهم اليها في مجال من اهم مجالات الحياة ، الاقتصاد ، ثم يأتي دكتور خالد منتصر وينسب الى الدين واصحابه موضوع البركة ، لا علم ، لا خبرة ، لا قوانين ، ولكن دروشة وسذاجة ، هكذا يرى الدين ككل ولهذا تكون دعوته الى التخلص منه بالكلية ، هنا ايضا الرد على من يدافعون عن البنوك الغير اسلامية او نظام البنوك عندنا حيث يقولون اننا محكومون بقوانين الصرافة والاقتصاد العالمي ، ها هو الاقتصاد العالمي يقر بان التعامل حسب الشريعة هو الاجدى اقتصاديا ، لأنه كما يقولون نظام اخلاقي ، بينما النظام الغربي العلماني الذي يمجد فيه خالد منتصر ابعد ما يكون عن الاخلاق من نواحي كثيرة

(هكذا بابا الفاتيكان ،والصحفية لوريتا نابليوني ،وخبير الاقتصاد الملحد هذا يعترفون جميعا بأنه في مجال الاقتصاد العلمانية هي سبب المشكلة والإسلام هو الحل ،ومن يرغب في رؤية هذه التقارير فهي موجودة على اليوتيوب)

هم نسوا ان يقولوا ان الاسلام يبيح القروض بل يحث عليها ولكن بدون فوائد ، لان هناك بعد ديني وراء هذا ربما لا يهمهم ، المال مال الله اولا ، ثم من يملك المال لديه مسئولية تجاه من لا يملكه سيثاب على ادائها ، الدين يخبرنا ان العبادة هي اختبارات لنا مستمرة في هذه الحياة وأن

الإنســـان يبتلى بوجود النعمة وغيابها ،فهو كما يبتلى بالفقر يبتلى بالثراء أيضـــا ،فليس معنى كون الإنســان غنيا ولديه من حرية الإرادة ما يمكنه من التصـرف في ماله كيفما شـاء ،أن هذا هو حقه المطلق ،ولكن مسئولية سيسأل عنها عندما يقف بين يدي الله ،كيف حصل على ماله وفيما أنفقه ،الدين يخبرنا أن للفقير حق في مال الغني ،وأنه عندما يعطيه المال فهو يؤدي اليه حقه فيه ،وأنه على هذا فالحقيقة أن حاجة الغني إلى الفقير تفوق حاجة الفقير إليه ،الله هو الرازق والمال هو مال الله وإن اتي بمجهود وعرق وذكاء أو ظروف اجتماعية ميسرة ،كل هذا فضـل الله عليه وان كون المال ياتي للفقير عن طريق هذا الثري ليس معناه ان الله لا يسـتطيع ان يرزقه هو ايضا ولكن الله هو الذي يحدد نوع الابتلاء لكل انسان ،وعلى هذا فالتناول الديني لموضـوع الاقتصـاد يحمل أفكارا عميقة جدا لا يمكن لمن جعل الدنيا هي كل غايته ان يفهمها، مبادئ تضـــيف الى الحالة الاقتصـــادية والعلاقة بين افراد المجتمع ولا تنقص منها ، بينما في الاقتصاد الغربي ، من يملك المال يستطيع ان يمتص دماء المحتاج

وشيء آخر يرد به كل هؤلاء على دعاوى خالد منتصر التي لا تنتهي ، والتي يريد من خلالها تقويض دعائم الدين كله ، عندما يتحدث انســان مسـلم فيقول القرآن يقول او الاسـلام يدعو او ينص على ، يبادر هذا العلماني على الفور ليس من حق احد ان يدعي انه يمثل القرآن او الاسلام ، لا يتحدث احد باسم ايهما ، كل انسان يفهمهما كما يشاء ، وكان الدين شيء هلامي غائب المعالم ، هو يروج ويرسخ لفكرة الاختلافات التي تجعل الدين ككل شـيء غير معروف اوله وآخره ، لا يكف ولا تنتهي محاولاته عن تغييب الناس دينيا وخلط الامور عليهم ، فتنة الناس في دينهم ، ولكن ماذا يقول وبماذا يعلق على تناول هؤلاء الاجانب غير المسـلمين لجزء من الشـــريعة المتعلق بناحية من اهم نواحي الحياة وهي الاقتصـــاد ، ها هو الملحد الاجنبي ، والصـــحفية الغير مســـلمة وبابا الفاتيكان يعلمون جيدا على ماذا تنص الشـــريعة الاســـلامية ويقولون مجموعة من الاخلاق التي نفتقدها وحكمة اقتصـــادية بليغة ، عندما يقول الملحد ان لدي المسـلمين قرآنهم الذي يدلهم على الخير بينما لا يرى د. خالد منتصـر المسـلم على الاقل بالوراثة ، الذي يعيش في بلد الازهر الا فكرة البركة فيما يتعلق بالإسـلام والاقتصـاد ، هؤلاء جميعا يدعون الى التمسك بالشريعة الاسلامية ذات المعالم البالغة الوضـوح للجميع رغم انف خالد منتصر وما يروجه و لأسباب علمانية بحتة !

والآن اسأل الدكتور خالد وهؤلاء العلمانيين والملحدين واللادينيين ، كيف تأتي لكتاب وجد في العالم منذ اربعة عشـر قرنا من الزمان وفي بيئة بدائية ابعد ما تكون عن الاقتصـاد وقوانينه ان يأتي بهذه القوانين

التي اذهلت جهابذة الاقتصـــاد في القرن الواحد والعشـــرين والتي اثبتت كفاءتها التامة وثبوتها امام اعاصـير الازمة العاتية ، حتى دعوا الى تطبيقها ، وليس هذا فقط بل ارتفعت اصـوات البعض بانه ربما يكون تطبيق معايير الشـريعة الاسـلامية في الاقتصـاد الغربي هو الجسـر الذي تعبر عليه العلاقة بين الاسلام والغرب حيث فشل العبور الثقافي حتى الآن ، ولكن من الذي يسعى الى هذا العبور ، المسلمون المصابون بعقد النقص من التقدم الغربي كما يقول د. خالد منتصر ؟

هل تعلم يا دكتور خالد كيف لخص الصـــحابي الجليل عمر ابن الخطاب الخليفة الثاني للمســـلمين في كلمتين ،هذه النظريات الاقتصـادية التي يرى خبراء الاقتصـاد العالميون جدواها في حل مشـاكل العالم الاقتصادية ،قال يجب أن يكون دخل الدولة من حلال وانفاقه في حلال ،أليس هذا هو عين ما قالته لوريتا نابليوني ؟،القروض التي تئن منها الدولة ، هذه ليســـت من قبيل المعاملات الإســـلامية ،إنها من قبيل الاتجار في المال الذي نحن ضـــحاياه ،الدولة التي تقرضـــنا لا تبالي فيم ننفق هذا القرض ،ينهب ،يحرق ،هي ليســـت طرفا في الخســـارة ، وهذا هو الســـبب في أنه بينما علينا أن ندفع كل طلعة شـــمس مئات الملايين من الجنيهات أرباحا لهذه القروض ،فإننا لا ندري علام أنفقت كل هذه الأموال ،وعلى المواطن المسـكين بعد كل هذا أن يدفع هوثمن كل هذا من عرقه ودمه وراحة باله ، ولكن لو كان المقرض طرفا في مشروع يستثمر المال الذي أقرضـه وأن كلا من المكسب أو الخسـارة ستعود إليه وفق شـروط تعاقد يحترمها الطرفين لاهتم وحرص كيف يتعامل الآخر مع قرضه

هل ما زال د. خالد يجد اي معنى في عقد هذه المقارنة المضحكة بين البركة التي هي سمة اقتصاد يعلي الاعتبارات الدينية وبين تحقيق غاية التقدم الاقتصـــادي بخفض التضـــخم وزيادة دخل الفرد عندما تكون العلمانية هي الحل ،وهل لم يلاحظ الثورات التي اندلعت في أمريكا وأوروبا عقب الثورات التي كانت في تونس ومصـــر ،والتي تعكس الوضـــع الحقيقي لعامة المواطنين تحت ســـيادة مقاييس هذه العلمانية ،وكيف في سبيل انهائها ضربوا باعتبارات حقوق الإنسان عرض الحائط ؟

الفصل الرابع

السياسة بين الدين والعلمانية

فكرة تكاد تكون راســـخة في عرف الكثيرين من كثرة ترددها وهي أن مزج الدين بالســـياســـة يمثل خطر ا أكيدا على إدارة الدولة سياسيا ،والأمثلة الكثيرة على ذلك لا تخلو منها جعبة

المروجين لهذه الفكرة من أمثال د. خالد منتصـــر ،فأولا هي تمثل خطرا على الدين نفســـه فالدين ثابت والسـياسـة متغيرة ومزج السـياسـة بالدين يضـر به أبلغ ضـرر لأن مبادئ الدين القويمة المستقيمة لا تستقيم مع طرق السياسة المعوجة ،والتي لابد أن تكون كذلك ،لأنه على ما يبدو لكي يتمكن السياسي من إدارة أمور بلاده دنيويا لابد ان يسلك مثل هذه الطرق ،د. خالد يذكر أنه عندما مر تشـرشـل ،السـياسـي البريطاني الأريب على قبر وصـف صـاحبه بأنه نبيل وسـياسـي تعجب قائلا ،لم أر قبرا يضـم اثنين من البشـر ،مشـيرا بذلك إلى فكرة أن وصـف السياسي ووصف النبل لا يمكن أن يجتمعا في شخص واحد فلابد أنهما شخصان

وثانيا الدين وطبيعته المختلفة عن طبيعة السـياسـة لابد أن تجعله دائما في حالة مواجهة ومقابلة مع السياسة ،الدين يعني إعطاء وضعا خاصا شبه مقدسا للحاكم ،بينما السياسة تعني الديمقراطية وحكم الشعب لنفسه من خلال هذا الحاكم وهؤلاء الممثلين له الذين أتوا عن طريق انتخابات نزيهة ، ،ما أكثر ما عانت الشـعوب من تدخل رجال الدين في السـياسـة بطريقة تضـفي قدسـية مزيفة على تصـرفات الحكام فما يكون محرما في ظل حاكم من الحكام يصـبح حلالا في عصـــر غيره وربما طبقا لتناول نفس رجل الدين الذي يفتي ويحلل ويحرم ، في كل العصور كان هناك دائما من يطلق عليهم مفتيي السلطان ، لماذا لأن الحاكم دائما كان يريد أن يضفي على تصرفاته وسلوكياته تجاه ِشعبه صفة شرعية ، تخرس جميع الألسن لو كان هناك ثمة ألسن يمكن أن تعارض ،

وعلى هذا عندما تكون هناك اعتبارات دينية عميقة فالأمر يصبح وكأنه يفرض نفسه ودائما يكون هناك متطوعون قادرون على التلون وابتكار التأويلات والتفسيرات لهذا النص الديني او ذاك بما يتفق تماما مع ما يريده السـلطان ، ، ولكن مع ذلك ليسـت هذه هي الصـورة الوحيدة للخلط السيء بين الدين والسياسة :

كما أن الدين يعاني من هؤلاء المسـتغلين له من أصـحاب القلوب المريضـة ، الذين هم على اسـتعداد دائما لمخالفة ضـمائرهم ، هناك الكثير أيضـا ممن يسـيئون فهم الدين ، المتجمدون المتحجرون ضـيقي الأفق ، وهؤلاء دائما ينصـبون أنفسـهم أوصـياء على غيرهم ، يتناولون الدين بطريقة مسـيطرة متسـلطة أبعد ما تكون عن توجيهاته ، أيضـا هؤلاء يخلطون بين الدين والسـياسـة بهذه الطريقة المنفرة ، ويدخلون الدين في كل كبيرة وصـغيرة ، دائما إسـاءة بالغة لكل من الدين والدنيا .

هذا الخلط الرديء سـواء أكان بسـوء أو حسـن نية هو السـبب والمبرر لكل هذه الصـيحات المتعالية المطالبة بفصل الدين عن السياسة ، هذا بالإضافة طبعا لمقولة إن السياسة لا ضمير فيها ولا أخلاق ، فكيف نخلطها بالدين الذي هو حسن الخلق ومراقبة الله ؟

فهل فعلا لكل هذه الأسباب يجب أن نفصل الدين تماما عن السياسة ؟

المشـــكلة أننا دائما نفتقر إلى الدقة في تحليل الأمور ، وأننا دائما نكرر ما يقوله الآخرون دون تمعن أو مراجعة ، والبعض منا لا يمكننا أن ننكر علمانيته التي تعني أصلا الاهتمام بهذا العالم فقط ، والتي تتبنى موقفا معاديا للدين ولا تريد أن تراه وراء أي سلوكيات او تصرفات أو آراء ، ولا أخالف الحقيقة إذا قلت إن هؤلاء العلمانيين برعاية هذه النخبة المثقفة هم أول الداعين إلى الفصـل التام بين السياسـة والدين ، يمدهم هؤلاء المتاجرون بالدين أو هؤلاء الجهلاء بكل حجة ومبرر .

الحقيقة أن من يطالب بالفصـل التام بين الدين والسـياسـة مثله مثل المطالب بالفصـل بين الدين والدنيا كلها ، أو بين الدين والعلم ، لا يمكن أن يكون أصلا على قدر من الفهم بما تعنيه كلمة " الدين " أصلا .

أنا هنا طبعا أتحدث عن الدين الإســـلامي الذي أنتمي إليه والذي ليس هو فقط مجرد إيمان وعقيدة ولكن تشـريع وأخلاق ومعاملات ، لا يتحدث الله سـبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن

الذين آمنوا إلا ويقرن الحديث بقوله تعالى وعملوا الصالحات ، ولا تقبل الصالحات من إنسان إلا إذا كان يعتنق الدين بمفهوم الإيمان الصحيح بل لابد أن يبتغي بعمله وجه الله الكريم .

الله يخبرنا في القرآن الكريم أننا سنحاسب أمامه سبحانه وتعالى على مستوى مثقال الذرة أي النمل أو الهبأة :

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه

الزلزلة: ٧ ــ ٨

ليس هذا فقط بل إن كل أقوالنا مسجلة علينا سنحاسب عليها أيضا

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ق 18

ولهذا فإن جميع اعمالنا وأقوالنا محصـــاة علينا في كتاب لا يترك صـــغيرة ولا كبيرة ، وأن الإنسان لا يرفع عنه القلم الذي يسجل عليه كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام إلا في حالة النوم ، والصغير قبل البلوغ والمجنون حتى يفيق

وعلى ذلك فالسياسي شأنه شأن أي إنسان آخر سيحاسب على كل قول أو فعل يصدر منه ، بل هو في وضع اشد خطورة لأن الذي سيتأثر بقوله أو فعله أو أي سلوكيات تصدر عنه ليس مجموعة محدودة من البشـــر المحيطين به ولكن كم غفير من الناس بالطبع ســـيتأثرون بكل ما يأتي به إما بطريقة طيبة ترضـي الله أو بطريقة تسخطه ، هذا السياسي بما انه ليس مرفوعا عنه القلم لأنه لا ينطبق عليه أحد الأحوال السابقة سيكون مسئولا أمام الله عن كل ضرر يصيب كل إنسان أو حتى كائن حي بسببه.

والمشـــكلة في هذا اللبس الفظيع الذي نعاني منه والذي يروج له كل هؤلاء الســـطحيين من أصحاب الأصوات المرتفعة المسيطرين على كل مفاصل الدولة وفي مقدمتها الإعلام ، هؤلاء الذين يتحدثون أو يتبنون فكرة الفصل التام بين الدين والدنيا ، وكأن هذه الدنيا ليست هي المعبر إلى الآخرة ، وكأننا سنحاسب علي شيء آخر سوى سلوكياتنا في هذه الدنيا نفسها ،أو كأننا سنحاسب فقط على الصلاة والزكاة وهو كل ما يفهمونه من كلمة الدين ، وكأن دنيا كل إنسان منا ممتدة إلى ما نهاية ولن تنتهي حتما كما انتهت ملايين المرات في لحظة كانت دائمة قريبة

في حياة سمتها أنها بالغة القصر ، أو كأن الله الذي خلق هذه الدنيا لم يحدد المنهج الذي يجب أن يسير عليه البشر ليس فقط من أجل خاتمة وآخرة ترضيه ولكن من اجل دنيا لم يخلقها سواه وبالتالي فهو الأعلم بما يصلحها ، أو كأن الدين كما يروجون له موضوع ضبابي هلامي غير محدد المعالم ، كل إنسان يفهمه كما يشاء ، ليس من حق إنسان أن يقول الدين يحلل او الدين يحرم لأنه ليس من حق اي إنسان أن يتحدث باسم الدين .

المشكلة أن هؤلاء المسيطرين على الثقافة لا يمكنهم التمييز بين التعنت والتشدد والتجمد والانغلاق باسم الدين ، وبين المقاييس الصحيحة للدين , ويتخذون من هذه الممارسات المنفرة الحجة على ضرورة الفصل التام بين الدين وبين كل شيء آخر ، سياسة كانت أو علما أو اقتصادا ،

والمشكلة أيضا أننا عندما نطلب من احد هؤلاء المتثاقفين أن يفرق بين التعنت والتشدد والتنطع باسم الدين وبين تطبيق الدين كما يجب ، أجاب وكيف لنا أن نميز بين الاثنين كل إنسان يعتقد أنه على صواب ، حسب هواه ، هذا الشخص المثقف عندما يشاء يجعل من نفسه عبقري زمانه ومثقف عصره ومرشد الحيارى ، وعندما يشاء يبدو بمظهر التلميذ البليد الذي لا يستطيع أن يميز بين هذا المقياس وذاك ، والحقيقة أن هذا المثقف معذور لأن خبرته ومعلوماته الدينية ضحلة للغاية ، بعض هؤلاء المتثاقفين لا يمكنه قراءة سورة الفاتحة بطريقة صحيحة ، والسبب أنهم لا يجهدون أنفسهم في الوصول إلى المعلومة الصحيحة ، ولا يفهمون أن الدين شأنه شأن أي شيء آخر ، بل أكثر من أي شيء آخر المعلومة يحصل عليها فقط بالدراسة والبحث المخلص الموضوعي ، وليس بما يراه كل منا وما يعتقد أنه يجب أن يكون عندها فقط يكون أهلا للتثقيف والتنوير .

لا يمكن لإنسان يتحدث بموضوعية أو يفهم الدين جيدا أن يفهم أن كل تفصيلة أو دقيقة من دقائق الممارسات السياسية أو كل قانون يستحدث يجب أن نبحث له عن مصوغ ديني ، قانون الإيجارات ، أو علاقاتنا بالدول ، أو حتى تحديد سن الزواج ، ولكن هناك خطوط عريضة وتعليمات دينية شاملة لا يجب أن نخالفها ، هذه أمور تحكمها المصلحة .

لا أعتقد أن الدين ضد قانون تحديد سن الزواج مثلا ، إذا كانت ظروف الدولة تحمل خطرا أو ضررا على الأسرة الوليدة ومنها على باقي المجتمع ، فلماذا لا يكون من صميم الدين تلافي هذا الضرر ، الدين نفسه طالب الشاب ألا يتزوج إلا إذا استطاع الباءة وهي أعباء الزواج ، وأخبرنا أن رب الأسرة وربتها رعاة مسئولين عن رعيتهم ومن البديهي أنهم لابد أن يكونوا على قدر حمل هذه المسئولية .

من أهم واجبات الحكومة التي سيحاسب كل فرد فيها أمام الله إذا قصر فيها أن الطفل عندما يولد لا تضطر أمه التي ما زالت في طور الطفولة هي أيضا أن تلفه وأخيه أو أخته في أسمال

بالية لتتسول قوتهما وقوتها ، هذا المنظر نراه بكثرة أمام المساجد في ليل رمضان ، نعم واجب الحكومة أولا أن تكفل الحياة الكريمة لأمثال هؤلاء ، ولكن وفي نفس الوقت تشرع القوانين التي تكفل للطفل أن يولد في ظل حد أدنى من قدرة الوالدين على تحمل مسئولية رعايته ماديا واجتماعيا ، فإذا زعم أحد أن الدين لا يمانع أن تتزوج الفتاة في سن تسع سنوات وأخذ يصارع من أجل إقرار ذلك فلا يتخذ أحد من هذا السلوك حجة لفصل الدين عن الدولة والسياسة والدنيا كلها .

ما أعنيه تحديدا بعدم فصل الدين عن السياسة هو أن السياسي لا يجب أن يتصرف بعيدا عن القيم الدينية ، والمعايير الدينية ،وأن السياسة لا يجب أن تتخذ مطية لفتنة الناس في دينهم ، أو أن يعيشوا في صراع بين ما يطالب به الدين وما تتيحه الدولة ، نحن في الواقع في مسيس الحاجة لسياسي يحكم الدين في كل ما يقوم به استشعارا بعظم المسئولية التي يحملها ، ألم يكن هذا هو شأن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم :

سيرد البعض ، كل ما يهمنا كشعب أن ننعم بما ينعم به الآخرون ولا يهمنا شأن من يقوم بهذا ابتغاء مرضاة الله أو أي اعتبار آخر ، هذه أمور بين كل إنسان وربه ، يحاسب عليها ، إذا لماذا شعار دولة مدنية لا دينية ، من يرفع هذا الشعار هو الذي اتهم الدين بالمسئولية عن التخلف مع انه لا ناقة له ولا جمل فيه ، بل لو كان هناك دين يعتبر ما وصل بنا الحال إلى هذا أبدا ، ألا يرى هؤلاء أن الناس جميعا تحمل مسئولية ما نحن فيه وليس القادة أو الساسة فقط ، نحن نعاني من غياب الضمير ، غياب الوازع الديني الحقيقي وهو الفهم العميق للدين ، استشعار مراقبة الله لنا ، ما دمنا نؤمن جميعا بإله وبعث وقيام وحساب وثواب وعقاب ، فلماذا نتغافل ونتعامى عن كل هذا وكأننا مغيبون ، نحن في حاجة إلى بعث ديني ، نهضة دينية ، فهم حقيقي وتطبيق حقيقي للدين وليس إلى فصله عن الدنيا وعن السياسة ، مقولة الباطل هذه التي لا يراد بها إلا باطل .

البعض طبعا سيرد ولماذا الدين ؟ هذه الدول الأوروبية والأمريكية هل لدى الساسة فيها أي اعتبارات دينية، ما تقولونه هو نتاج الحضارة الحديثة وليس الدين، هناك الدين منفصل عن السياسة وكل شيء على ما يرام ،والحقيقة لو تأملنا لوجدنا أن كل ما يطبقه هؤلاء وكل ما أدى بهم لكل هذا التحضر لا يخرج عن تعليمات الدين ، إذا كنا نؤمن بأن هذا العالم هو خلق الله ، فهل منهج الله هو الذي يصون هذا الخلق ، أم البعد عن هذا المنهج ، كل ما هنالك أن هؤلاء يطبقون المنهج ليس طاعة لله ولا إيمانا به ، ولكن وجدوا أن هذا هو أصلح ما يمكن ، وعلى ذلك حصدوا ثمرة هذا التطبيق الدنيوية .

إذا لم أقم أنا بتطبيق هذا المنهج فلن أنعم لا بثمرة دنيوية ولا أخروية ، ولكن إذا كان أمامي الفرصة أن أحقق ما حققه الآخرون ولكن من خلال طاعة وابتغاء رضوان الله ، لماذا أحرم نفسي من الثمرة الباقية الخالدة التي ما خلقنا الله إلا من أجلها ، إذا كان السياسي يرضي

ضـميره فقط أو يخشـى سـلطة شـعبة التي هي السـلطة الحقيقية في هذه البلاد وهو ما يجب أن يكون ، فلن يثاب على هذا ، هذه المقاييس تصـــلح لمجتمعات أصـــلا الاعتبارات الدينية فيها باهتة ، فلماذا نقلدهم ، إذا كانت المرجعية الدينية عندنا أعلى ما تكون ، فلماذا نتجاهلها ، بل لماذا نلقي على هذه الاعتبارات مسئولية كل هذا التراجع الحضاري وننادي دولة مدنية لا دينية ، مع أن الدين هو الضحية الأولى لهذا الحكم الذي كنا نقاسي ونكابد تبعاته .

والآن سأذكر بعض الأمثلة التي يتخذها العلمانيون للتبرير لمناداتهم الفصل بين الدين والسياسة وسأقوم بالرد عليها

د. خالد منتصـــر يذكر واقعة تتويج الملك فاروق ملكا لمصـــر وكيف أنه عندها لم يكن قد بلغ السـن القانونية وهي ثمانية عشـر عاما ليكون ملكا وكيف احتال أحد علماء الدين وقتها وأظنه كان الشـيخ المراغي للتخلص من هذه المشـكلة وكيف أدخل الدين في السـياســة تعنتا ونفاقا ،وكيف رد عليه النحاس باشـا رئيس وزراء مصـر وقتها ردا اعتبره د. خالد صـورة للعلمانية المشرقة التي تواجه ظلمات المقاييس الدينية ،

أما الحيلة الدينية التي اسـتخدمها الشـيخ الأزهري فهي الدعوة إلى حسـاب عمر فاروق وقتها بالسـنين الهجرية لا الميلادية وطبقا لهذا جاوز فاروق سـنه الثمانية عشـرة عاما المطلوبة ،كما أنه أحيا حفل التتويج بالقرآن الكريم ليضـفي القداسـة على تقلد فاروق مقاليد الحكم ،وكيف رفع شعار الله ،الملك ،الوطن ،أيضا ليحقق نفس الهدف ،ولكن الذي اعترض هو السياسي مصطفى النحاس بقوله وما دخل الله في السـياسـة ،كلمة يراها د. خالد منتصـر منطبقة تماما مع المفهوم العلماني ،والذي دلل بها على أن مصر المحروسة كانت في وقت من الأوقات دولة علمانية !

ولنحلل هذا الكلام

أولا تصـرفات فضـيلة الشـيخ هنا وإن كان طابعها الديني لا ينكر لا يمكن اعتبارها بأي مقياس تصـرفا دينيا حقيقيا يراد به ابتغاء مرضـاة الله كما هو المفروض من التصـرف الديني ،فليس لأنه شيخ أزهري ،وليس لأن التقويم الهجري له صلة ما بالدين يكون ما فعله فضيلة الشيخ هو من الدين في شيء وعلى ذلك يمكن أن يوصف بأنه ادخالا للدين في السياسة

ثانيا كون حفل التتويج افتتح بتلاوة القرآن حتى وإن عنى هذا أو فهمه البعض على انه اضـفاء رداء القداســة على تقلد فاروق الحكم فالأمر ليس كذلك على الإطلاق لأنه ليس من أجل مثل هذه الأغراض الدنيوية الخالصة أنزل القرآن

ثالثا هذا الشعار الذي رفعه فضيلة الشيخ لا يمت إلى الدين بصلة ولا يخرج عن كونه نوع من النفاق وسـوء اسـتغلال للدين لا ينهض مبررا لأي إنسـان له بصـيرة مبررا لفصـل الدين عن السياسة بل لابد أن يراجع وتوضع الامور في نصابها كما فعل السياسي مصطفى النحاس فما

عناه بالقطع ليس أن الله سبحانه وتعالى ليس له علاقة أو شأن بالسياسة أو أن أمور السياسة يجب أن تدار بعيدا عن الله ،فهذا الفهم لا يمكن أن يأتي من مسلم على اقل درجة من الفهم لكلمة الله وما تعنيه ،هذا الفهم الذي يتقافز فرحا د. خالد وهو يردده مبرهنا ان مصر في وقت من الاوقات كانت علمانية لا يأتي إلا من علماني مثله لا تعني علمانيته الا الغاء المفهوم الديني والاعتبار الديني بالكلية كما سأوضح بعد ذلك ،ولو أراد النحاس باشا أن يراجع كل ما قام به فضيلة الشيخ فلن يجد خيرا من الدين نفسه ليرد به وقد كان على علم عميق بالدين ،فالحاكم المفروض دينيا انه راع مسئول عن رعيته ،لابد ان يكون على سن وخبرة ودراية ما تمكنه من ادارة شئون البلاد وليس انسانا كان فقط منذ سنوات قليلة مرفوعا عنه القلم ،الحكم مسئولية رهيبة لو حكمت المبدأ الديني من البداية فيها لوجدت حتى هذه الثمانية عشرة عاما لو كان الملك قد اكملها بالميلادي او اي تقويم في العالم لا تجعله اهلا لتحمل مثل هذه المسئولية

النموذج الثاني والذي يكرره د. خالد هو ما فعله الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بابن المقفع الذي وجد الجرأة لمعارضته ،فقد قام بتقطيع أطرافه وهو حي وقام بشيها على النار ثم أعطاه اياها ليأكله ،فعل لا يمكن لأي إنسان لديه ذرة من الرحمة أن ينكر تعارضه مع مفهوم الإنسانية أصلا ،وكان تبرير المنصور لكل ما يفعله أنه ظل الله في الأرض ،أي المتحدث باسم الله ،وعلى ذلك فكل ما يقوم به هو مبرر دينيا هو امر إلهي ،يعتبر د. خالد هذا نموذجا يصور ما يفعله الدين في السياسة ،فهل فعلا ما فعله المنصور بصفته سياسيا يمت بأي صلة لمفهوم الدين ،هل هناك في الدين الاسلامي ما يفيد ان الحاكم هو ظل الله في الارض ،من اين اتى المنصور بهذه المعلومة ؟،من الواضح انه ما قالها الا استهانة بالناس واستخفافا بعقولهم ، هو مثله هنا مثل فرعون الذي كان يعلن للناس أنا ربكم الأعلى مثال آخر أذكر به د. خالد على إدخال الدين في السياسة !

لنستمع الى خطبة ابي بكر الصديق الخليفة الاول ثاني اثنين اذ هما في الغار ،هذه الخطبة التي على الرغم من انها غاية في الإيجاز إلا أن مبادئها تنير أي دستور حديث ،أول كلمة قالها ،إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ،وعندما يقول ابو بكر الصديق انه ليس خير من تولى عليهم فهو لا يقولها نفاقا او مجاملة ،او دعوة للناس ليبايعوه ولكن ما يستشعره كحقيقة ،ويقول فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني دون ذلك فقوموني ،لم يقل

أنا ظل الله في الأرض ،لأن القرآن الكريم يناقض هذا القول أعمق مناقضة عندما يقول للنبي نفسه فذكر إنما انت مذكر لست عليهم بمسيطر ،ماذا يعني هذا القول من ابي بكر رضي الله عنه ،ماذا يعني طلبه من عامة الشعب ان يعينوه عندما يكون على حق ويقوموه عندما يجافي هذا الحق ،الناس هم الحكم الاخير على تصرفاته ،يعني انه ليس الرئيس الملهم وهو الوصف الذي ما فتئنا نحن نصف به رؤساءنا بعيدا عن اي اعتبار ديني ،تقديس الحاكم ونفاقه الذي يكذب هؤلاء العلمانيين بإلصاقهم له بالدين من الطبيعي انه لا يقتصر على بعض رجال الدين

ولكن لو أنصـــفوا لعلموا أن الأكثر نفاقا للحكام في هذا البلد على مر العصـــور هم هؤلاء الإعلاميون ،صحفيون ،ومذيعون الذين يتحدثون عن الحاكم وكأنهم يعيشون في بلد آخر ،وكأن العامة الذين يتحدثون إليهم لا يعايشون الواقع المرير الذي طالما عانوا منه هؤلاء الإعلاميون الذين يدين معظمهم بالعلمانية ،ثم تكون المناداة بفصل الدين عن السياسة ،

ثم يقول ابو بكر الصـــديق ، أطيعوني ما أطعت الله ،فإن لم أفعل فلا طاعة لي عليكم ،هل رأيتم حاكما يدعو شـــعبه إلى عصـــيانه ، لماذا ؟لأن لديه مرجعية دينية تجعله على فهم عميق بوضعه السياسي ،إنه مجرد بشر موضوع في عنقه مسئولية جسيمة تجاه ناس تولى أمرهم ولا يجد خيرا من ضـمان أنه يحمل هذه المسـئولية كما يحب الله أن تكون سـوى هذا الشـعب نفسـه ورقابته عليه وعلى أفعاله ،هل يوجد إذا ما هو أبدع ولا أعمق من هذه الديمقراطية التي قوامها الخوف من الله الذي سنسأل أمامه على مستوى مثقال الذرة ،هل يقول هنا انه ظل الله في الأرض ؟ قمة الديكتاتورية والقمع الدين منها براء على العكس إنه يقرر أن أفعاله يمكن أن ترضـــي الله أو تسـخطه ،فلماذا نموذج ابي جعفر المنصـور وابن المقفع هو فقط ما يراه د. خالد منتصر

نعود الآن إلى مقولة تشـرشـل انه لا تجتمع صـفة السـياسـي والنبيل في شـخص واحد والتي يعترف بها د. خالد بل ويعتبرها المبرر المنطقي لفصـل الدين عن السـياسـة ،أليس شـيئا غريبا أن تعترف أن هذا العالم لا يمكن أن يســاس إلا من خلال الأخلاق الوضـــيعة البعيدة عن النبل وأن هذا مخالف للمعايير الدينية التي بدلا من أن ترى أنها ستسمو بمفهوم السياسة فإن السياسة هي التي ســتحط من قدر الدين ،فهم لولبي كالعادة ،هو من أقوال الباطل أيضـــا التي لا تخلو منها جعبة هؤلاء ، السياسة لا ضمير فيها ولا أخلاق وربطها بالدين سيجعله عرضه لإساءة فهمه من العامة ، السياسة فيها كذب وتدليس وخداع لا يستقيم وتعاليم الدين ، إذا أخطأ السياسي فسـينسـب الخطأ إليه وحده طالما أن الدين بعيد ، ولكن سـيلقى على عاتق الدين مثل هذا الخطأ عندما يقال إن السـياسـي ينفذ تعاليم الدين ، وكأن الناس يسـتقون معلوماتهم عن الدين من خلال السـياسـة ، وكأن تعاليم الدين العظيمة السـامية غير معلومة وراسـخة وثابتة حتى يلتبس الأمر على العامة ، فبدلا من أن يتهموا هذا الســـياســـي بأنه لم يراع الله فيما ألقاه على عاتقه من مسـئولية يتهمون الدين نفســه بالعوار !؟ وأخيرا كأن الأصــل في السـياســي أن يكون كاذب ومخادع ومدلس ولا خلاق له، على من يكذب ويخدع ، على من ينتمي إليهم ويحمل مسئوليتهم ؟ أم على الآخرين الذين تتعارض مصالحنا معهم ؟ لا أعتقد أنه سيمكنه التفرقة كثيرا ، إذا كان مبدأ الكذب والتدليس لديه فســيطبقه كلما أمكن ، ما ســيمنعه فقط هو قوة ويقظة وســلطة من يتعامل معهم ، ومرة أخرى هل مثل هذا السياسي مرفوع عنه القلم ؟ لن يقف ويحاسب أمام الله على مستوى مثقال الذرة ؟ أم هو من أهل الأعذار؟ ، الحقيقة أن كون السياسة هي اللاأخلاق واللادين هي مما ابتليت به البشـــرية من أفكار ومقاييس ، لم يكن الأمر كذلك أيام الإســـلام

الأولى في عهد أبو بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، ولا كان ما يدين به عثمان ولا علي ، وعندما شابتها مثل هذه الاعتبارات من قبل البعض حدثت الفتن ،

كانت الاعتبارات الدينية هي التي تحكم السياسة من قبل الحاكم والمحكوم أيضا ،وكان مفهوم الديمقراطية وروحها التي يتباهون بها الآن تعتمد على الخوف من الله واستشعار ثقل المسئولية التي ينوء الحاكم بحملها ، ويدرك المحكوم أيضا حقوقه على الحاكم من خلا لها وهي مستوى من الحرية الحقيقية ،وليست هذه الديمقراطية المزيفة التي تجعل شعبا مثل الشعب الأمريكي لا يحصل على المعلومة إلا من خلال الميديا وخداعها ،لا يعرفون لماذا تلقي الدولة بثقل جيوشها في دولة عريقة مثل العراق لتدمرها ،متعللة بوجود اسلحة دمار شامل فيها وهو ادعاء ثبت انه عار عن الحقيقة ،لا يدركون لماذا تمد بلدهم دولة مثل اسرائيل أقامتها دولتهم على حساب دولة أخرى محت اسمها من على الخريطة بكل هذه الأسلحة التي تتفنن فيها بتعذيب اطفال وشيوخ ابرياء مغصوبة بلادهم قنابل فسفورية وعنقودية ، وطائرات حديثة ثم بعد ذلك عندما يضطر اصحاب البلد دفاعا عن ارضهم المغصوبة ان يقوموا بقتل انفسهم بحزام ناسف لا يملكون سواه في سبيل قتل جندي اسرائيلي مغتصب يوصفوا بأنهم إرهابيون مسلمون دينهم يدعو إلى القتل والإرهاب ،هل هذه ديمقراطية ام استخفاف بعقول مواطنيهم المخدوعين ، في ظل مثل هذه الديمقراطية المزيفة التي ليس لله اعتبار فيها تنقلب المفاهيم ،ويصبح الضحية ارهابيا والمجرم المعتدي المغتصب مجنيا عليه ، نعم هذا ما يدين به الغرب وهذا هو السر في هذا العالم الذي نعيشه الآن والذي يأكل فيه الكبير الصغير ، السبب كله في هذه السياسة التي لا أخلاق فيها ولا ضمير والأهم من كل ذلك ولا دين ،وأريد أن اعقد مقارنة هنا مع نظام الحكم عندما كان الإسلام ومبادئه العظيمة هي المرجعية السياسية ،قمة مزج الدين بالسياسة

عندما يقول أبو بكر الصـــديق في أول خطبة له أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن لم أفعل فلا طاعة لي عليكم ، عندما يقول القوي فيكم ضـعيف عندي حتى آخذ الحق منه والضـعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، عندما يذهب عمر الى بيت المقدس فاتحا وهو يرتدي مرقعة راكبا حمارا وقد دانت له نصـف الأرض ،عندما ينام في المسـجد متوسـدا حذاءه ،عندما يحرم على نفسـه تذوق اي طعام لا يتناوله عامة الناس ايام المجاعة ،معتبرا انه لا يحق له أن يكون واليا على الناس ان لم يشـعر بشـعورهم وما يعانونه عندما يخرج عمر بن الخطاب من بيته ليلا متفقدا أحوال الرعية ،فيسـمع بكاء طفل كانت امه تحاول فطامه قسـرا لتحصـل على مبلغ قدره الخليفة لكل طفل بعد فطامه فيقرر أن يشـــمل هذا كل طفل منذ مولده ،عندما يطلب عمر بن الخطاب الناس ان يسـتمعوا اليه ويطيعوه فيعترض احدهم انه لن يسـمع ولن يطيع الا بعد ان يعطيه الخليفة تفسـيرا لكون قميصـه سـابغا عليه مع طوله المفرط ،بينما لم يكن هذا حال باقي الشعب فيأتي بابنه مستشهدا انه قد تنازل له عن قميصه ليصنع لنفسه من القميصين هذا القميص السابغ ،عندما يتراجع عمر عن امر وجهه الى الناس بشأن المهور وقد راجعته سيدة مسـتشـهدة بآية قرآنية مقرا لها بخطئه وإصـابتها ،عندما يمنع عمر بن الخطاب ابنه من أن يرعى إبلا له اشتراها بحر ماله الحلال أسوة بما هو متاح للجميع فقط درءا للشبهة احتمال أن يميزها الراعي ببعض الكلأ أو الماء لأنها ابل ابن أمير المؤمنين ، عندما يطفئ الخليفة عمر بن عبد العزيز مصباحا كان يتباحث في شأن من شئون الدولة على ضوئه مع عامل له لمجرد أنه في نهاية الحديث سـأله العامل عن أحوال ولده ، لأن هذا المصـباح من أموال الشـعب من أجل أن يسـتخدم في أحوال الشـعب ، عندما تخلو البلاد من مسـتحقي للزكاة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فيأمر ان يشـــترى بالمال حبوبا تنثر على رءوس الجبال لإطعام الطير المحلق في الســـماء ، أليس كل هذا تطبيق لمعايير المواطنة والعدالة ، ومراقبة الحاكم ، والديمقراطية الغربية ان هؤلاء الحكام لم يأتوا من خلال انتخابات نزيهة ،اتى بعضـــهم من خلال اجتماع السـقيفة الذي يسـخر منه د. خالد وبعضـهم عينه الحاكم السـابق قبل موته ،وهو الموضـوع الذي يتسـاءل بسـببه د. خالد اي نوع من الحكم تريدون ،وسـأله وما هو نوع الحكم الذي نعاني منه وهو يفتقر لأبســط مظاهر الديمقراطية ،اليس الذي اتى بمجلس شـــعب عن طريق انتخابات ديمقراطية ومع ذلك كانت الديمقراطية التي يمثلها مهزلة مجلس شعب صوري وبلغت المهزلة قمتها في انتخابات 2010 عندما كان التزييف علنيا وبكل التحدي لإرادة الشـــعب، طبعا لا يفهم من كلامي اني ادعو ان يأتي الحاكم عن طريق اجتماع مثل اجتماع الســـقيفة او اني اعترض على اتباع النظم الحديثة في ادارة الدولة فهذا عته ،ولكن اثبت ان العامل الديني الذي يحكم كلا من الحاكم والمحكوم ،السـياسـي الوزير ،عضـو مجلس الشـعب هو الذي يضـمن ان تكون السـياسـة في احسـن احوالها ، لو كان الحاكم والرعية تحكمهم هذه المعايير ، ما زورنا انتخابات ، ولا بعنا الغاز لإسـرائيل على حسـاب المواطنين البؤسـاء ، لو كان الحاكم له مرجعية دينية لعلم أن كل روح تزهق في بلده بسـبب الإهمال والتسـيب ورخص

حياة من يحمل مسئوليتهم في رقبته ، سيحاسب عليها أمام الله حسابا عسيرا وعندها لن نجد مثل هذه المنازل المنهارة ، ولا مثل حوادث الطرق هذه ، ولا هذه المنظومة الصحية المتردية ، ولا مثل هذا القمح المسرطن ، مراقبة الله في السر والعلن أرقى أنواع السياسة ، لا أعني تطبيق هذا الكلام حرفيا فالعصر مختلف ، والأساليب مختلفة ، ولكن روح الدين ، أن يكون السياسي صادقا مع نفسه ، إذا شعر في لحظة أنه ليس على قدر المسئولية فليتنحى بدون أن يطالبه أحد رفقا بنفسه قبل كل شيء .

الفصل الخامس

: المواطنة بين الدين وعلمانية د. خالد منتصر :

يقول د.خالد منتصر

أسس الدولة العلمانية تتمثل فيما يلي :

(أ)حق المواطنة هو أساس الانتماء بمعنى أننا جميعا ننتمي إلى مصر بصفتنا مصريين مسلمين كنا أم أقباطا

(ب)إن الأساس في الحكم الدستور الذي يساوي بين جميع المواطنين ويكفل حرية العقيدة دون محاذير أو قيود

(جـ) أن المصلحة العامة والخاصة هي أساس التشريع

(د) أن نظام الحكم مدني يستمد شرعيته من الدستور ويسعى لتحقيق العدل من خلال تطبيق القانون ويلتزم بميثاق حقوق الإنسان

يعلن البعض بافتخاره بكونه يساريا أو علمانيا ،مع كونه أيضا لا ينكر انتماءه إلى الدين الإسلامي أو المسيحي ،ومع هذا فهو يظهر أن سبب افتخاره هذا يرجع إلى أنه يرى أن يساريته أو علمانيته تصحح خللا أو عوارا في الدين نفسه ،لماذا أنا يساري لأني أومن بأن التفاضل بين المواطنين في التحاقه بالمناصب المختلفة أو الوظائف في الدولة يجب أن يكون بمعيار الكفاءة فقط ،وليس بمعيار الدين ،لا يجب أن يكون تفرقة بين الناس على أساس الدين ،وإذا كان البعض من هؤلاء يعتبر أن التعامل بمعيار الكفاءة هو حق للمواطن ،فإن البعض الآخر وهذه هي العلمانية يرى بالإضافة إلى هذا فإن شئون الدولة لن تنصلح إلا بإعمال هذا المعيار ،والحقيقة أن أي إنسان حكيم ،عاقل يهمه شأن هذا البلد لا يمكنه

الاختلاف مع هذا المبدأ ،من المنطقي أن الكفاءة هي العامل الهام في تقليد المناصـــب والوظائف ،لأن الإنسـان الأكفأ هو الأقدر على حمل المسئولية التي يتطلبها وضـعه الوظيفي ،ولكن لماذا لا يمكن تطبيق هذه المبادئ الرشيدة في ظل كوني مسلم ،أو مسيحي ،هل الدين يتعارض مع هذا المبدأ .

من يستمع إلى هؤلاء العلمانيين ،(وأقول أيضا حتى من يصف نفسه باليساري هو أيضا علماني لأن ما يهمه هنا هو شـــأن من شـــئون هذا العالم كما يبدو ،وحتى المنهج الذي ينتهجه هو معايير ومقاييس يبدو انها دنيوية وعلى هذا ينحي الدين جانبا وهو يطالب باعتبار الكفاءة والحديث عن الحقوق) ،يفهم أن من يسـند اليهم المناصـب والوظائف من المسـلمين ،يوجد من هم أقدر منهم على القيام بأعبائها ممن هم على غير دينهم لأن تحكيم الدين في حياتنا كما يروج العلمانيون يجعل الاختيار هو على أســـاس الدين وهو اختيار بالطبع بالإضـــافة لكونه غير عادل يضـــر بالصـــالح العام ،حيث أن البلد تحتاج الى الكفاءات في إدارتها وليس إلى طبيعة الدين الذي يعتنقه الإنســـان ،فهل فعلا إعلاء القيم والمعايير الدينية هو الســـبب وراء أن كل المناصـب في مصـر يحتلها إناس ليسـوا أهلا لها وعلى ذلك فالبلد في تدهور مسـتمر ،وهل فعلا انه على ذلك لا يجب ان تفتخر وانت تتحدث عما تراه في مصـــلحة البلد بأنك تفعل ما تفعله لأنك مسلم أو مسيحي حيث أن بالدين هنا عوار يجب ان يصلح بمقاييس علمانية بحتة لنرى

فكرة ان معظم او الكثيرين ممن يجلسـون على الكراسـي او يعينون في وظائف ليسـوا هم الاجدر والاكفأ هو حقيقة لا يمكن انكارها ولكن هل حقا كل كرســـي يجلس عليه مســـلم يوجد مســـيحي اولى منه بهذا الكرسـي أو أن دين الإنسـان هو المعيار الذي على أسـاسـه يتم تقلد المناصـب ،أو الحصـول على الحقوق المشروعة في مصر ؟،مغالطة رهيبة الحقيقة انه فعلا الكثير من المناصب التي يحتلها مسلمون ما اكثر المسـلمين ايضـا الذين هم اولى بالجلوس عليها ،ولا يختلف عن ذلك المناصـب او الوظائف التي يشـغلها مسيحيون ،اذا كان الاختيار على اساس الدين هو اختيار ظالم وواقع بالطبع لا يمكن انكاره وان كان من الجانبين ،فإن البلد تئن تحت وطأة اسـباب أخرى لاحتلال المناصـب ،الرشـوة ،الوسـاطة ،المحسـوبية ،انظر لترى ان حق التعليم والصـــحة وهما من الامور البالغة الاهمية تكاد تكون وقفا على الاثرياء مع انها حق اصـــيل للمواطن ،وحتى في مجال العدالة من يســـتطيع ان يتحمل نفقات المقاضـــاة الباهظة للحصـول على حقه ،من له وسـاطة يتعين في احسـن المواقع ،وان لم يكن لديه اي امكانيات ترشـحه لهذا التعيين ولا يخفى على احد ان بعض المصـالح والمؤسـسـات التي تعطي رواتب مجزية يتطلب الالتحاق بها دفع المطلوب ،ويضـــرب تماما عرض الحائط بالإمكانيات والقدرات ،فلماذا الدين وحده هو المتهم ،هل اعلنت العلمانية انها سـتقضـي على هذه الرشـوة والمحسـوبية ،ولماذا بمقاييس علمانية !،هل يسـمح الدين بمثل هذا العبث ،الم يعلن الرسـول عليه صـلوات الله وسـلامه ان الراشـي والمرتشـي في نار جهنم

،ألم يقل الله في كتابه الكريم من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء حسيبا ،فلماذا الإصرار على الصاق كل عوراتنا بالدين والادعاء بان اقصـــاؤه هو الخير الأكيد ،واقول من يعلي معيار الكفاءة فقط من خلال اعتبارات علمانية ،فهو هنا لم يخالف المنهج الديني ،ولكن تصـــرفه لم يكن بغرض ديني ولكن لمنفعة دنيوية بحتة وعلى ذلك فهذه المنفعة تتحقق ،كما قلت لا يمكن ان تكون المعايير الدينية في تعارض مع الصـــالح الدنيوي المشـــروع ،ولكن هدف العبادة التي لم يخلقنا الله الا من أجله لم يتحقق هنا وعلى ذلك من يدعي انه على الرغم من علمانيته فهو مسلم ،متمسك بدينه يناقض نفسه ويعاني من انفصام ، او خلط وسوء فهم شديد وفكرة بالغة التدني عن الدين لو كان حقيقة يهمه امر الدين ، واذا فلينتظر المكافأة الاخروية من هذه اليســـارية أو العلمانية المزعومة ،حيث يتصـــرف بتعالي على تعاليم الدين ،ومعليا من مقاييس اقل كثيرا في جوهرها من حكمة الدين وعمقه ويظن انه هكذا يصـــلح ما أفســـده الدين ،وعلى ذلك انا الا أومن باجتماع مفهوم اليســـارية او العلمانية مع فهم عميق لما يعنيه الدين تحديدا وســـأثبت لاحقا أن التمحك بفكرة المواطنة وحقوق الانســان وفصــل العلم الدنيوي عن العلم الديني هي مجرد ســتار للحرب المســعورة على الدين نفسه .وأن تعصب هؤلاء ضد الدين ومناصريه يفوق بمراحل تعصب اصحاب الاديان لدياناتهم ،لأنه اذا كان التعصــب وهو تناول اعمى للأمور بعيدا عن العقل والمنطق هو صــفة من لا يفهمون دينهم جيدا فالأولى أن يتصف به من ليس لديه هذا الاعتبار الديني أصلا ،ثم نأتي الآن الى هذه الفكرة التي يرسخها العلمانيون ان الدين يدعو للتعصب في الامور الدنيوية على اساس الدين

هل يدعو الدين الى التفرقة بين الناس على اســـاس الدين؟ بمعنى هل يتعارض مع فكرة المواطنة والمساواة بين الجميع امام القانون فى الحقوق والواجبات

ما أعنيه بالتفرقة هنا هو التفرقة في الحقوق او الواجبات ، او تكافؤ الفرص ،او العدالة الاجتماعية هل يدعو الدين الاسلامي الى تمييز المواطن المسلم عن المسيحي في حقوقه كمواطن ،هل تتعارض القيم - والمقاييس الدينية مع العدل ، هل عندما يأمر القرآن او الاســلام بالعدل فهذا يعني انه عدل يقتصــر على المسلمين ؟ الحقيقة اني احيانا اصدم عندما يتحدث انسان مثقف فيصف نفسه بانه يساري ، طريقة الكلام تعكس فكرة مغلوطة عن الدين فعندما يســـأل لماذا ، تكون اجابته لان اليســـارية تعني ان معيار تقييمك كفرد في المجتمع هو كفاءتك وليس دينك ، وكان معيار التقييم او اهلية إنسـان أن يحتل منصـبا او وظيفة او درجة لا علاقة لها بالدين هو الدين .فما مدى صحة هذه الفكرة

اولا: الله ســـبحانه وتعالى لم يفرق بين الناس في حظوظهم الدنيوية وفق دينهم ،هذه الحظوظ التي هي منحة خالصة منه وتجري وفق مشيئته المطلقة ، وهذا ما نشاهده بأعيننا وما يؤكد عليه القرآن الكريم : " كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا " الحقيقة ان العلاقة بيننا وبين الله تتمثل في علاقتين : علاقة الربوبية وهي علاقة الله بخلقه جميعهم وعطاؤه لهم بصـــفتهم عباده علموا ذلك ام لم يعلموا ،اعترفوا او لم يعترفوا ، وعلاقة الالوهية ، وهي بالطبع تقتصـــر على الذين يؤمنون بالله اي يؤلهونه اي علاقة تخص ويقتصـر عطاؤها عليهم ، اما من لا يعبد الله ، يعبد شـيئا آخر او لا يؤمن باله على الاطلاق فليس الله الهه وبالتالي فلا عطاء الوهية له وعطاء الالوهية هذا جله في الآخرة بعد البعث و النشور والحساب

بالنســـبة لما يجري في هذه الدنيا ، بما ان الله رب الجميع وهو الذي اســـتدعاهم جميعا الى الوجود ولم يخلق احد نفسه ، فعطاؤه للجميع وفق مشيئته المطلقة ، يبسط الرزق من اي نوع لمن بشاء ويضيقه على من يشـــاء ، ومع ذلك فالله كما يقول في القرآن يعطي الجميع وليس مقصـــورا عطاؤه على من يعبده او يؤمن به وربما كما يقول في القرآن يميز الكافر ببعض متاع الدنيا لأنه ليس امامه الا هذا المتاع الزائل ، ولان الدنيا عند الله لا تمثل شـيء ولكنها فقط دار الابتلاء التي سيتحدد على اساس سلوكيات الناس فيها طبيعة الحياة الخالدة بعد ذلك لا تســاوي جناح بعوضـــة كما يقول الحديث ، فعطاؤه فيها لا يتوقف على ايمان الناس به او بكفرهم ، الله رب الجميع هو الذي خلقهم ، يرزقهم يســـير امورهم جميعا ، هذا ما يعتقده المؤمنون ، ومن يأخذ من الاســـباب التي قدرها الله اكثر غالبا يكون نصـــيبه من الدنيا اكثر كما يشاء الله ،يعني الله هو ايضا رب هؤلاء اليابانيين الذي يحتج د. خالد منتصر بانهم يسيرون على ما يرام على الرغم من عدم ايمانهم بإله ، الله رب من يؤمن ومن لا يؤمن ، من يعترف بهذه الربوبية ومن لا يعترف

ثانيا : فإذا كان الله نفسـه لا يفرق في عطائه الدنيوي بين المسلم وغير المسلم ، فكيف يطلب من الناس ان يفرقوا فيما وكل اليهم من امور سيحاسبون عليها امام الله ، بين المسلم وغيره ، كيف ترسخ فكرة ان الدين يعني التفرقة بين الناس على اساس الدين

التفرقة تعني الظلم ، والله ســبحانه وتعالى يؤكد بشـــدة على اتباع العدل حتى بالنســـبة لمن نبغضـــهم ، المشاعر شيء وترجمة المشاعر الى افعال تخل بالمسئولية التي القاها الله سبحانه وتعالى على عاتق اي انسـان شـيء آخر ، الله سبحانه وتعالى يقول : "ولا يجرمنكم شـنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله "

ثالثا : الله يؤكد على انه سبحانه وتعالى فقط الذي سيحاسب الناس على ايمانهم او كفرهم وعلى اعمالهم لم يوكل احدا ان يكافئ المسلم على اسلامه او يعاقب غير المسلم على كونه غير مسلم ،على العكس ، الله يأمر بالبر والقسط اي العدل مع الذين يعيشون معنا وليس بيننا وبينهم حالة من الحرب والعداء ، الله سبحانه وتعالى يقول : "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين "و الذي يقبل ان يأخذ اجر اسلامه من عبد مثله في صورة تمييزه او اعطائه ما لا يحق له او ما يوجد من هو احق منه به ، يرتكب بالقطع خطأ في حق نفسه ، القرآن في آية صريحة يجيب عن كل هذه الاتهامات ، الله سبحانه وتعالى يقول : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل "أمر صريح من الله سبحانه وتعالى بأن يؤدي المسلمون الامانات الى اهلها ، لم يقل الى اهلها من المؤمنين ، لا تقتصر احكام الدين والامر بالعدل على اتباعه فقط ، فباقي الآية ايضا يؤكد على هذا المعنى ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، بين الناس ،مبادئ القرآن العظيمة تطبق على جميع الناس ، وعندما يأمر القرآن بتأدية الامانات فكلمة تأدية تعني واجب عليهم القيام به نحو كل انواع الامانات ، فإذا كان هناك وظيفة ، درجة ، حق من اي نوع ،اهل هذه الدرجة هو اكثرها استحقاقا ،هذه مسئولية معلقة في رقبة من يوكل اليه هذا الامر، ليس من حقه ولم يأمره الله ان يتخذها وسيلة لمكافأة المسلمين على اسلامهم ،الله سبحانه وتعالى لو كان يريد ان يميز المؤمنين به دنيويا لكان جعل هذه الكفاءة او الاستحقاق قصر عليهم ولكنه سبحانه وتعالى لم يفرق في عطائه الربوبي بين من يؤمن ومن لا يؤمن ، بل خص غير المسلم بشيء من فضله وجعل اداء هذا الفضل اليه امانه في عنق انسان سيحاسب على مخالفة امره اذا لم يؤدها ، وليت هذا المبدأ يكون عند الآخرين حيث التعصب والتحيز ثقافة لا ترتبط باهل دين بعينه

الله سبحانه وتعالى سجل في عدة آيات في سورة النساء وقفة مع صاحب حق يهودي الذين كان من المعروف انهم في حالة عداء مع الرسول عليه الصلاة والسلام ضد أحد الانصار الذين كان من المعروف انهم وقفوا مع النبي عليه الصلاة والسلام وايدوه وناصروه ،حيث قام الانصاري بسرقة درع وخبأه عند اليهودي الذي لم يكن يعرف انها مسروقة واتهم اليهودي ظلما بسرقتها ، وعندما اتضحت الحقيقة كان الصحابة او بعضهم يضغطون على الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلن غير الحقيقة حفاظا على سمعة الصحابة والانصار ولكن القرآن نزل مبينا الحقيقة ومرسخا المبادئ الدينية القويمة ، بصرف النظر عن الاشخاص ، فهل يوجد عدل مثل ذلك ، او مواطنة وتساوي امام القانون مثل ذلك ؟ هذه هي الآيات : " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس كما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر ا لله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان

خوانا أثيما. يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرمي به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا "هذه هي المواطنة والعدل والمســـاواة وتكافؤ الفرص كما يجب ان تكون ، وكما كان المسلمون يطبقونها ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الخطبة التي القاها عندما بويع بالخلافة ، قال القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، معيار القوة والضعف هي ان يكون الانسان صاحب حق او لدى الآخرين حقوق عنده ، ومهمة الحاكم هي ان يقضي بالعدل بصرف النظر عن اي اعتبار ، آيات القرآن اختتمت ب ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرمي به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ، لم ير في الانصاري الا انسان ارتكب اثم ورمي به بريئا ولم ير في اليهودي الا هذا البريء الذي رمي بالإثم ظلما ، والعاقبة ان هذا الانصاري سيطبق عليه هذا الحكم الالهي واعتباره احتمل بهتانا واثما مبينا على الرغم من ان الذي ظلمه كان يهوديا ، وهكذا تطبق الاحكام بغير تمييز ، اليس هذا هو العدل في ابهر صوره ، لماذا العلمانية واليسارية ، لماذا عندما تكون هذه الكنوز تحت ايدينا والمفروض اننا نتعبد بتطبيقها ونسأل يوم القيامة اذا لم نفعل ، نبحث عن نفس هذه الاعتبارات في اليسارية او العلمانية حيث لن تصل الى درجة الشريعة واوامر الله الذي حرم الظلم على نفسه وجعله محرما بين عباده ، هذا فضلا انهم لو التزموا بهذه القيم فقط ايمانا بانها يجب ان تطبق وطريقهم في هذا هو هذه العلمانية او اليسارية ، هنا لن يثابوا عليها ، هذه ليست عبادة ولا ابتغاء مرضاة الله هو الدافع ، يفعلون هذا بنفس دوافع ونظرات من لا يؤمنون ثم يدعون بعد ذلك انهم يحترمون القرآن واحكامه !،

أريد ان افهم ما هو الجديد الذي جاء به خالد منتصر ليجعله اساسا لهذه الدولة العلمانية المزعومة ، اننا جميعا مسلمين واقباطا ننتمي الى مصر ، هل اشتكى مثلا احد الاقباط انه سحبت منه الجنسية المصرية لأنه قبطي ، من الذي اخبره اننا جميعا لا ننتمي الى مصر ، هل يريد ان يقول ان البعض لا يتمتع

بحقوق المواطنة فعلا ، هذا الكلام ، صحيح طبعا ، ولكن لماذا مسلمون ومسيحيون لماذا هذه التفرقة على اساس الدين ، ما اكثر الذين يفتقرون الى اقل حق من حقوق المواطنة مسلمون و مسيحيون ، الانسان المسكين الذي لا يجد قوت اطفاله ، او علاج مريضه ، او يحفى في المكاتب على حق ضاع له ، او ضاع حقه في التعليم والعيشة الكريمة ، هؤلاء الضحايا المساكين الذين يقتلون غرقا في محاولات متكررة للفرار من ظروف البلد البالغة الاستخفاف بهم وبوضعهم كمواطنين ،هجرة غير شرعية إلى بلاد تختلف لغتها وعاداتها وتقاليدها ودينها ايضا ومعاناة البعد عن والقلق على اهلهم وابنائهم ، تفضيل مرارة هذه الغربة عن العيش في اوطانهم ، فأي مواطنة هذه وما دخل الدين هنا ،اذا كان معظم الضحايا مسلمين وبنسب تفوق نسبتهم العددية ،المعاملات الغير آدمية والمهينة التي يتلقاها المواطن المريض في المستشفى من طبيب وممرضة هم أيضا ضحايا لغياب مفهوم المواطنة وحقوقها ،أو ما يعانيه ضحية سرقة او نصب ،او اعتداء من استخفاف بمشكلته من ضابط الشرطة الذي يلجأ اليه ،كل هذا الغياب لأبسط فكرة أو صورة للمواطنة التي يرزح تحت ثقلها الغالبية من اهل هذا البلد مسلمين ومسيحيين ،ثم لا يلقى اللوم إلا على الدين والحل الألمعي هو التخلص من الدين بالكلية،فهل فعلا المواطنة وما تعنيه هو ما يشغل بال هؤلاء المتحدثين باسم العلمانية ،ام ان الموضوع كله كما لا يغيب عن بال الأبله هو الحرب المعهودة على الدين وأهله ،وتشويه صورته وتغييب الناس دينيا فما هو الحل ؟

اكيد هناك خلل سبب لكل هذا سبب يكمن في القائمين على امر هذا البلد وليس في القوانين و في استطاعة الناس انفسهم ان يعرفوا حقوقهم ويطالبوا بها ، عندما قامت الثورة كان هذا ما قامت من اجله ، لم تقم بسبب سيطرة مفاهيم دينية خاطئة ، او تفرقة بين الناس على اساس الدين ، لم يكن الاقباط هم الذين قاموا بالثورة ليطالبوا بحقهم في المواطنة ولكن كان هناك التحام بين الجميع مسلمين واقباطا من اجل هدف واحد ، عيش حرية عدالة اجتماعية ، وللعلم لم يكن هناك اي ترحيب من قبل اي علماني عندما بدأت الثورة بقيامها ، ولم يشر احدكم مرة واحدة الى التلاحم العظيم الذي حدث بين المسلمين والأ قباط ، ولم يبد ان هذا الامر كان موضع رضاكم ،على الرغم من انك فقط قبيل هذه الاحداث كنت تستنكر وتكرر كيف يساء معاملة الاقباط في مصر ولم نسمع صوتك ياد كتور خالد الا عندما بدأت حوادث امبابة فأبديت اسفك على انتهاء السعادة التي كنت تعيشها بسبب هذا التلاحم المصري المسيحي ! نعم كنت اركز جيدا في كل ما يقوله او يعلق عليه اي علماني ولم يخب ظني فيكم ابدا !

الأساس في الحكم هو الدستور ، والمصلحة العامة والخاصة هي اساس التشريع ،العدل وتطبيق القانون وحقوق الانسان ، اليس هذا هو المفروض في اي دولة محترمة عريقة ، لماذا يسمى هذا بالعلمانية ، لو

كان هناك مثلا قانون لا يراعي المصلحة العامة او الخاصة ، او لا يحقق العدل ، او به خلل ما فهذا امر وارد لان من يصـــوغون هذه القوانين بشـــر ، والله اعطى الناس الحق ان يصـــوغوا مثل هذه القوانين حسـب ما يروا من المصـلحة ، وحسـب الظروف ، طالما لا تتعارض مع الشـريعة ، ولذا فتعديل هذه القوانين حسـب ما يرى لا يسـتلزم ان ننسـبه الى دولة علمانية ، لان هذه الكلمة كما اوضـحت لا بد ان تحمل معنى مقابلا للدين ,لابد ان يكون هذا إصلاح لما أفسده الدين ، هذا ما يروجون له

-

<u>والآن هل يحترم العلمانيون حق المواطنة كما يدعون ، ام ان هذا الاحترام انتقائى يطبق فقط كيفما شاءوا</u>

هل حقا تحترم العلمانية جميع الاديان ولكنها لا تفرق بينها وتقف على مسافة متساوية منها ؟

مفهوم احترام الدين كما افهمه هو ان افهم اولا ماذا تعني كلمة دين بالنســبة لمن يدينون به ، في مصـــر الغالبية الســـاحقة يؤمنون بالله والبعث والحســـاب والثواب والعقاب والحياة الآخرة الابدية التي تتوقف طبيعتها من نعيم او عذاب على ما تبناه الانسان من افكار وعلى سلوكياته واتباعه او عدم اتباعه لأوامر هذا الدين الذي ينتمي اليه سواء اكان الدين الاسلامي ، أو الدين المسيحي ، بما يعني ان هذه الدنيا ليست منفصـلة عن الآخرة ، ولكن هي المعبر والسـبيل ، وان هذه الدنيا ليسـت هدفا بذاتها ، حق اي انســان كمواطن ، اي مفهوم المواطنة الحقيقي يجب ن يهيئ ويوفر لكل انســـان القدرة على اتباع تعاليم دينه ، وعدم مخالفتها ، بفرض ما يتعارض معها ، عليه ، من حق كل مواطن في هذه الدولة الا يعيش في صـــراع بين ما يأمره به دينه ويريد الالتزام به لان دينه هو اهم واغلى واقدس ما يملك ، وبين قوانين تجبره على ان يضـــرب عرض الحائط بهذه الاعتبارات الدينية ، او يضـــطر الى مخالفة القانون وعدم احترامه لان الاعتبار الديني الذي يتوقف عليه حياته الابدية التي يؤمن به اعلى ،اذا كانت العلمانية تعني كما يقول الدكتور خالد منتصـر اعلاء المصـلحة العامة والخاصـة ، فاهم مصـلحة لكل مواطن هي عدم فتنته في دينه ، هذه مصلحة خاصة لكل مواطن ، ومصلحة عامة للناس حيث الاغلبية الساحقة اصحاب دين ، هذا فضلا على ان المفروض ان من بيده امر هذه الدولة ان يكون له نفس هذه الاعتبارات ، ولكن على فرض انه لا يحملها ، فليس من حقه ان يفرض مقاييســه هو على الجميع بحجة ان هذا هو الصــالح العام كما يزعم ،او اعتبار من يطالب بتمكينه من التصـرف وفق ما يأمره دينه شـخص متخلف ولا حق له فيما يريد هو اسـتهانة بمفهوم المواطنة التي يتعللون بها ، هذا نوع من فرض الوصـاية الغير مبررة

او مفهومة وعلى هذا لا نفهم هذه الصـيحة العالية التي يقودها من يسـمون انفسـهم بالمثقفين او النخبة بإلغاء الفقرة الثانية من الدسـتور والتي تعني ان كل القوانين يجب الا تتعا رض مع الشـريعة الاسـلامية لأنها منهج حياة سـنحاسـب وفقه ، هذا مع احترام حق من له شـريعة تتطلب منه سـلوكا معينا ، أليسـت هذه من اهم سـمات الدولة التي تحترم الدين كما يقولون ، ام ماذا يعني هؤلاء المنظرين للعلمانية من انها تحترم جميع الاديان ، ان تسمح لي ان اصلي في بيتي ؟

أنا أفهم احترام جميع الاديان والمساواة بين من ينتمون اليها على انه اقرار للحق المشروع لكل انسان ان يتبع تعاليم دينه ، وعدم التفرقة في هذا الخصوص ، ولكن من يتأمل العلمانية يجد ان ما تعنيه حقيقة من الوقوف على مسافة متساوية من جميع الاديان هو محاربتها جميعا ،وان هذه المسافة بعيدة ورافضة .

بينما يتحدث خالد منتصر عن المواطنة والمساواة والعدل ، واحترام الدين نراه يسخر وبشدة ويقاوم بكل ما اوتي من قوة فكرة ان يكون للإنسـان مرجعية دينية تقود تصـرفه وبالتالي تجعل من حقه على الدولة التي ينتمي اليها ويحمل جنسيتها ان تيسر له كل ما يضـمن تمكنه من السير في ظلال هذه المرجعية ، الدين الاسـلامي يحرم الربا وبشـدة ويتعامل معه على انه من الكبائر التي تورد صـاحبها مورد التهلكة والرسـول يخبرنا ان الله لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشـاهديه ، هذا امر على اكبر قدر من الاهمية بالنسبة للمسلم الذي يعيش في مصر المحروسة بلد الازهر الشريف التي غالبيتها من المسلمين ، وليس في روسـيا السـوفييتيه اللادينية ، ماله لن تزل قدمه يوم القيامة حتى يسـأل من اين اكتسـبه وكيف انفقه ، من اول مبادئ المواطنة بالنسـبة له ان يمكن من التعامل في ماله واسـتثماره بالطريقة الحلال ،اما ان يفرض احد عليه هذه الوصـاية العلمانية ، ويرى ان هذا ليس من حقه طالما الموضـوع متعلق بالدين وبحجة ان الاقتصاد هو علم وممارسة دنيوية ولا شان لها بالدين وانه فقط في ظل هذا التطبيق العلماني سيكون الاقتصـاد في احسن حالاته! ، الدين يعني اشـخاص تفرض رداء القداسـة على افكارها ودروشـة وسذاجة وحديث عن البركة !كما ذكرت سابقا

اذا كانت علمانية د. خالد تعني اعلاء فكرة المواطنة واحترام الدين فلماذا هذا الهجوم الضاري على فكرة الخمار ام يطلق عليه عادة الحجاب وهو غطاء الشـعر ،لماذا يتهم اصـحابه بالنفاق ،لماذا يسـمح لنفسـه بالدخول في النوايا ،اذا كانت علمانيته لا تفهم ان يكون هناك دافع ديني و هدف غيبي يمت الى حياة اخرى ويرى أن كل سلوك انساني لابد ان يكون دافعه الحقيقي هو فائدة دنيوية فلماذا لا يتفهم من خلال اعلاؤه لقيمة المواطنة اني اختلف معه ولي مقاييسـي الاخرى ونظرتي الى الامور ،اليس هذا اكبر دليل على زيف ادعاءاته باحترام الاديان والمواطنة

وبينما يستغل د. خالد موضوع المواطنة اسوأ استغلال ليلقي في روع الجميع كيف تساء معاملة الاقباط في مصـــر وتهضـــم حقوقهم ويبين تعاطفا مبالغا فيه نحوهم ورغبة في رفع الظلم عنهم ولا يكف عن البحث والتنقيب عن الممارسـات الخاطئة بحجة تطهير الجروح من القيح والصـديد حتى لا تلتئم عليها ، يقوم هو نفسـه بوضـع هذا القيح والصـديد ، وزيادة الاحتقان ، لأنه في حقيقة الامر لا يقبل لا المسلم ولا المسـيحي ولا اي صـاحب دين ومثله مثل باقي العلمانيين امثاله يتبعون نفس المنهج الذي يضـرب هذا بذاك ، ومن الطبيعي ان يكون عداؤهم للدين الاسـلامي واصـحابه اقوى لانهم الاظهر ، وكما ذكرت في الاوقات التي يتحد فيه الجميع لا نسمع كلمة واحدة تعبر عن رضا او سرور ، او رغبة حقيقية في تحقيق ما يسمى بالوحدة الوطنية التي لا يتحدثون عنها ولكن فقط ادعاءات وتصـنع الوقوف مع ما يرسـخون له انه الطرف الضعيف !

ولكن كل شـيء يبدو على حقيقته عندما يتناول الدكتور خالد منتصـر الكتاب المقدس للمسيحيين او يرفع المسـيحي صـوته مطالبا بحق له طابع ديني ، او يثور على عدم احترام القانون او الدولة لشـريعته التي المفروض انها تمثل له اقصى اهتمام

الدكتور خالد منتصـــر يرى ان فكرة خلق الانســـان من طين قد انتقلت الى التوراة من اســـاطير الاولين السومرية والبابلية والاغريقية والفرعونية ، هكذا يقول في كتابه وهم الاعجاز العلمي بصريح العبارة

الدكتور خالد منتصـــر يزعم ان فكرة الخلق التي تعني ان الله هو الذي خلق الكون وهي فكرة تقف في تعارض تام مع الداروينية هي فكرة توراتية خاطئة وقع فيها مفسرو القرآن !

والأكثر من هذا ،هذا الهجوم العنيف الذي شـنه على اقباط مصـر جميعا لوقوفهم مع البابا شـنودة الراحل عندما رفض القانون الوضعي الذي يجيز الطلاق لغير علة الزنا او الزواج الثاني ، وبصرف النظر عن الآراء الدينية فمعارضـــة دكتور خالد لهذا الموقف القبطي كانت من منطلق اعتباره تنظيرا للدولة الدينية !وهو شـيء اعجب من العجب ، حكم شـرعي في مسـالة دينية بحتة ، الزواج هو علاقة حميمة بين رجل وامرأة غريبة لابد ان تتم من خلال مقاييس يحددها كل دين لأصحابه حتى تكون علاقة صحيحة وحلال والا كانت علاقة محرمة ، فما شـــان خالد منتصـــر في هذا ، لو كان عنده شـــيء من العدل المزعوم والتعاطف مع الاقباط بصـفتهم اصـحاب حق لنادي بان هذا الموضـوع هو شـان ديني لا تحدده سـوى الكنيسة ، ولكن طالما الموضوع يتعلق بالدين حتى ولو كان الحال موضوع ديني اصلا وليس موضوع خاص بممارسـاتنا العادية فهذا الطبيب العلماني يصـاب بارتكاريا الدين على الفور والتهمة تنظير للدولة

الدينية بينما هكذا كما اوضحت هو الذي ينظر للدولة اللادينية التي لا تحترم فيها شريعة او عقيدة ، فاين حقوق المواطنة هنا ، واين زعمه ان علمانيته المزعومة تحترم جميع الاديان ؟

وإذا كان كل كلام خالد منتصر هو ما شأن الدين وما شأن الله ، اذا كان لا يفهم اننا لن نحاسب الا على هذه الممارسات والسلوكيات في الدنيا ، واذا كانت علمانيته تعني الا يكون للدين اي شأن فهذه العلمانية هي بالقطع ضد مفهوم المواطنة ، و من طريقة وتناول هؤلاء العلمانيين الذين يمثلهم د.خالد منتصر ، كما اوضحت ندرك انه لكي يكون هناك اعتبارات للمواطنة يجب اولا ان نتخلص من الدين الذي يتعارض مع مصلحة الدولة فضلا عن انه حتى في حدود كونه دين ايمان وعقيدة يحاول هؤلاء ان يصوروه على انه اوهام وضلالات ، ثم بعد ذلك يقولون العلمانية ليست ضد الدين باي صورة !

د. خالد لا يكف عن توجيه النقد للإخوان المسلمين لطريقة حديثهم عن فكرة الوطن ،مرشد الإخوان يقول عن الوطن " طظ " وهو تعبير دارج يدل على فقدان الأهمية ،مرشد الإخوان يرى أن الباكستاني المسلم أولى من المسيحي المصري ،

وإن كان موضوعي لا يتعلق بالإخوان وبما يرونه ،ولكن هل العلمانيون الذين لا يكفون عن استخدام فكرة الوطن والمواطنة والمساواة بين أفراد الشعب بصرف النظر عن الدين او المستوى الاجتماعي أو اللون هم فعلا يعلون هذه الاعتبارات بطريقة تجعلهم مختلفين وعلى ذلك يحق لهم توجيه كل هذا النقد إلى غيرهم

الحقيقة التي أراها هو أن الفارق الوحيد بين ما يتبناه حقيقة هؤلاء العلمانيون وبين ما يعلنون رفضهم له وبالتالي لأصحابه ،هو انه بينما لا يبالي الإخوان بالتعبير بكل صراحة عما يعتقدونه من فكرة الوطن والمواطنة ،هو ان هؤلاء العلمانيون لا يحملون في الواقع تبنيا مختلفا عما ينتقدونه علانية ،هل أنا أدخل هكذا في النوايا ؟،أنا سأذكر بعض مواقفهم لنرى هل امر الوطن حقيقة يهمهم

إذا كان من هناك يذكر بكل صراحة ان الباكستاني المسلم اولى او اقرب اليه من المسيحي المصري فأنا ارى أن العلماني الاسرائيلى اقرب الى هؤلاء العلمانيين من المسلم او المسيحي المصري على سواء ،ما الذي جعلني اعتقد ذلك

قبل ان ارد على هذا السؤال اريد ان اتناول ما نسب الى الاخوانيين ،انا لا اعرف كيف يفكرون ولكن اتحدث عن نفسي واقول يمكن ان افهم قولهم ،وليس هذا من قبيل الدفاع عنهم فانا لا يهمني كثيرا ان يكونوا مدانين في افكارهم هذه او غير مدانين فكل انسان مسئول عما يعتقده ،أفهم ان الانسان تتعدد علاقاته واعتباراته مع الآخرين ،فإذا كنت في عمرة أو حجة مثلا فأنا هنا كمسلمة انتمي أكثر لمن يشاطرونني هذه المناسك على اختلاف جنسياتهم فهناك امور

مشتركة بيننا تعطي فرصة للمناقشة فيها ،وليس لاخواننا المسيحيين الذين يشاطروننا الوطن شأن هنا ،وبالمثل هذا هو حال المسيحي اذا كان في رحلة مقدسة مع من يشتركون معه في معتقده على اختلاف جنسياتهم ،ليس هناك عيبا هنا او داعي للانتقاد

ولكن في الامور التي تتعلق بكلينا مسلمين ومسيحيين والتي هي شأن من شئون الوطن الذي نتقاسم ظروف الحياة فيه فليس هنا شأن للباكستاني او التركي ،هنا مجال للتفاهم واتخاذ القرارات المشتركة واختلافي مع المسيحي في هذه الامور لن يختلف عن اختلافي مع المسلم الذي يشاطرني او يختلف معي في الرأي حول ما نراه من امور تمس حياتنا معا ،وليس ادل على ذلك من هذه الوحدة التي رايناها اثناء ثورة يناير والتي اظهرت بكل جلاء ان ما كان يعانيه المسلم هو نفسه ما كان يعانيه ويرغب في تغييره شريكه المسيحي ،ليس هنا اي مجال للحديث عن الانتماء الاقرب للمسلم الباكستاني كما يقولون ،واذا قيل هذا الكلام بالصورة التي ينتقدها د. خالد فهذا من قبيل التعصب واللغو الفارغ الذي ليس له تأثير على أرض الواقع

نأتي هنا الى اجابة السؤال الذي طرحته ،هل فعلا العلمانيون الذين لا يكفون عن الحديث عن الوطنية وما يجب ان تكون عليه هم وطنيون بالفعل ،انا لا ارى ذلك ومن فهمي لسلوكياتهم :

عندما لا يشقي د. خالد منتصر ولا يجد مثالا خيرا منه لينتقد وهو لا يكف عن النقد ،كيف اننا نستبدل بالتعبيرات التي تصور الحقيقة تعبيرات زائفه ،كيف اننا بعد هزيمة يونو عام 1967 اطلقنا عليها لفظ النكسة وكأننا كان من الواجب حينها ان نصف الامور بحقيقتها فنقول هزيمة ساحقة مريرة ولا نكف عن وصفها بهذا لنعيش هذا العار بكل ثقله على نفوسنا ،انا لا اشعر من هذا التعليق من جانبه الا بالشماتة وانه كان يود ان نعيش هذه السنوات العجاف ونحن نشعر بالذل والانكسار ،أما ان نستخدم تعبير نكسة ،وهو تعبير مخفف جدا فهذا ما ينتقده وينتقد اخلاقياتنا بسببه ،

هجوم د. خالد على صلاح الدين ومحاولته المستميتة تحويل نظرة المصريين اليه كبطل قومي خلصهم من نار مستعمر غاصب استحل بلادهم ودماءهم تحت ستار الدين ،الى انسان قمعي ديكتاتور يعذب اعداءه من المصريين ،يشقيه ان لا يتعرض فيلم الناصر صلاح الدين لواقعة ترك السهروردي الذي يسهب في المدح فيه يموت جوعا ،الفيلم يحكي قصة من قصص تاريخنا العظيم يحكي الحرب بيننا وبين الغزاة الطامعين ،وليس بالقطع مطلوبا منه ان يتم تشويه صورة البطل بما يراه هو او يريد ان يراه من جانب آخر ويصف الفيلم انه يأتي على طريقة اذاعة صوت العرب او صحيفة برافدا السوفييتية اثناء حكم لينين ،ولا يرى ان احدا يفعل هذا مع تاريخه وتاريخ رؤساؤه ،لا يتحدث الامريكان عن هاري ترومان الذي حول جزيرتين يابانيتين الى جحيم حقيقي ظلت اليابان تعاني من آثاره المدمرة ومن التشوهات التي اصابت الاجيال اللاحقة ببالغ الاضرار لم يتحدثوا عنه بالطريقة التي يريد د. خالد ان يتناولها ،لا يسره هو وحزبه ان يكون هناك من حكام وطنه ان يكون بهذه البطولة ،يريد ان يفقد

المصريين الثقة في تاريخ بلادهم ،يريد ان يفهمهم انه تاريخ كئيب مظلم ليس فيه بريق من نور ،فهل هذه هي الوطنية ،ما يهمني من افعال صـلاح الدين الايوبي انه قضـى على الصـليبيين واخرجهم ،وانه اعاد الى مصر سنيتها وطهرها من الفاطميين الشيعة الذين كانوا لا يتورعون عن سـب ولعن الصـحابيين ابي بكر وعمر على المنابر ،هذا هو ما أثر على الآن ،اما ما فعله مع السـهروردي ان لم يكن سـوى ظلم بين كما يريد د. خالد ان يكون فليس لي شـأن به ،فكلا من صلاح الدين والسهروردي قد توفي من قرون وكلاهما بين يدي الله هو الذي يفصل بينهما بميزان حق ،ولكن د، خالد الوطني جدا يسـوءه الا يشـوه تاريخ احد ابطالنا العظام ،ويتحدث آخر بمرارة عن نفس هذا البطل بانه أحقر من عرفته البشـرية ،هكذا تعبير يمكن ان يقبل من صبي مراهق يستخدم تعبير اسوا واحد في العالم ،اما ان يصدر من شخص اكاديمي يمكن ان يحدد بدقة ما يقول فلا يمكن الا ان يكون عاكسـا لمرارة تجاه صـلاح الدين لانتصـاره على الصليبيين ،مرارة تحاكي مرارة الجنرال هنري غورو عندما دخل دمشق مستعمرا بعد معركة ميسلون الذي استشهد فيها يوسف العظمة وزير الحربية فذهب الى قبر قاهر الصليبيين صلاح الدين الأيوبي وركل الضـريح وقال بشـماتة لقد عدنا يا صـلاح الدين ،ما زال يحمل مرارة خروج قومه من القدس بعد سبعة قرون .

الموضـوع ليست نظرة احادية إلى الأمور كما يرى بعض حسني النية ولكن مشاعر عدائية تظهر من تعبيراتهم ،كيف يكون احقر إنسـان في التاريخ إذا كان أعداؤه قد شـهدوا له ، فقد أكد المؤرخ القبطي ساويرس ابن المقفع المتوفي على أن : ***"إن الملك صلاح الدين عامل رعيته في بلاد مصر بخير يعجز الواصف عن وصفه وأرسى العدل وأحسن إلى المصريين وأزال مظالم كثيرة على الناس وأمر بإبطال الملاهي في بلاد مصـر وأبطل كل منكر شـرير وأقام حدود شريعة الإسلام. وكان يجلس للحكم بين الناس فينصف المظلوم من الظالم ويكون في مجلسـه مجموعه من الفقهاء ومشـاهير الدولة للنظر في القضـايا بين الناس والعمل بما توجبه أحكام الشـريعة والحق والعدل. (تاريخ مصـر من خلال مخطوط تاريخ البطاركة ، الجزء الثالث ، المجلد الثاني ، ص1475)***

وما قاله أيضا ابن المقفع عن رحمة صلاح الدين بالرعية " أنه في سنة (573هـ/ 1177م) خرج أمر الملك الناصر صلاح الدين بإبطال جميع المكوس والضرائب من الديار المصرية ، صـعيدها وبحريها وشـرقيها وغربيها وبرها وبحرها ، عن كل من فيها من المسـلمين والنصـاري والغني والفقير والقوي والضـعيف والأمير والمأمور وأمر أن تؤدى الزكاة على الوجه الشـرعي المأمور به من الله عزوجل. (تاريخ البطاركة ، الجزء الثالث ، المجلد الثاني ص1469)

أما بالنسبة لوفاته رحمه الله فقد عم الحزن أرجاء العالم الإسلامي برحيل هذا البطل الذى لن يجود الزمان بمثله لدرجة أنه عندما علم الناس بموته "عظم الضـجيج حتى أن العاقل يتخيل

أن الدنيا كلها تصيح صوتًا واحدًا ، وغشي الناس من البكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة " (كتاب النوادر السلطانية ، ص365)،ثم يأتي حاقد آخر ويزعم أنه بينما كان يعامل الصليبيين بالتقوى والحلم فإنه كان جبارا على المصريين ،هؤلاء هم الذين يمارسون الكهنوت العلمي والتاريخي ويزيفون الحقائق كيفما شاءوا ثم يتباكون بعد ذلك على الوطن والمواطنة !

وقد أثني عليه رحمه الله مؤرخي الغرب من المستشرقين أمثال توماس أرنولد فى كتابه الدعوة إلى الإسلام ، وقد ترجم كتابه إلى العربية عام 1957م ، ولعظم هذا القائد وتاريخه المشرق ألف حوله المستشرق الفرنسي ألبير شاندور كتاب بعنوان " صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام "، ترجمة من الفرنسية سعيد أبو الحسن عام 1993م

الأنقى وليس الأحقر كما يدعي هؤلاء الموتورون ،الذين لا أدري ما الذي ذكرهم الآن بصلاح الدين وفيلم الناصر صلاح الدين لينفثوا عداءهم وحقدهم على ابطال التاريخ الإسلامي

الفصل السادس

: حقوق الانسان بين الدين والعلمانية :

من يطلع على موقع التواصل الاجتماعي للدكتور خالد منتصر ، لابد ان يسترعي اهتمامه هذه الفكرة التي لا يكف عن ترسيخها بإيراد نماذج لأحداث واشخاص تصور تصرفات غاية في السذاجة او القبح ، او التعصب يقوم بها بعض المنتمين الى الاسلام ،ومن خلال كثرة العرض هذه يحاول ان يرسخ لفكرة ان هذه السلوكيات لابد ان تكون مقترنة بالدين نفسه هذا على الرغم من زعمه انه يفهم انها ليست بسبب الدين او هي على خلاف مع الدين ، والذي يجعل الانسان لا يصدقه ويدرك ان هدفه الحقيقي من كثرة ما يعرض ويروج هو الصاق هذه الصورة بالإسلام نفسه هو عمده الى افتراء احداث وتصرفات كاذبة ،عارية عن الحقيقة تماما ، وقلب الامور ،وهي اشياء يبرع فيها كثيرا ، هذا في الوقت الذي لم نره ابدا يعرض نموذجا للتطبيق الحقيقي للدين ،ويدعو الناس الى الاحتذاء به ، على الرغم من كثرة هذه النماذج ، ولكن على ما يبدو لم يسمع سوى عن داعش ! ، مما يؤكد حقيقة توجهاته وأهدافه .

عندما هاجم خالد منتصر فكرة ان للصوم منافع للجسم يقرها العلم ووصف هذا بالتسويق العلمي للعبادات ولم يكتف فقط الى الدعوة الى نبذ الفكرة ولكن كالعادة اخذ يروج للفكرة العكسية وهي ان

الصوم ضار بالكبد والكلى طبعا ادى هذا الى غضب العامة ومهاجمته ، سالته مذيعة هل انت ملحد ، وقطعا لم تكن تتساءل لتعرف ولكن كانت يبدو وكأنها لا ترى هذا الاتهام الظالم الموجه ضده وتريده ان يرد على هذا الهجوم ، اخذ يتصنع كيف يعاني فعلا من هذا الظلم الواقع عليه ، وكالعادة لم يقصر في استخدام موضوع داعش حيث لا يرى ان الله هو ما يراه اهل هذه الجماعة الارهابية ،ما علاقة داعش بموضوع الصوم ؟ لا يقصر في استخدام اي فرصة تلوح له للتحدث عن هذه الجماعات او الممارسات ، وكان الاسلام اصبح قصرا عليها ، وكان الارهاب لا بد ان يخرج من عباءة الاسلام ، ثم هو يتحدث عن ان علمانيته هي التي تضمن احترام الدستور بما يعني احترام حقوق الانسان ، وكان الدين او الاسلام بعيد عن هذه الحقوق واحب ان اعقد هنا مقارنة بين حقوق الانسان الي يدعي الحرص عليها في ظل نظرية دارون التي يقدسها ويؤمن بها ويروج لها وبين حقوق الانسان في ظل الدين الذي لا يقصر في تشويه صورته .

كمالا تكف عن ذكر داعش بمناسبة وبدون مناسبة سأتحدث انا عن دارون وما جلبته الدارونية على البشرية ، وعلاقة هذا بحقوق الانسان التي يتباكى هؤلاء عليها ويطالبون بتطبيق العلمانية بعيدا عن الدين ، حتى يضمنوا المحافظة عليها !

وقبل ان اتحدث عن مقارنة حقوق الانسان في ظل مبادئ الاسلام وفي ظل مبادئ الدارونية اريد ان اتوجه الى هؤلاء الذين يتناولون بعض آيات القرآن الكريم بالنقد بسبب ما يدعون انه يناقض حقوق الانسان ، ومع ذلك يزعمون انهم يحترمون القرآن ويؤمنون به ايمانا لا يمنعهم من قول كلمة حق بشأنه !

هناك خطة واحدة يتبعها هؤلاء العلمانيون بحذافيرها للوصول الى الهدف النهائي وهو تغييب الناس دينيا وخلط الامور عليهم ، وإفقادهم الثقة في القدوة سواء اكانت هذه القدوة شيوخا وعلماء دين ، او كانوا صحابة اجلاء ، او رواة لاحاديث النبي ،او حتى الانبياء انفسهم ، واخيرا لا يتورعون عن نقد القرآن نفسه ، وهم غالبا يبدئون بتنزيه القرآن والنبي عن هذا النقد ليلقوا في روع المستهدفين من كلامهم ، صدق ايمانهم واخلاصهم في رسالتهم التنويرية التي لا يقصدون بها سوى الانتصار للإسلام نفسه مما يلحق به من كل هؤلاء الذين يسيئون اليه ، نوع من الخداع عن طريق النفاق الرخيص الذي لا يلبث ان يتكشف عندما لا يستطيعون منع انفسهم من التعرض للقرآن نفسه والنبي عليه الصلاة والسلام ، ولا يسأل احدهم نفسه لماذا يفعل هذا ، اذا كانت الغاية التي يسعى اليها الانسان غاية محترمة ومشروعة ، فلماذا تكون الوسيلة بكل هذه الوضاعة ؟

التعرض للقرآن يأتي غالبا في صورة نقد ما يروجون له على انه اساءة الى حقوق الانسان الذي يرونه في مسائل القصاص والعقوبات ، وسأتخذ مما يروجه صحفي يدعى عادل نعمان نموذجا لهذا .

هذا الصحفي يؤكد دائما على ايمانه واحترامه الكامل لقدسية القرآن ومصدره السماوي ، وليس من حقي ولا حق احد ان يتدخل او يشـــق عن قلبه ولكني فقط ســـأتحدث عن التناقض الذي يعنيه هذا الايمان مع فكرة انتقاد ما يراه ويؤكد عليه من تعارض القرآن مع حقوق الانسان

اذا كان لدى الانســان هذا العقل المتحرر الذي يجعله يرى الامور على حقيقتها كما يزعم ولا يتأثر بكون هذه الامور منســـوبة الى كتابه المقدس الذي يؤمن به ، فيرى هذا التعارض بين القرآن وبين العدل واحترام حقوق الانسان ، فكيف يفوته فكرة ان كتاب مقدس منسوب الى الله الذي من اسمائه العدل والذي حرم الظلم على نفسه جعله محرما بين الناس ، يمكن ان يعاني من خلل بهذا الخصوص ، كيف يسمح له عقله المستنير المتحرر ان يتصـور انه اكثر عدلا ، وتعاطفا مع الانسـان من الله الذي خلقه ،وهو الذي زرع مفهوم العدل في قلوب الناس ، هذا تناقض صارخ .ولنبدأ المناقشة من العمق

إلى كل المدعين بأنه من حق كل إنســان أن ينتقد تشـريعات القرآن وأحكامه ،بدعوى التفتح والاسـتنارة ،مع الزعم بإيمانه بقدسية القرآن وانتسابه إلى الله كما نرى هنا في مقال السيد عادل نعمان أقول

نعم من حقك إذا وجدت نفســك تتســاءل ولماذا يجب أن يكون هذا الدين الذي وجدت آبائي عليه وبالتالي وجدت نفســي أدين به هو الدين الحق ، ولماذا وهناك العديد والعديد من المعتقدات الأخرى والتي تختلف عن بعضــها اختلافا في العمق ،في فكرة الإيمان وفكرة الإله نفســه وكل أصــحابها يرون فيها ما أراه في ديني فما الذي أدراني ان ما ادين به هو الحقيقة التي لا مراء فيها ،ما الذي يجعلني متيقنا من وجود الإله نفسه

الحقيقة أن هذا السـؤال من المنطقي ان يسـأله الإنسـان الذي يريد ان يكون على يقين مسـتبصـر من دينه والمفروض أيضــا أن خير من ينير له الطريق ويهديه هو كتابه المقدس المفروض أنه منسـوب إلى نفس هذا الإله الذي يعبده وفق دينه ،المفروض ألا تقتصـر مهمة الكتاب على تقديم المعلومة الدينية ،وتعليمات افعل ولا تفعل ،ولكن لكل متدبر حريص حرصا حقيقيا مخلصا للوصول الى الحقيقة التي لا يوجد ما هو أهم منها على الإطلاق ،أن يكون هذا على مسـتوى العقيدة نفســها ،جوهر الدين ،المدخل الى الدين الذي يفرق بين مفهوم المؤمن والكافر ،فإذا ما تيقن الإنسان من صحة وحقيقة دينه ورأى أن الإسلام هو الدين الحق وأن القرآن هو الكتاب المقدس الذي ينتمي الى الإله الذي يعبده ،وأن القرآن يخبره في آية واضـحة

كل الوضـــوح أن الهدف الوحيد من خلقه هو عبادة الله : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " وأن العبادة يؤديها الإنســان بجوارحه وبنية القلب الخالصــة في طاعة الله وابتغاء رضــوانه ،فلابد أن يعلم ان الله وحده هو الذي يحدد ما هي العبادة ،ما هو الذي يرضيه وما الذي يسخطه ، وليس من حق أي إنسان أن يناقش ،قد تكون هناك حكمة وراء بعض أوامر الله ونواهيه ،وقد لا تكون ولكن الحكمة الأكيدة هي أن هذه الأوامر والنواهي والتشــريعات هي اختبار التسـليم لله وطاعته ،سـواء كانت هناك حكمة أخرى وراء التشريع ،أو لم تكن ،سواء علمنا هذه الحكمة أو لم نعلم ،الله يأمرنا بالصلاة بهذه الكيفية ويحدد عدد ركعات كل فرض ،هل من حق اي انسان ان يتساءل لماذا الظهر أربع ركعات والمغرب ثلاثة ،أو يقول أنا أرى أن اصـليها خمسـة ،أو اختار شـهرا آخر للصـيام غير رمضـان ،وإذا كان على أن أعمل عقلي لأقتنع بالعقيدة التي أومن بها ،فلا مجال لإعمال العقل ،في تشـــريعات الله ،أو انتقادها بالطريقة التي يتعامل بها هؤلاء العلمانيين ويصفون بعضها بتجافي العدل لأنه اذا كنت تؤمن بقدسية هذا الكتاب حقيقة وبالله الذي انزله لابد ان تدرك انك لا يمكن ان تكون اكثر عدلا وانصـــافا من خالقك الذي تعبده ، هنا التفكير الطبيعي ولذلك عندما تواجه بأمر يبدو من ظاهره هذا التعارض فلابد أن تســـلم بأن هناك احتمالين :

الأول ، ان الامر التبس عليك وان هناك حكمة اعمق من ادراكك وتســـلم بان الله الذي خلقك هو الذي يقضـــي بالعدل وهو الذي يحدد وفق مقاييســـه هو وليس مقاييســك القاصـــرة ما هو العدل وما هي حقوق الانسان

والثاني هو ان ترى ان هذا الكتاب ليس مقدسا ،اما الاصرار على التمسك بكلتا الفكرتين المتناقضتين فلا يعني ســوى اما ان يكون ايمانك ايمانا اعمى ، او انك تكذب وتنافق وهذا هو الأكثر احتمالا هنا لان هناك غرض لا يتحقق الا من خلال هذا الادعاء ، تماما مثلما يفعل د. خالد منتصـــر ، نفس المنهج الذي يعتمد على وضع السم الزعاف في العسل وتوجيه الطعنة الى الدين من الداخل حتى تكون اشد فتكا .

الاســـتاذ عادل نعمان يوجه نقده الى الآية القرآنية التي تتحدث عن حد الحرابة ،" انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم " ويعلق عليها بقوله :" ***لماذا ابقى الاســـلام على الحدود المعمول بها قبل الاســـلام ، وتركت في القرآن تنزيلا يتلى ويتعبد به ، وهي منتج بشـــري في مجمله ، طبقي في حكمه وتنفيذه وشـرعته القوة الاقتصـادية الغالبة لمصـلحتها ، والعقوبة او الحد في حينه لم***

يكن متساويا مع الجرم ، بل ومضاعفا وهو مخالف لمبدأ العدل في القصاص والدليل هو الحرابة قبل الاسلام "قطع الايدي والارجل من خلاف وسمل العين " والصلب حتى الموت ، الم يكن كافيا قتله مرة واحدة فلا يسرف في القتل بل إن الصلب على هذا النحو كان قاسيا ليس على من مات ولكن من يراه مصلوبا مقطع الاطراف مفقوء العينين ، وكان العقوبة عقوبة جماعية ، وكذلك قطع يد السارق تجعله عالة على المجتمع ولا تفتح له باب التوبة ولا تستر اولاده في حياته او بعد مماته ، وتساءلت ماذا لو كان الوليد بن المغيرة قد اقترح عقوبة غير قطع يد السارق فماذا يا ترى كان نص العقوبة في القرآن "

اولا اسلوب الكلام واضح تماما انه يخلو من اي قدر من التقديس لآيات القرآن او الايمان انها اتت من مصدر اعلى من حضرته ، من الله الذي يشرع ويقدر العقوبة ، حتى انه يزعم ان الاحكام جاءت مجرد استمرار لما قدره او اقترحه بعض البشر بطريقة تخلو تماما من العدل بل وترسخ للطبقية وسيطرة طبقة على طبقة ،ولا ادري ما هذه الطبقة التي تسيطر على اخرى ، هل هذه الجرائم قصر على طبقة ، لماذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام عندما رفض تشفع اسامة ابن زيد في المرأة المخزومية ، انما اهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف فيهم تركوه واذا سرق الكريم اقاموا عليه الحد ، كان التمييز او الطبقية ليست في التشريع نفسه ولكن في تطبيقه والدليل ان المرأة المخزومية كانت من قوم شرفاء ولذلك حاولوا التشفع لها ، وان الرسول عليه الصلاة والسلام اعلنها واضحة لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، فاين هذه الطبقية ومن الذي يقدر الجرم والعقوبة ، كون الله ابقى علي هذه العقوبة في قرآنه ،وانها كان معمولا بها قبل الاسلام ولكن بطريقة تنافي العدل والمساواة للجميع أمام القانون كما يفهم من حديث النبي عليه الصلاة والسلام ،لا يعني ان القرآن يأخذ أحكامه من البشر و يقلد ما اقترحه احدهم ولكن يرى فيه ايها السطحي الضحل التفكير حكما مناسبا ربما له أصل ديني قبل المغيرة ،وليس معناه انه لو كان اقترح عقوبة اخرى لالتزم بها القرآن فهذه فكرة بالغة السوء والضحالة عن القرآن لا يمكن ان تستقيم وفكرة الايمان بسماوية وقدسية هذا الكتاب الحكيم ومفهوم الله ، ولكن هذا الكلام يفضح حقيقة ايمانك بالله !انا افهم منه انك تلمح الى ان الذي كتب هذا الكلام ونسبه الى الله هو بشر يقتبس مثل هذه الافكار من سابقيه

عندما يكرر هذا الصحفي عبارة العقوبة التي لا تتناسب مع الجرم ، اساله من الذي يحدد عمق ومقدار هذا الجرم ، ومن الذي يشرع العقوبة

ما لا تفهمه هو عمق هذه الجريمة حسب التناول الالهي وليس حسب ما تراه انت ، حسب مقاييس الله سبحانه وتعالى وليس مقاييسك السطحية

الله سبحانه يخبرنا ان المال هو ماله سبحانه وتعالى ونحن مستخلفون فيه ، وانه لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ماله من اين اتي به وفيم انفقه والله حدد بكل دقة كيفية انتقال المال من يد الى يد بطريقة حلال ترضي الله ، وتوعد كل من يخالف بالويل والثبور

الله في القرآن وفي الاحاديث النبوية الشريفة يقرر عقوبات بالغة الصرامة لمن يتعدى على مال غيره باي طريقة لا يؤثر في ذلك ان كان المبلغ كبيرا او صغيرا ولكنه اعتداء على حق الغير

الله توعد آكل مال اليتيم بانه يأكل نارا وسيصلى سعيرا ، توعد آكل الربا ، توعد المطففين بالويل والثبور ، من يمد يده على مال ليس ماله تقطع هذه اليد ، حتى النبي في حديث له يتوعد كل من يأخذ مال غيره بغير رضى نفس الا يشم رائحة الجنة ،حيث ضمن الاسلام ان يكون الانسان آمنا على ماله ، والله وحده هو الذي يقدر الجرم والعقوبة وهو الذي يشرع وهو الذي يعبد حيث لم يخلقنا كما يقول القرآن الا لنعبده والعبادة تعني الالتزام بأوامره سبحانه وتعالى التي يشرعها ، لا ان ينصب انسانا أيا كان نفسه قاضيا على احكام الله ليحدد ما يجوز وما لا يجوز ، وما هو العدل وما هو الظلم ، والحقيقة انا اتساءل هل حقا ما يراه هذا الصحفي او من هم مثله هو ظلم او نقص في الحكمة في حق الله ام ان الاقرب ان يقال عدم ايمان بنسبة هذه التشريعات في القرآن الى اله حقيقي ولكن بشر انتحل صفة الله فجاءت هذه التشريعات دليلا على هذا الانتحال ، وخصوصا انه صرح في كلامه بأصل هذه التشريعات البشري كما يقول ويستعمل تعبير منتج بشري وطبقيتها وبعدها عن العدل انا لا اريد ان اشق عن القلوب او اتهم احدا بالكفر بالقرآن طالما هو نفسه يعلن غير هذا على الرغم مما في قوله من تناقض كما اوضحت ، ولكن اعلق عما يراه حضرته في قطع يد السارق ، او قطع الارجل والايدي من خلاف في حد الحرابة ، كما ان السيد عادل نعمان ينتقد الشروط التي من خلالها يطبق حكم قطع يد السارق وهو ان يكون المال في حرز ، والا يكون مال عام او مكان يدخل فيه الناس ويخرجون ...الخ ، والحقيقة ان هذا يعني انه لا يفهم معنى التشريع ، هو لا يفهم توصيف الجريمة التي بموجبها قضى هذه العقوبة

واذكره ان يد السارق ورجله كذلك ليست صنعتك ولا صنعته ، ولكن ابداع وفضل ونعمة اعظم ما يكون من الله العظيم الكريم ، والله لم يخلقها لنا ويجعلها تحت تحكمنا وسيطرتنا الكاملة لنفعل بها ما كل يعن لنا ولكنها مسئولية سنحاسب عليها ، و الله يخبرنا انه كون هذه اليد او هذه الرجل تعمل تحت

امرة وسيطرة صاحبها انما هو شان هذه الحياة فقط ، وان هذه اليد او الرجل او اللسان ستتحرر من هذه السيطرة يوم القيامة وستشهد على صاحبها ، فاذا كانت شريعة الله تقضي انه لا يجوز مد هذه اليد على مال استخلف الله فيه عبدا واحترم ملكيته الخاصة لهذا المال ،وان عقوبة التعدي على هذا الحق وسرقته من داخل حرزه الذي حرزه فيه صاحبه بهذه اليد التي لم يخلقها الله ليعصيه صاحبها بها هو قطعها ، فما شانك انت لتنصب نفسك قاضيا على احكام الله وفق معاييرك ، من الذي عينك الها تحدد مقاييس العدل ، او تحدد من هذا الانسان الاولى ان يكون له حقوق ينتصر لها ، صاحب المال ، ام اللص الذي امتدت يده على مال غيره وهو في حرزه

وهذه هي المشكلة ، هي النظرة الضحلة الاحادية للأمور ، هذا الصحفي وامثاله الذين يظهرون غيرة شديدة على حقوق الانسان التي انتهكها القرآن لا يعتبرون هذا الانسان الجدير بحماية حقوقه الا هذا المجرم المعتدي على غيره سواء ماله او روحه او امنه ، او حقه ان يعيش مطمئنا على كل هذا

وكأن من حق هذا المجرم ان يمارس اجرامه واعتدائه في ظل حماية من الدين والمجتمع له وتعاطف معه ، لكي نتحدث عن حقوق الانسان لابد ان يكون السلوك انساني ، اما ان يعتدي انسان على خصوصيات غيره وكأننا في غابة ويسلك سلوكا بعيدا عن الانسانية ثم يكون التعاطف معه وليس مع الضحية الانسانية فهذا هو ما لا يمكن فهمه ، ويظهر هذا بصورة اكبر عندما يعترض على تطبيق حد الحرابة

اولا هو يغالط مغالطة كبرى عندما يزعم او يتجاهل كلمة او التي كررتها الآية والتي تعني بكل وضوح لمن يتكلم العربية التخيير اي اختيار العقوبة المناسبة للجرم وليس تطبيق كل العقوبات على نفس الشخص ! قطع اطرافه من خلاف وصلبه ويقول وكأنها عقوبة جماعية

ثانيا الله وصف الجريمة بانها محاربة الله ورسوله وسعي في الأرض فسادا ، جريمة لا تتعلق بضحية واحدة ولكن ضحايا يعني الجريمة مرتكبة في حق مجموعة من البشر ولكنه مع ذلك يلحق صفة الجماعية من خلال فهمه الخاطئ بالعقوبة وليس الجريمة ! صورة ايضا من انعدام البصيرة عندما يكون كل التعاطف مع المجرم ، اما كل هؤلاء الضحايا ، اما فقد اهم نعمة انعمها الاسلام على اهله وجعلها حقا مشروعا لهم وهي الامان فلا نظرة والا اعتبار ، محاربة الله ورسوله بالاعتداء على حرمة اموال واعراض وارواح البشر وافساد في الارض ، كل هذا وسيادته يساوم في العقوبة !ويراها تتنافى مع حقوق الانسان ! اي انسان ؟ الضحية البريئة؟ لا هذا الشقي الذي وضع نفسه في مواجهة مع المجتمع ،

حرام قتله ، حرام صلبه ، او تقطيع اطرافه من خلاف ليكون عبرة لغيره ، أليست قوة الدولة وسطوتها مطلوبة هنا في مواجهة هؤلاء الذين يهددون امن اهلها ،وحقوقهم ، أليست العقوبة الرادعة الغليظة هي الحل هنا ، ام التعاطف والحديث عن حقوق الانسانية التي لا يوجد شيء منها في سلوك هؤلاء بما يغري امثالهم بالمزيد من الاعتداء على امن المواطنين ،أليست مصلحة المجتمع هي الغاية الكبرى ؟ولكنها الضحالة الفكرية والجهل مع التعالم الذين ابتلينا بها من مثل هذه الاقلام

وأسأله ماذا يرى في موضوع مثل خطف الأطفال الذي انتشر بصورة مفزعة ،طفل صغير جزء من قلب أبوين يخافان عليه من النسيم كان أبواه يحلمان بتربيته وتعليمه ليكون قرة عين لهما ،تخطفه امرأة لا قلب لها وتداوم على تخديره لتتسول به في مدينة أخرى ،ليضيع مستقبله ،ويظل فقده للأبد هما لا يفارق اجفان أهله وحسرة لا تهدأ ،وحياة انتهي الأمل فيها حتى يلقيا ربهما ،وضع أسوأ كثيرا من موت قرة اعينهما ،فهم لا يدريان كيف يعيش ولا كيف يواجه أهوال الحياة ،أليست هذه حربا على الله ورسوله ،أليس هذا قتلا ليس لنفس واحدة ولكن لنفوس ،وقلق وخوف وذعر لدى الآخرين على أطفالهم ،نعمة الأمان ضاعت ،ما هو الحكم الذي يراه هؤلاء عادلا مع امثال هؤلاء ،فليتخيل أحدهم انه مكان والد هذا الطفل فماذا هو صانع إذا وجد نفسه أمام خاطف طفله ، هل سيجد القتل او تقطيع الايدي والارجل من خلاف أو الصلب هو مخالفة لحقوق الانسان الذي فقد كل ما يمت له بالإنسانية ،أليست هناك مناداة بتطبيق قانون الإعدام لخاطفي الأطفال ،أليست القوة والقسوة هي عين ما يطلب هنا ،هل سيجد هذا المجرم من يتعاطف معه بسبب العقوبة ؟أليس التهاون مع هؤلاء المجرمين هو السبب وراء كل هذه المأسي

ثم اذا كانت العقوبة معلنة وواضحة ولنفترض انها قاسية ومضاعفة ، لماذا لا يرتدع هؤلاء ، ويمتنعون ، لماذا يتحدون القانون والشرع ، هم يظنون انهم سيفلتون من قبضة العدالة بالطبع هذا ما يظنه ويأمله كل مجرم ، وكأن المطلوب منا ان نراعي حقهم في هذا الامل وتصرفهم على اساسه !

المجرم يقوم بالسرقة او الحرابة بكامل ارادته ويختار هذا الطريق عن عمد ، وعليه ان يتحمل تبعات فعله ، وليس له حق التعاطف مع ما يقرره من ايذاء الناس والاعتداء على حرياتهم وحقوقهم

نحن حتى في حياتنا العادية عندما تكثر مثل هذه الجرائم يتم المطالبة بتشديد العقوبة ، الاتجار في المخدرات أليست تصل عقوبتها الى الاعدام ، من الذي قرر ولماذا ، الاغتصاب ، أليست هذه انواع من الحرابة والافساد في الارض ، مع من يتعاطف الجميع في هذه الاحوال ، مع الضحايا ام المجرمين ،

هل سمعنا صيحة تطالب بتخفيف العقوبة عن هؤلاء بدعوى حقوق الانسان لا بالقطع ولكنه القرآن الذي يجب ان يكون موضـــع انتقادنا وتحليلنا وتعالمنا وادعائنا ان نكون اكثر عدلا من منزله ســبحانه وتعالى هذا على فرض اننا نرى انه كتاب منزل .

ثم لماذا قصـــرت بصـــيرتهم عن بقية الحكم القرآني الالهي لمن قرر التوبة قبل ان يقع في يد العدالة ، أليســت العفو ، والمغفرة ، لماذا لان هذا يتعلق مرة اخرى بصــالح المجتمع ، حقن دمائه وتجنيب المزيد من الأذى للأبرياء ،وتشــجيع هؤلاء الاشــقياء على التوبة والرجوع الى الله ، المســالة اذا ليســت دموية ورغبة في القتل والصــلب ، ولكن متطلبات المحافظة على حياة الناس آمنين مطمئنين ، ونظرة شــاملة عميقة للأمور من قبل اله عليم حكيم خبير بشـــئون العباد وما يصـــلحهم وليســـت هذه النظرة الاحادية القاصرة من المتعالمين واصحاب الميول المشبوهة !

والآن لنقارن حقوق الانسان في الاسلام وفي القرآن مع ما تنادي به الدارونية

اساس الدارونية ان الانسـان هو مجرد حلقة او آخر مرحلة من مراحل تطور الكائنات ، الانسـان ليس له خصــوصــية في نشــأته ، ولكنه مثل باقي الكائنات لتي انحدر منها ، هو حيوان ســلفه كائن مشــترك مع القرود ، وعلى هذه النظرة بالطبع ستترتب طبيعة حقوقه .

لا ادري كيف يجتمع اهتمام عالمي غربي بحقوق الانســان والحديث عليها ، ودارونية ايضــا اصــبحت تسيطر على الغرب لا ترى اصلا ان هذا الكائن هو كائن مكرم في ذاته ، وان كونه انسان يعني شيئا

خاصا

البشــرية عانت من الدارونية ومبادئها وهذه النظرة لبعض افراد هذا الجنس المميز في كل شــيء ، فكرة البقاء للأصـــلح التي قامت عليها الدارونية تتعارض مع حقوق الانســـان ، هذه الحقوق المفروض انها مرتبطة بكونه انسانا مكرما ، حتى لو لم ينتمي الى توصيف الاصلح ، او الاقوى ،حتى لو كان معوقا ، او يعاني من مرض عقلي ، او ينتمي الى بلد او مجتمعات بدائية ، او كان زنجيا ، ولكن الدارونية وهذه الفكرة فيها كانت السبب وراء اضطهاد وتعذيب هؤلاء الضعفاء والمساكين من البشر ، كان كتاب اصل الانواع الذي يروج له د. خالد منتصـــر هو الكتاب الذي تأثر به وتســـلح به النازيون والفاشـــيون ، ومؤسسي الشيوعية ، هؤلاء الدمويون ، كانت هذه الدارونية وراء فكرة سيادة جنس ، وحروب خاضتها البشرية بسبب فكرة الطبيعة ذات الظفر والناب ادت الى قتل عشرات الملايين من افراد الجنس البشري

، كانت السبب وراء حدائق الحيوان البشرية ، التي كان يعرض فيه البشر من الزنوج كمراحل متوسطة بين القرود والانسان الابيض ، كانت السبب وراء هذه القصة الدامية لهذا الزنجي الكونغولي بيتا بينجا الذي قتل ولديه وزوجه امام عينيه بواسطة المستعمرين البلجيكيين ، ضمن سكان قرية أبيدو بأكملهم وكأنهم حشرات ثم تم القبض عليه ليضرب بالسياط ثم يرحل ليعرض في حديقة حيوان بأمريكا كمرحلة متوسطة بين القرود والانسان الذي هو الانسان الابيض وارغم على حمل غوريللا صغيرة وكان مدير الحديقة يتباهى بوجود هذا الدليل العلمي على نظرية دارون ضمن حيوانات حديقته

حرم 400000 الف مواطن من نعمة الانجاب لمعاناتهم من بعض الامراض بسبب فكرة تحسين الذسل في امريكا واوروبا ، هذا ما جلبته نظرية دارون على الانسان وحقوقه .

على هؤلاء الذين يزعمون ان الدين يدعو الى التمييز بين الناس على اساس دينهم ، وانه هكذا يتعارض مع العدل والمساواة والمواطنة وتكافؤ الفرص ، ان يشاهدوا الفيلم الوثائقي المطرودون ، غير مسموح بالذكاء ليقفوا على حقيقة ان التعصب الداروييني يفوق بمراحل تعصب اهل الاديان لأديانهم وكيف يضطهد كل من يعارض الدارونية او يشير الى التصميم الذكي ، ويحرم من فرصته في العمل الذي هو كفء له بل ويطرد من هذا العمل ،

واريد ان اقارن حقوق الانسان طبقا لما تراه الدارونية بحقوق الانسان حسب ما يقول الاسلام والقرآن

اولا بالنسبة للإسلام وعلى عكس ما قرره دارون وانصاره الانسان كائن مكرم ووصفه الله في القرآن قبل ان يخلقه بوصف لا يشاركه فيه مخلوق آخر وهو وصف خليفة ، هو ممثل لله على الارض يتعامل مع هذا الكون الذي خلقه الله بطريقة غاية في التميز عن باقي كائنات الارض ، هو الوحيد الذي امده بالقدرة الفريدة على سبر غور الكون واكتشاف دقائقه وتفاصيله وعلومه ، هو الوحيد الذي تجاوز بمراحل قدرات الحواس التي خلقها الله ،واضاف اليها اعماقا وامتدادات ، في بصره وسمعه وعلمه لخصوصية له في التعامل مع قوانين هذا الكون فاصبح يدرك ما هو مفرط في الصغر او مفرط في البعد او محجوز بمواد لا تستطيع قدرة العين اختراقها ، او يرى في الظلام ، او تتابعات الصور التي لا تستطيع العين المجردة ملاحقتها ، او الموجات الصوتية التي لا تلتقط الاذن ترددتها ، هو الخليفة الذي من خلاله فقط تجري ارادة الله في العبور بهذا الكوكب من عصر البخار الى عصر الكهرباء ، الى عصر الذرة والليزر والاستنساخ ، هو الخليفة الذي خلق لهدف واحد محدد وليس شأنه كشأن باقي الكائنات ، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى ، حيث العبادة هي علاقة مميزة مع هذا الاله الخالق العظيم ،

ولهذا سلحه بهذه الخصوصية في التعامل مع الكون هذه الخلافة التي هي الوسيلة للوصول الى الله وعبادته عن قناعة وبصيرة ويقين ، كائن كان كامل الاهلية منذ ظهر في الحياة ولم يأت تطورا عن كائن سبقه ، كائن كما يذكر القرآن اعطاه القدرة الفريدة على اعطاء الاسماء لمسمياتها وهو يسلمه مفاتيح الخلافة ، قدرة غاية في الضرورة ليمارس تعامله الفريد مع الكون فيكتشف ويخترع ، ويطلق على هذا سونار او سائل أمينوسي ، او ميكروسكوب ، ويعرف هذا المصطلح ، ويسمي هذا القانون ، كائن اختبر بالعبادة منذ نشأ وتم التعامل معه على انه شيء مختلف ، مسئول يتحمل نتيجة افعاله ، هذا هو الانسان حسب الدين والقرآن ، وليس هذا الكائن المتطور عن اصل مشترك مع القرود ، فكرة اعطت هؤلاء المتعالون الفرصة لكي ينظروا الى بعض من يشاركونهم هذا الانتماء الانساني بكل هذه الدونية ويصنفونهم كمراحل متوسطة بين القرود والانسان الابيض ويعرضوهم في حدائق الحيوانات التي يتباهي مديروها بوجود هذه الدلائل العلمية على نظرية دارون ضمن مقتنيات حديقتهم

قارنوا هذا بقول الله تعالى : "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " بني آدم كلهم مكرمون كبشر ، هنا فقط نجد النظرة الانسانية العالية لكل من ينتمي لذا الجنس بدون تفرقة ، أليست هذه حقوق الانسان التي يتباكون عليها .

هل يعرفون كيف ينظر الدين الاسلامي الى واقعة قتل انسان لمجرد انه معوق ، او مريض بمرض وراثي ، او يمنع او يضطهد من ممارسة حقوقه ، لهذا السبب الذي لا يد له فيه وليس لاحد فضل انه ليس مبتلى به ؟، الله يقول في القرآن : انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا

هذه النفس البائسة المبتلاة هناك حكمة عميقة من ابتلائها هي الحكمة من وجودنا وتميزنا ، حيث هذه الدنيا ليست الغاية النهائية والهدف الاخير ولكنها مجرد وسيلة ومعبر ، ليس مقصودا ان نفرغ فيها عقدنا وساديتنا ، ولكن ان نستدعي كل خصائصنا الانسانية التي اودعها الله فينا لنتعامل معها بما يحييها ، والا فنحن جناة ، راسبون في امتحان العبادة ، لو كان هناك انسان بائس في مجتمعى، معوق ، مريض ، فاقد البصر ، فإحياؤه هو مسئولية كل افراد المجتمع يأثمون ويعاقبون جميعا ، ولا تسقط عنهم المسئولية الا اذا تطوع بعضهم بحملها ليثاب عليها ويعفي الباقين من العقوبة ، هذه هي الفكرة العميقة ، ليس من دلائل اكرام الله لإنسان ان ينشأ سليما معافى ، غنيا ، سعيدا ، ولا من دلائل سخطه او عدائه ان يكون عكس ذلك معوقا ، مريضا ، فقيرا ، رضا الله وسخطه مرتبط بحمل اماناتنا في هذه ا لدنيا ، في الاسلام

امرأة دخلت النار بسـبب هرة حبسـتها فلا هي اطعمتها ولا تركتها تأكل من حشـاش الارض ، ورجل غفر له لأنه سقى كلبا كان يلهث من الظمأ .

في الاسـلام يحرم على الام ان تجهض جنينها اذا علمت انه مصـاب بمرض وراثي ، والحمل لن يؤثر على حياتها او اكمال حياته ، لأنه روح ، وحملها له امانة في عنقها يجب الا تفرط فيها ، وان كانت سـتبتلى به في حياتها بعد ولادته ، لان الله سـبحانه وتعالى له حكمه ، في وجوده ، حكمه له ولها وهو ارحم عليهما من نفسيهما ، هكذا نفهم الامور ، الدنيا ليست هدفا لذاتها حتى نتصرف وفق ما نرى ووفق مقاييسنا للأمور ، وعلى كل من له بصيرة ان يقارن ما تراه الدارونية وما يراه الاسلام لحقوق الانسان .

الفصل السابع

فصل الدين ام الغاء الدين

بعدما فندت كل هذه الحجج التي ما فتئ دعاة العلمانية يتعللون بها في الدعوة الى ارسـاء قواعد الدولة العلمانية التي تحكمها الغاية الدنيوية ،من خلال وسـائل ايضـا ومعايير تنتمي الى هذا العالم وتحجيم دور الدين في حياتنا وبينت أن السبب الحقيقي وراء هذه الدعوة هي حرب مسعورة على الدين نفسـه ،حرب بالاظافر والانياب وان حتى هذه الغاية الدنيوية التي يتمسـحون بها لا تهمهم في قليل أو كثير ،سـآتى هنا لأقدم هذه الأدلة الدامغة على ان الهدف هو القضـاء على الدين نفسـه عقيدة ما يخص الله ،والقرآن والنبي ، وشـريعة ،وأنها دعوة عميقة للإلحاد ، هنا لا يسـتطيع ان يتعلل بالمصـلحة الدنيوية والعدل والمسـاواة وتكافؤ الفرص ،والمواطنة وحقوق الإنسـان ولكنه طبعا لن

يعدم وسيلة ،أما الوسيلة هنا فهي إما موضوع فصل الدين عن العلم ،او الابتعاد عما يسميه د. خالد منتصر بتسويق العبادات ،، سنرى إذا كان الموضوع هو فصل الدين عن العلم أم إلغاء الدين بالكلية :

بعدما اوضحت في الفصل السابق وبالدليل حقيقة نظرة د. خالد منتصر للدين نفسه اظن اصبح من السهل تبين زيف الفكرة التي يحاول ان يلقي في روعنا انه ينظر الى الدين من خلالها ، وكيف يتمسح بالدين بينما هو يدعو الى الالحاد ولاعتبارات لا شأن لها بالدولة الدينية او العلمانية التي ابتدعها ، او التقدم او التخلف .

ما أكثر ما أكد د. خالد منتصر على ان القضية التي يدافع عنها باستماته هي فصل الدين عن العلم ، لأن لكل منهما طبيعة ووظيفة مختلفة عن الآخر ، يقول إن هذا هو هدفه من تأليف كتاب وهم الاعجاز حيث يدعي البعض ان القرآن أشار إلى بعض الحقائق العلمية قبل اكتشافها بقرون ، وهو يري ان القرآن كتاب دين وهداية والمفروض لا علاقة له بالعلم ، ويكرر نفس هذه الفكرة ردا على من يرون ان هناك فائدة علمية او حكمة تتفق مع العلم الحديث تتعلق ببعض العبادات ، فيصف هذا بانه تسويق للعبادات عن طريق العلم ، وانه ينبغي ان نتناولها على انها اوامر من الله واجبة التنفيذ وكفى ، وعلى هذا فهو يعترض بشدة على ما اسماه الارابيسك العلم ديني ويقول ان سبب اعتراضه ليس لان النقص كامن في احدهما العلم او الدين ولكن لاختلاف هذه الطبيعة ، رأي يمكن قبوله او الاختلاف معه بحجج ومبررات لو كان الامر فعلا كذلك ، ولكن المشكلة اني ارى ان موضوع الفصل هذا ليس الا ستارا يخفي وراءه هدفا اعمق بكثير ، وحتى لا يكون الموضوع كلاما مرسلا او دخولا في النوايا دعونا نناقش و نحلل ما يقوله د. خالد تحديدا ، في كتابه وهم الاعجاز العلمي و في مقالاته العديدة المنتشرة في الصحف والانترنت ،واحاديثه التليفزيونية

!

اولا بالنسبة الى القرآن : تعرض د. خالد منتصر في عدة مواضع من كتابه وهم الاعجاز العلمي لآيات قرآنية بطريقة تثبت ليس ان العلم لا صـــلة له بهذه الآية ولكن على عكس ذلك العلم يدحض هذه الآية ولنتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل .

1 - آية مثل ويعلم ما في الارحام ، ما هو اعتراض طبيبنا العلماني فيما يخص هذه الآية ، هل يعترض على التفاسير التي تقحم العلم في الدين ، فلنتأمل :

لو نظرنا لوجدنا أن هذه آية قرآنية تعطي معلومة دينية بحتة ، الآية تتحدث عن الله سبحانه وتعالى وعلمه ،بصـفتي مسـلمة كتابي المقدس هو القرآن الذي أومن بقدسـيته تماما وأنه كما يقول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ،ويقول كذلك :قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضـــهم لبعض ظهيرا ، عندما اومن بهذه الآية كما هي, واتعبد بها فانا لم اقحم العلم في الدين بأي طريقة ، ولكن الذي اقحم العلم في هذه الآية القرآنية ذات الطابع الديني البحت هو الدكتور خالد منتصر ، هو الذي اقحم السونار والسائل الامينوسي في تناوله لهذه الآية ، هو الذي جلس ليعطي محاضرة عما اصبح متاحا الآن من علم ما في الارحام من خلال استخدام السونار ، اليس هذا هو الاقحام الذي يدعي اننا نفعله ويريدنا الكف عنه ؟، ومن خلال هذا الاقحام ماذا يريد ان يثبت ، يريد اثبات خطأ المعلومة القرآنية كما فهمها ، الله حسب فهمه يقول انه خص نفسه بعلم ما في الارحام بينما الواقع الآن ينافي هذه المعلومة الدينية الواردة في القرآن ،وهذا تكرار لما سبق ان اعلنه في تعليق له على تفسير للشيخ الشعراوي للآية بأنه محاولة للخروج من الفخ بتعسف واضح ، من الذي وقع في هذا الفخ كما يقول ، الآية القرآنية نفسـها التي تتحدث عن اختصـاص الله سـبحانه وتعالى بعلم ما في الأرحام ، بينما العلم الحديث يثبت غير ذلك هذا كما يفهم دكتور خالد منتصـــر ،فماذا يريدنا ان نفعل عندما انارنا وازال عنا الغشاوة ؟ ان نظل نعتقد بصحة المعلومة الدينية القرآنية وبذلك نلغي عقولنا ، ام نكفر بالآية القرآنية نفسها ؟، عندما يستخدم د. خالد العلم ويقحمه في الدين هكذا فهو ليس فقط يعمل على مجرد تشكيك المسـلمين في قرآنهم بل اكثر من ذلك على تأكدهم من عدم قدسـيته وانتمائه الى اله عليم ، فمن ذا الذي يستطيع ان يجادل فيما قدمه السونار لنا الآن من علم ما في الارحام ؟

2- لا تتوقف جرأة خالد منتصـــر عند حد فها هو هنا يتعرض لآية ســـورة المؤمنين : " ولقد خلقنا الانســـان من ســـلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة..... وآية سورة الحج :" يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضـــغة مخلقة وغير مخلقة ...." وآيات قرآنية أخرى يتحدث فيها القرآن عن مراحل خلق الاجنة في الرحم ، وعلى الرغم من ان الله ســبحانه وتعالى ينســب افعال الخلق الى نفسه ، الا ان طبيبنا لم يتحرج ان يزعم بصفته الممثل الرسمي للعلم والمتحدث باسمه انه لا يوجد شيء اسمه النطفة والعلقة ، اي انه يكذب الآية التي اتت بكل هذه القوة ,،تكذيبا صريحا ويزيد ان هذه المعلومات الخاطئة اصلها هو ما تقوله القابلات هكذا المعلومة القرآنية التي ينسبها الله الى ذاته العلية خاطئة ومصدرها القابلات !

3- الله سبحانه وتعالى ذكر في مواضع واكد على خلق الانسان من طين وهو يعني خلق آدم عليه الســلام اول البشــر ، وســرى مفهوم الخلق الطيني على باقي البشــر بعد ذلك ، طبعا هذه الفكرة تتعارض مع ما قاله دارون العبقري ولذلك فطبيبنا يجتهد في الاتيان بأصل هذه الفكرة التي لابد ان تكون خاطئة علميا ، ويرى ضـــالته كما ظن في كتاب دكتور فراس الســـواح مغامرة العقل الاولى وكيف ان كل من الحضارة السومرية والبابلية والفرعونية والاغريقية تنسب خلق الانسان من طين الى اله من الهتها ، وهكذا المعلومة القرآنية اقتبســـت من اســـاطير الاولين ، فماذا يريد ان يثبت د.خالد هنا . اليس هو المصادر الوثنية للمعلومة القرآنية

4-إصـرار د. خالد على أن العظام والعضـلات قد نشـأتا علميا متزامنتين ،وليس كما يقول القرآن خلقت العظام قبل اللحم ثم كسيت به بعد ذلك بفترة وجيزة جدا اسـتخدم لها القرآن حرف العطف ف ويزيد أن ما يقوله القرآن في هذا الشـــأن هو الفكرة التي كانت شـــائعة عند العرب وقت نزول القرآن

<u>ثانيا بالنسبة للايمان بالله</u>

- الموضـوع لا يقف عند معلومات دينية وردت في القرآن ولكنه يتعرض لاهم فكرة تتعلق بالإيمان وهي فكرة الالـه الخـالق ، معروف ان النـاس ينتمون الى فريقين ، فريق يؤمن بفكرة الخلق اي انتماء هذا الكون بكل ما فيه الى اله ، وفريق ينكر ذلك ويدعي ان نشـــوء هذا الكون قد تم صـــدفة ووفق آليات عمياء ، وان هناك تفســيرات يزعمون انها علمية تتعلق بنشـــوء الاحياء وتطورهم ،

الدكتور خالد ينتمي الى الفريق الآخر حيث يضـــع ما جاء به دارون في مواجهة صـــريحة مع ما يســـميه المســـلمات الغيبية ، وهي ما اوردته الكتب الســـماوية من انتماء هذا الكون الى اله اي ان دارون قد جاء بالأدلة العلمية الدامغة ضـــد هذه المســـلمات ،التي لا يوجد عليها دليل ، وعلى ذلك فهو يطلق مصطلح الكهنوت على مجرد الايمان بوجود الله وكأنها فكرة ابتدعتها عقول رجال الدين ,عندما يقول

العلمانية محاولة في ســـبيل الاســـتقلال ببعض مجالات المعرفة عن عالم ما وراء الطبيعة وعن المسلمات الغيبية

هذا الكلام الغامض يعكس وراءه فكرة في غاية الخطورة ، ماذا يعني الاســـتقلال ببعض مجالات المعرفة عن عالم ما وراء الطبيعة وعن المسلمات الغيبية ، هل يعني بالمسلمات الغيبية هي الايمان بـان هذا الكون ينتمي الى خـالق ، أو أن الله هو الذي خلق العـالم ، انـا لا افتري هذا الفهم عليـه ، الدكتور خالد من اشـد المدافعين عن دارون ونظريته ، وهذا في حد ذاته لا يعتبر دليلا على رفضـــه فكرة الإله الخالق كيف ؟

بالنسبة لقبول الناس او العلماء على وجه الخصوص لنظرية دارون هناك فريقان

الفريق الاول يؤمن بصـحة هذه النظرية وقبولها علميا بصـورة او بأخرى ولا يجد في هذا تعارضـا مع فكرة نسبة الخلق إلى الله ، فالله سبحانه وتعالى يجري او خلق هذا الكون وفق سنن وقوانين وليس بالإرادة المباشـرة ، الاجسـام تطفو على الماء طبقا لقانون الطفو ، الاجرام تسـبح في الفضـاء متبعة قوانين الفيزياء ، الكون كله محكوم بالقوانين ، يســـير بنظام ، هذه القوانين هي صـــنع الله ، هي الطريقة او الاسباب التي من خلالها تحققت إرادته في أن يصبح هذا الكون كما نراه .

لماذا لا يسير الله الكون بالامر الالهي المباشر ، تطفو السفن على صفحة الماء اويجذب المغناطيس برادة الحديد فقط لأن الله هكذا أراد ، بدون اسباب او مسببات ؟، لأن كون كهذا غير قابل إلا للتعامل معه كما هو ، لا اكتشافات لا اختراعات ، لا عبور من عصر البخار إلى عصر الكهرباء إلى عصر الذرة والليزر والاســـتنســـاخ ، لا طب ،لا هندســـة ....الخ ، وليس كما هو الحال من خلال قدرات وإمكانيات ميز الله بها الانســـان ولذا أطلق عليه قبل أن يخلقه لفظ خليفة ، كائن ســـتجري على يديه تطوير هذا الكوكب ، سبر أغواره ،تطبيق منهج الله ، الوصـول الى الله عن طريق هذا الكون ليحقق المهمة التي ما خلقه الله إلا لها وهي العبادة ، ومثل هذا كله وفي حالة صـــحة نظرية التطور علميا ، ليس هناك ما يمنع قبولها لأن شـأنها هنا سيكون شـأن كل علم آخر ، الله خلق الكائنات وأجرى عليها ســـنة التطور ، لا تعارض بين هذه النظرية والدين مثلما لا يتعارض قانون الطفو او قوانين الجاذبية مع فكرة الإله الخالق ، هذه الفكرة يؤمن بها ويتبناها الكثيرون ، منهم د.فرنســـيس كولين مكتشـــف

خريطة الجينوم البشـري طبيب واحد العلماء المشـهورين ، هذا العالم لم يكن مؤمنا في البداية ولكنه آمن بوجود الله من خلال ممارســته مهنة الطب ومن خلال تعامله مع مرضــاه ، هو يؤمن بنظرية التطور ، ويؤمن أن هذا التطور هو الطريقة التي خلق الله الكائنات من خلالها ، ومثل د. موريس بوكاي الجراح الفرنسي المعروف ود. مصطفى محمود ، د.يحيى الرخاوي ، د، عمرو شريف

دارون نفسه عندما سئل عما إذا كانت نظريته تتعارض مع الإيمان بالله ، كان رده أنه يمكن أن يكون المرء شـديد الإيمان ويؤمن بنظريته ، ويمكن أن يكون ملحدا ويؤمن بها ، هو هنا يكرر نفس الفكرة ،، الطريقة التي ننظر بها الى او نتبنى من خلالها النظرية تعتمد على قناعتنا الدينية ولا تعارض معها ايما كانت ، أما دارون نفســه فعلى الرغم من أنه قد بدأ مؤمنا قبل اسـتغراقه في هذه النظرية ، وعندما وجهه البعض الى عدم فصـل النظرية عن موضـوع الخلق اي تبني فكرة التطوير من البداية ، كان يرفض ذلك ، لانه كان يريد تقديم التفســير العلمي المجرد لنشــوء الكائنات بعيدا عن اي بعد ديني ، وبعدها فليتقبلها كل إنســان من خلال قناعاته الدينية ، هو هنا يتعامل مع الموضــوع تعامل نيوتن أو ارشــميدس ،إلا أن الســؤال الذي أخذ يلح عليه بعد قناعته بما يقول هو انه إذا كان هناك تفسير ، لوجود كل هذه الكائنات الحية بعيدا عن اي تدخل ديني ، فما حاجة نشأة الحياة على الارض الى خالق ، اي إذا كانت فكرة الانتقاء الطبيعي وحدها تكفي لتفســير وجود هذه الكائنات فما الحاجة إلى افتراض وجود خالق ، من وجهة نظر دارون أن المبرر الوحيد المعقول لقبول فكرة الإله هو عجز العلم عن تقديم الاقتراح البديل ، اما وقد نجحت نظريته حسب ما اعتقد ان تتجاوز هذه العقبة ، فليس هناك ضرورة للإله .

من هنا ندرك ان الفريق الذي يؤمن بالله لا يجد تعارضا بين إيمانه ونظرية دارون ،أما الفريق الذي يضــع الدارونية في مقابلة مع الدين فهو الفريق الذي يتخذ من دارون ونظريته حجة على وجود الله هو الفريق الذي يبرهن على صــحة الحاده بنظرية دارون ، فإلى اي الفريقين ينتمي هذا الطبيب العلماني ؟

الحقيقة ان الانسـان لا يحتاج لا الى الكثير من الذكاء او التركيز ليلاحظ المقابلة التي لا يكف عنها د. خالد بين الدين وبين ما اتى به دارون ، مقابلة ينحاز فيها بقوة إلى الدارونية ضــد الدين ، حتى أنه يفهم من كلامه أن الإيمان بأن الله هو خالق الكون هو فكرة كهنوتية فرضــها رجال الدين على عقول العامة

هل يمكن ان يفهم غير هذا من هذا الكلام الذي قاله في معرض رده على شــيخ الازهر الذي انتقد النظرية الدارونية ، وكالعادة لم يرق هذا الدكتور خالد بل انبرى للدفاع المســتميت عن دارون ونظريته في عدد من المقالات قال فيها :

والأهم سلاح الفكر المتحرر من البديهيات المسبقة، الإبداع الذي لا يعترف بصدق الفكرة إلا من خلال عدد الأدلة العقلية التي تؤيدها وتثبتها وليس من خلال عدد البشر الذين يعتنقونها،"

1-" واضح من هذا الكلام أن البديهيات المسبقة التي تحرر منها فكر دارون العبقري هي ما تقوله الكتب المقدسة من انتماء هذا الكون وكل صور الحياة هذه إلى خالق قادر ، ولذا فالعبرة بعدد الأدلة المفحمة التي قدمها دارون العظيم ، وليس بعدد الناس حول العالم الذين يؤمنون بهذه الكتب المقدسة-
2

فهو لم يمارس الكهنوت ويقول انا متأكد من خلال النصوص المقدسة ولكنه مارس الاعتقاد الذي يحتمل الصح والخطأ وليس الحلال والحرام

ويقول: موجها كلامه الى شيخ الازهر "***وكان الاجدر بك ان تعارض التفاسير القرآنية التي اعتمدوا على التوراة في مسالة الخلق بالأساس " ****

كلام صاعق حقا وليس في حاجة الى ا لمزيد ، اليس هذا هو تصريح غاية في الوضوح انه يعارض مسالة الخلق بالأساس ، يعني الكون نشأ من تلقاء نفسه ، ويقول ان مسألة الخلق فكرة توراتية اخذها مفسرو القرآن منها واعتمدوها! وكان المفروض ان يرفضوها ، من الواضح هنا انه يحاول ان يفهمنا ان مسألة نسبة هذا الكون الى الله لا يقول بها القرآن نفسه ولكنها اخطاء المفسرين الذين اعتمدوا على التوراة ، !" هل يوجد مثل هذا الاستخفاف بعقول الناس؟ " . هل يوجد تعريف آخر للإلحاد غير انكار وجود الله ، هذا الإنكار الذي يتبلور أكثر ما يكون في إنكار عملية الخلق نفسها ؟

العجيب انه يريد ان يفهمنا انه يؤمن بالقرآن ولهذا فهو لا يري ان القرآن نفسه وقع في خطأ موضوع الخلق ، ولكن هذا هو فعل التفاسير المأخوذة عن التوراة !

فما هو القرآن ؟، اليس هو الكتاب المنسوب الى الله تعالى الذي ينكر وجوده من خلال انكار عملية الخلق بالأساس كما يقول

الحقيقة ان د. خالد بالتأكيد قد حقق رقما قياســـيا في العبث بأهم ثوابت الدين و التجرؤ على القرآن ، الكتاب المقدس لدى المســـلمين عندما يجرده من اهم فكرة تؤكد وجوب وجود الله وهي الخلق ، بل وصل به الجرأة ان يطلب من فضيلة شيخ الازهر رئيس اكبر مؤسسة دينية على مستوى العالم ، بدلا من مهاجمة دارون العبقري ،ان يراجع التفســيرات المخطئة التي اخذت من التوراة فكرة الخلق بالأساس !

من حقك ان تؤمن بالله او لا تؤمن ان ترى ان هذا الكون هو صـــنع خالق او انه اتي عن طريق الصـــدفة والعشـــوائية والتطور الداروينى ، وان تتحمل تبعات هذا كله ، مثلك مثل الكثيرين ،اما ان تتلاعب بالكلام كل هذا التلاعب حتى تجرد القرآن نفســـه من محتواه الديني بل من أهم فكرة تقوم عليها الأديان كلها فهذا مما لا يمكن السماح به ، ثم ما هو موضوع الكهنوت الذي تستخدمه بمناسبة وبدون مناسبة ، عندما يقول القرآن والتوراة وكل الكتب السماوية المقدسة ان الله خلق الانسان وخلق الكون وخلق كل مظاهر الحياة فهذه ركيزة اساسية من ركائز الايمان التي يرسخها الكتاب المقدس نفســه ولا يمكن التعامل معه ككتاب مقدس يجب الايمان به الا اذا آمنا بما يقوله ، اما ان تصـف هذا بالكهنوت الذي هو عبارة عن اســـتئثار او فرض فهم معين او الزعم بامتلاك ســـلطة دينية على الآخرين فهذا موضـــوع آخر ، هذا الكلام يعكس مقدار الخلط والتشـــويش الذي يعاني منه د.خالد منتصـــر ،او على الاصـــح محاولاته المســـتميتة لتغييب الناس دينيا ، الســـبب وراء هذا التشـــويش بالاضـــافة الى الفقر الفكري ، هو ا ن د. خالد يحاول ان يبعد عنه شـبهة الالحاد ولا شـان لي بذلك ، ولكن المشـكلة ان هذا يضـطره ان يبدو مقتنعا و مؤمنا بما لا يؤمن به اطلاقا ، فيأتي الكلام وبه كل هذا التناقض بين ما يتبناه حقا وما يحاول ان يوهمنا انه يتبناه ، فمن يســـمع من يتحدث على الظلم الواقع على العلمانية وكيف يتعرض العلماني لمقصـــلة التكفير ،يظن حقا ان هناك ظلم وانه يعاني وطأته ، والحقيقة وبعيدا عن موضـوع التكفير من كل كلام د، خالد يتضـح ان دين وعلمانية لا يمكن ان يلتقيا ،

كل العلمانيين والملحدين يتعاملون مع هذه النظرية وينظرون إليها هذه النظرة التي سببت ان يتخلى دارون نفسـه عن ايمانه ، فبالمنطق اذا كان نشـوء الحياة في صـورة بالغة البسـاطة خلية واحدة مثلا من عناصـر غير حية وبآليات عمياء ، صـدفة ، ثم تطورها عبر ملايين السـنين لتصـل الى كل هذه الاشـــكال التي يعج بها هذا الكوكب يعطي التفســـير لوجودها هكذا ، فما الحاجة لوجود خالق ، هذه النظرية بهذه الصـــورة هي التي امدت الملحدين بالتفســـير او التبرير العلمي للإلحاد ، ولذلك فهم

يتعلقون بها بأنيابهم وأظافرهم ، هذه النظرية بهذه الصورة تقف في مواجهة صريحة ، مع ما تقرره الاديان ، والدفاع المستميت عنها والاستنصار لها في مقابل الدين لا يعني بكل وضوح سوى التخلي عن فكرة وجود الله ، لأن أهم ما يتعلق به المؤمنون بالله وتتبناه الكتب السماوية هو موضوع الخلق الذي يعتبر الدليل الاكيد على وجود الله ، وعلى ذلك ، عندما يلجأ إنسان ما الى انكار نسبة الكون الى خالق وعدم حاجته اليه فهذا بوضوح يغني انه ينكر اهم ما يبرهن على وجود الله ،مما يجعل انه من غير المفهوم بكاء د. خالد منتصر وشكواه من الظلم البين الذي يتعرض له هو والعلمانيون امثاله من الاتهام بالإلحاد انا هنا احلل ولا اكفر احد ولكني فقط ابين التناقض بين الادعاءين ، بين ادعاء الايمان بالله ، وادعاء ان الله لم يخلق هذا الكون ، فمن هو هذا الاله ، إله شرفي !وما هو الدليل على وجوده ولماذا نؤمن به

انا هنا امام بديلين ، فرضين لا ثالث لهما ، إما أن يكون هذا الكون هو صنع خالق عظيم مبدع ، وفي هذه الحالة ، الطريق إلى الايمان بهذا الخالق لن يكون سوى هذا الخلق ، وهذا الدليل سيقدمه لنا الكتاب المقدس او القرآن ، اما الاحتمال الثاني فهو ان هذا الكون وجد من تلقاء نفسه ، وفي هذه الحالة سيقدم لنا العلم المجرد الدليل على حدوث هذا وعندها لا يكون هناك تفكير منطقي وراء الايمان بالله ،

ثالثا : الفكرة عن النبى عليه الصــلاة والســلام ، وبالتالى جميع الانبياء الذين يعتبر الايمان بهم ضرورة للايمان :

_عندما يؤكد د. خالد في ثلاثة مواضع من كتابه ، كيف أن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قد حدد ميعاد قيام الساعة لأصحابه بمائة عام بعد الحديث ، وطبعا لم يحدث شيء رغم مرور كل هذه القرون ، دليل لا يدحض على كذب النبي وادعاؤه علم ما لا يعلم وبالتالي فلا يمكن ان يكون نبيا

عندما يأتي بالحديث في ثلاثة مواضـــع في كتابه يعني انه يريد ان يؤكد على الفكرة التي تدحض زعمه ان هدفه فصـــل العلم عن الدين ، لأن هذا الحديث لا علاقة له بالعلم الدنيوي من قريب او بعيد ، هو حديث يجيب عن سؤال للصحابة عن الساعة وجهوه الى النبي قبل موته بفترة وجيزة ، ومن المعروف ان علم الساعة هو موضوع غيبي تماما ، اي من اختصاص النبي ان يجيب عنه وليس من نوعية الاحاديث التي يتحدث فيها النبي عليه الصــلاة والســلام عن معلومة دنيوية حتى يكون رد د.خالد ان مثل هذه الاحاديث هي بنت زمانها ، وليس من المفروض ان تطبق في الوقت الحاضر حيث حلت المعلومات العلمية الحديثة محلها ، لا هنا الامر مختلف ، الحديث عن الساعة ولا ادري ما علاقة حديث مثل هذا بموضـــوع الاعجاز العلمي ، لماذا يذكره ؟، ليبين كيف ان ما قاله النبي عن موعد قيام الساعة حسب فهمه لم يتحقق منه شيء، وبالتالي فالنبي ببساطة يكذب ويدعي علم ما لا علم لديه فيه ، وهذا بالتالي يعني ان هذا لا يمكن ان يكون نبيا ، وثانيا ، اذا كانت هذه هي الفكرة التي يروجها ويبينها ، فلابد انها هي ما يدين بها هو نفســـه ، هذه هي فكرته عن النبي ،

رابعا : موضوع فكرة الدين نفسها :

في كتابه وهم الاعجاز العلمي ،كان د. خالد يؤكد على أن الدين ثابت ،بينما العلم متغير ،وما نقبله اليوم من معارف ،ربما نرفضه غدا لأنه قد ثبت خطؤه ،وأن العلم طبيعته الشك ،بينما الدين طبيعته الحسم ،وأن العلم طبيعته التساؤل ،بينما الدين هو الذي يملك مفاتيح الإجابة ، وأن إقحام الدين في العلم سيجعله عرضه للتغيير والشك أيضاوعلى الر غم من أن كل هذا الكلام مجرد عبث بالكلمات كما اوضـــحت في الكتاب الذي رددت فيه على كتابه ،إلا أنه لم يحجم عن الاتيان بما يتعارض مع هذا الذي يزعم انه رأيه في الدين والعلم

فمن يقرأ كلام د. خالد يشـــعر أنه يحترم الدين وطبيعته الثابتة الحاســـمة في مقابل طبيعة العلم المتغيرة التي هي ايضا تستدعي احترامه ،ولكن ماذا عندما نقرأ له نفسه مثل هذا الكلام :

العلمانية محاولة في سبيل الاستقلال ببعض مجالات المعرفة عن عالم ما وراء الطبيعة وعن المسلمات الغيبية

والأهم سلاح الفكر المتحرر من البديهيات المسبقة، الإبداع الذي لا يعترف بصدق الفكرة إلا من خلال عدد الأدلة العقلية التي تؤيدها وتثبتها وليس من خلال عدد البشر الذين يعتنقونها،"

فهو لم يمارس الكهنوت (يعني دارون) ويقول انا متأكد من خلال النصوص المقدسة ولكنه مارس الاعتقاد الذي يحتمل الصح والخطأ وليس الحلال والحرام

هكذا يتحدث عن المعتقدات الدينية على انها مجرد مسلمات غيبية ،وبديهيات مسبقة ،والنصوص المقدسة أصبحت كهنوت يعتمد أصحابه على فكرة الحرام والحلال وليس كما فعل دارون العظيم من خلال الابداع الذي يعتمد على الأدلة العقلية التي تؤيدها ،وإن كان البشر الذين يعتنقون فكرة الدين هم الأكثر عددا ،أي أنه عندما يصف الدين بأنه ثابت ،فهو يعني ثابت على افكار لا دليل عليها وجدنا عليها آباءنا ،ولذلك فهو متعارض مع العلم

والحقيقة أيضا على الرغم من انه يتحدث عن العلم على انه متغير وربطه بالدين يجعله عرضة للتغير أيضا ،فهو عندما يعرض الفكرة القرآنية على العلم الحديث ليبين خطأها ،فهو طبعا لا يستخدم سوى العلم الذي لا يدحض ،ولا يتغير ،هو يستخدم مثلا السونار وهو بالقطع علم ليبين خطأ او على حد تعبيره الفخ الذي وقعت فيه الآية القرآنية ،فهل السونار علم متغير ،ألسنا نرى ما يقدمه لنا بأم أعيننا ،هل يوجد ما هو أثبت من هذا ؟

وهكذا د. خالد منتصر في كل توجهاته يسعى الى هدف واحد تغييب الناس دينيا ، وتشكيكهم في الثوابت الدينية والعبادات ، ولذلك فهو يناصب العداء كل ما من شأنه بيان مصداقية الدين والقرآن ، يهاجم بشدة فكرة الاعجاز العلمي ، بل ويتخذ من هذا الهجوم كما اوضحت ستارا للطعن على

مصـــداقية القرآن نفســـه ، وقد رددت على كتابه وهم الاعجاز العلمي في كتاب بعنوان بل الاعجاز العلمي حقيقة وضرورة ،

خامسا حرب د. خالد على الشريعة :

بين الحين والآخر يخرج علينا د. خالد بفكرة بالغة الجرأة يهاجم فيها ما شـــرعه الله غير مبالي بغضـــب الجمهور وثورته فهو يعلم انها لابد ان تخمد بعد حين يكون خلالها نجما تليفزيونيا لبعض المناقشات الخاصة بتصريحاته ،مدافعا عن غرضه الشريف وراء كل هذا وكيف انه فقط يعلي قيمة العقل ،ويريد ان يضـــع الأمور في نصـــابها فيفصـــل الشـــريعة عن الاهداف الدنيوية ،التي تتطلبها موافقتها للعلم ، ويصـف هذا بأنه تسـويق للعبادات يرفضـه بشـدة عقله المتحرر ،ويؤكد على إدراكه ما يصفه بالطقوس وهو تعبير في حد ذاته يدل عل ى نظرة بالغة السطحية لفكرة الشريعة

فعندما يتحدث الناس عن فوائد الصيام نراه يسارع ليخبرنا بانه على عكس ذلك الصيام مضر بالكبد والكلى ، إذا الموضـــوع الذي يعترض عليه ليس إقحام العلم في الدين وانه علينا ان نؤمن بان الصـيام هو فرض ديني نؤديه طاعة لله ولا علاقة له بالعلم ، ولكن يؤكد على الفكرة العكسـية وهو انه له علاقة بالعلم وان هذا العلم يثبت ضـــرره ، ترويج للتعارض بين العلم والدين مع اعلاء كلمة العلم ، فإذا كانت فكرة ربط العلم بالدين التي يتبناها الناس تزيد من ثقتهم في دينهم ، يســـارع بزعزعة هذه الثقة من خلال ربط العلم بالدين ايضـــا ولكن بالطريقة العكســـية ، إذ ماذا ينتظر من دين تعاليمه تدمر كبود الناس وكلاهم اليس هذا حقيقة ما يفعله ، ظاهر الكلام هو احترام الدين بفصله عن العلم وحقيقته التشكيك في صحته أو على الأصح التأكيد على تداعي فكرة الدين نفسها عن طريق مقابلتها بنفس هذا العلم ، وهذا هو حاله دائما لم نره مرة واحدة يدافع عن فكرة دينية او عبادة ، بل على العكس يلقي بمسئولية كل ما نحن فيه من تخلف على الدين واهله ، وهكذا علينا ان نتخلص من انتمائنا اليه دنيويا وأخرويا

ثم يتعرض لفكرة تحريم لحم الخنزير ويقول انه دفاعا عن العقل لا عن الخنزير يرى بالاضافة الى ان هذا التحريم ليس اختراعا ،(هكذا يقول)اســـلاميا بل ســـبقت اليه التوراة فهو لا يرى اي حكمة علميـة وراء هـذا التحريم بـل إن الزعم بوجود مثـل هـذه الحكمـة هو فقط من قبيـل التعـالي على اصـــحاب الدين الآخر الذي لا يحرم على اتباعه تناول لحم الخنزير ،هنا فقط هو لا يناقض الشـريعة بالعلم الذي يرى انه الأدرى به ولكنه لا يقصـر في انتهاز الفرصـة كعادته لترسـيخ فكرة التعصب الديني ووقوفه مع الجانب الآخر

ثم يفاجئ الجميع مرة اخرى بأن ماء زمزم به عناصر سامة

والآن من أصدق ؟ اصدق د.خالد منتصر وهو يدافع عن ايمانه بالله شكواه من تهمة الإلحاد التي تلصق زورا بمن يتبنى العلمانية ، او اصدقه وهو يدحض اهم ادلة وجود الله سبحانه وتعالى عندما يدافع باستماتة عن فكرة النشوء والارتقاء مقابل فكرة الخلق ، هل اصدقه وهو يمدح في القرآن ويصفه بالسماوي المحكم ، ام اصدقه وهو يقدم البرهان تلو البرهان على كيف انه ابعد ما يكون عن السماوية والاحكام ،

اصدقه وهو يدعي بانه يطالبنا ان نعبد الله فقط كما امرنا دونما حاجة لتسويق العبادات بربطها بالعلم او اصدقه عندما يستخدم نفس هذا العلم ليبين ما تسببه العبادة من اضرار ؟

اصدقه وهو يتحدث عن النبي عليه الصلاة والسلام بكل الاحترام المبالغ فيه ام عندما يقدم لنا الدليل الاكيد على كذبه وادعائه علم ما لا يعلم في قضية المفروض انها من صميم اختصاصه وليست قضية ذات طابع علمي ؟

اصدقه وهو يزعم ان النقص لا يكمن لا في الدين ولا في العلم بما يعني اعترافه بان هناك نوع من المعرفة تتعلق بالغيبيات اسمها الدين ، ام عندما يطلق على هذا مسلمات غيبية واجهها علم دارون ودحضها مما يثبت عدم حقيقتها

ما سبب هذا التناقض ؟ السبب كما احلل هو ايمانه بإحدى الفكرتين المتعارضتين ايمانا حقيقيا ويدافع عنها بإخلاص ، بينما هو في واقع الامر لا يؤمن بحرف واحد من الفكرة الاخرى وهذا بالطبع شيء منطقي ،ولكن يستخدم هذا الادعاء في الترويج لما يعتقد حقيقة ، ولذلك فمهما حاول د. خالد ان يوهمنا فسياتي قطعا عند نقطة لا يمكنه ان يناقض فيها نفسه ، يمكن ان يقول نعم اومن بالله ولكنه ابدا لن يتنازل عن الدليل الذي يدحض ادلة وجود الله .هذه هي الطريقة اللولبية الزئبقية التي يجيد د. خالد التحدث بها

واخيرا لكي نضع الامور في نصابها بشان هذه العلمانية التي يدعو اليها ويبشر بها هذا العلماني ، اقول انها بكل وضوح تدعو الى الكفر بصحة ومصداقية القرآن وآياته التي نتعبد بها ، والى التأكيد على عدم حاجة الكون الى اله خالق حيث ان دارون العظيم قد توصل الى الفكرة العلمية البديلة ، والى النظر الى النبي على انه شخص يكذب ويدعي العلم اي انه يدعو الى الكفر بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، والكفر بالمسلمات الغيبية التي دحضها العلم ، (أليست هذه هي طريقة التفكير المادية البحتة التي يعتمد عليها الماديون والملحدون)كل عناصر الدين ضربت في مقتل

حسب ما يروج د.خالد منتصر ، اليس معنى هذا انه يدعو الى الالحاد ؟ وبصرف النظر عن انه طبعا من المنطقي انه يدعو ويروج لما يؤمن به ويتبناه حقيقة فإن مرة اخرى موضوع ما يدين به ويتبناه لا يهمني في كثير او قليل ولكنه ما يهمني هو هذه الرسالة التي يبعثها لي لإقناعي بان الدين مجرد ضلالات .

وعلى ذلك فعلى خلاف ما يدعي العلمانية التي يحاول ان يصورها انها فقط تخص البعد عن استخدام الدين في الامور الدنيوية لان لكل منهما طبيعته المختلفة لا ارى الدعوة الى العلمانية الا صورة مقنعة من الدعوة الى الالحاد يستتر فيها خلف فكرة فصل عن العلم بينما هو في واقع الامر يستخدم العلم الثابت كبرهان لا يدحض على بطلان الدين ككل .

هذه العلمانية في نظري اخطر على الدين من الالحاد ، الملحد عدو تعرفه ، ظاهر ، يقول ما يعتقد ، اما العلماني فهو منافق خطير يظهر احترام الدين ويدعي وهو يرد على البعض انه هو الذي يحافظ على قدسية الدين بفصله المزعوم عن العلم ، هذا السلاح اشد فتكا لأنه سلاح يضع السم في العسل ، سلاح يعمل من الداخل ، وليس من الخارج ، سلاح يجعله يتصرف بحرية وهو يتحدث عن القرآن وما يجب ان يفعله شيخ الازهر بالنسبة للتفاسير ، لان القرآن قرآنه وكذلك التفاسير ومن حقه ان ينتقد او يوجه شيخ الازهر في امر يهمه !وعلى هذا لا نتعجب عندما تخرج المواقع الالحادية واللادينية وغير الاسلامية بعبارات وشهد شاهد من اهلها وهم يقتبسون عبارات وفقرات من كتابه يبدو ظاهرها انه يدافع عن الدين بينما حقيقتها انه يصوب سهامه المسمومة اليه .ومن العجيب انه وهو يستخدم هو وغيره من العلمانيين هذه الطريقة اللاأخلاقية الخالية من الامانة ،ليطعن بها الدين لا يجد غير الدين نفسه ومبادئه السامية واخلاقياته الراقية ليحتمي بها ، الدين الذي يحرم على المؤمن ان يفتش في خبايا النفوس او يتهم الناس في ايمانهم ، ولذلك فمن اسهل الامور ان يوجه هؤلاء هذه الطعنات الى الدين بصفتهم احد اتباعه ويلعبون على وتر التكفير المرفوض دينيا ، ولا يفكر احدهم وهو يفعل ذلك ان يراجع نفسه ويقارن بين ما تسمح به علمانيته ، وبين مبادئ واخلاق هذا الدين الذي يطعنه ؟

هل نفهم الآن لماذا يرسخ د. خالد واتباعه فكرة الدولة الدينية التي يجب عدم السماح بقيامها بحجة انها تؤدي الى سيطرة رجال الدين وسيطرة المقاييس الدينية على كل شئون الحياة مما يؤدي الى تراجعنا حضاريا وتخلفنا علميا واقتصاديا وسياسيا ، وصحيا وفي كل مناحي الحياة ، الحقيقة كما سأوضح فيما بعد لا يوجد ما يسمى بالدولة الدينية ، وسأثبت لهؤلاء ان الدين براء من كل هذا التخلف الذي نعانيه ، بل على العكس المشكلة عندنا هو ان الدين منفصل اكثر من اللازم فعلا

عن شئون الحياة وانه في ظل مقاييس واعتبارات دينية صحيحة(وليست هذه التي يحاول د. خالد ان يرسخ انها هي الدين) يمكن فقط ان نكون في احسن حال .

الحقيقة ان هؤلاء العلمانيين وانا اتحدث خاصة عن العلمانيين وليس الملحدين الذين يعلنون الحادهم ، لان الملحد وان كان يدافع بشدة عن الحاده من خلال صورة بالغة السوء عن الاديان الا انه ليس لديه غالبا هذه الرسالة التي يستميت من يطلقون على انفسهم علمانيين في تحقيقها ولذلك فهم يتخفون وراء كلمة العلمانية التي ترسخ للإلحاد ولكن بطريقة ملتوية ظاهرها تحقيق مصلحة الوطن والمواطنة والعدل والمساواة والتقدم ،هؤلاء العلمانيون امثال خالد منتصر وهم يهاجمون ما يطلقون عليه مصطلح الدولة الدينية هم في حقيقة الامر يرسخون ما هو حقيقته دولة لا دينية لا يعبد فيه اله ، ولا يقدس فيها كتاب ولا يحترم فيها نبي ، ولا يوجد فيها شيء اسمه مسلمات غيبية .وعندما اقول لا يعبد فيه اله فهذا ما اراه ليس فقط من استخدامه نظرية دارون لدحض فكرة الخلق ولكن سلوكياته نفسها ، هو لا يطيق ان ينسب انجاز طيب الى الله سبحانه وتعالى ، وليس ادل على ذلك من مسارعته الى الرد في مقال على الصيحة التي اطلقها الثوار مسلموهم ومسيحيوهم ، الله اسقط النظام ، لم يطق ان ينسب اسقاط النظام الى الله وكانه هناك ارادة اخرى طبعا هي ارادة الناس هي التي تمضي ما تشاء ، وكان المنطق الذي يتحدث به هو ان الله لا يتحيز لجانب ضد الآخر أو أنه ليس في خصومة مع أحد ، أرأيتم هذه الفكرة عن الاله التي يقف فيها على الحياد بين الاطراف المتنازعة موقف المتفرج !، ثم يقول وماذا عن اليابانيين الذين لا يعبدون الله كيف تسير امورهم على ما يرام ، وكأن هؤلاء اليابانيين لكونهم لا يعبدون الله فإرادة الله لا شان لهم بها ، ارتأيتم ضحالة فكرية مثل هذه ؟ هذه هي فكرة د. خالد منتصر عن الله لا ادري مم استقاها وهو يعيش في دولة الغالبية الساحقة فيها اصحاب اديان تؤمن بالله ، وحتى الكتاب الذي الفه واطلق عليه وهم الاعجاز العلمي ، الحقيقة من يقرؤه يدرك ان المشكلة ليست ابدا في الاعجاز العلمي ،المشكلة في القرآن نفسه ، الاعجاز العلمي هو الستار الذي يستتر خلفه ليطعن على مصداقية القرآن ،واشعر انه اقتبس العنوان من هذا الكتاب المعروف لهذا الملحد الشهير او الاكثر شراسة في الحاده وهو ريتشارد دوكينز وكتابه وهم الاله ، والحقيقة اني ارى هدف كتاب خالد منتصر لم يخرج عن هدف كتاب دوكينز حيث ينطبق عنوان دوكينز على كليهما ولكن بينما يختار دوكينز العنوان معبرا عن المحتوى بطريقة مباشرة يلجأ د. خالد الى الاسلوب اللولبي الذي يبرع فيه حتى في اختيار العنوان .

الفصل الثامن

الرد على ضلالات خالد منتصر بخصوص تعارض الدين والعلم

أو دحض العلم للدين

خلاصة ما سبق أن هذه الرسالة التي يبعث بها د. خالد وحزبه ،هي الدعوة إلى الكفر بالله نفسه والكفر بالقرآن الكريم والكفر بنبوة النبي والكفر بفكرة الدين نفسها دعوة خالصة الى الإلحاد الخالص وأن التهمة التي يلقيها عن كل من يدافع عن فكرة الدين ويدعو إلى احترام احكامه بأنه تنظير للدولة الدينية هي في الحقيقة دعوة وتنظير للدولة التي يطلق عليها علمانية وهي الدولة اللادينية التي لا يعبد فيها إله ولا يقدس فيها كتاب منسوب الى الله ،ولا يحترم فيها نبي ،وتخلو من مفهوم الدين نفسه وعلى ذلك فأنا أرفض هذه الرسالة بكل ما لدي من قوة ،لماذا هل لأني مغيبة وسعيدة بهذا التغييب وبما وجدنا عليه آباءنا لا ولكن لأنه لا الإله الذي يتعرض له د. خالد هو إلهي ،ولا القرآن الذي ينتقده من خلال فهمه المشوش هو قرآني ولا النبي الذي يكذبه هو نبيي ،ولا الدين الذي يسخر من فكرته هو ديني ،ولا يقل أهمية عن ذلك أقول ولا هذا الكون الذي ينسبه حضرة الدكتور الى دارون هو الكون المعجز الذي أعيش فيه

في البداية ،سأوجه نداء الى الجميع وابدأ بالمؤمن الذي يوقن بالله ، والى الملحد الذي ينكر وجود الله تماما ، والى العلماني الذي لا أدري في هذه اللحظة فيم يختلف عن الملحد كما يزعم ،واقول علينا جميعا ان نستكشف حقيقة ما بداخلنا لنرى هل ما نتبناه من معتقد هو نتاج القناعة العقلية واحترام العقل وقدراته ، ام هو ميل الهوى من حيث ندري او لا ندري ، هل يؤمن المؤمن بالله لان لديه الدليل العقلي الاكيد على وجوب وجود الله ، ام لأنه يرى راحته النفسية في وجود قوة كبرى يلجأ اليها ويستعين بها ؟ واسأل نفس السؤال للملحد والعلماني واقول هل فعلا تحترم عقلك ام انك تريد ان تتحرر من كل القيود وتعيش حياتك كما تحب وتخلص نفسك من الخوف من المجهول

نحن جميعا في حاجة الى التوقف والقاء هذا السؤال على أنفسنا لأنه اهم سؤال على الاطلاق يجب ان نسعى لنحصل على اجابة حقيقية له .

حياتنا في هذه الدنيا على هذا الكوكب حياة محدودة ، ستنتهي حتما ، ماذا يعقبها ، غير معروف ، ولكن هناك اقاويل ومعتقدات وافكار ، مختلفة ، المؤمنون يعتقدون ان هناك حياة اخرة خالدة يتوقف

حال كل منا فيها ومصـــيره على ما فعله في هذه الدنيا ، والملحدون يســـخرون من هذه الافكار ، ويعتقدون انه بموت الانسـان ينتهي كل شـيء ، لا بعث لا نشور لا حياة اخرى ، ومن الواضـح ان الحقيقة هي موضـوع في غاية الخطورة وعلى ذلك يجب على كل انسـان ان يحاول الوصـول اليها خلال الفرصـة الوحيدة الممنوحة له في هذه الدنيا ، لان هذه الحقيقة أيا كانت ستفرض نفسـها علينا فرضـا ، هي حقيقة لن تتغير ، لن تتأثر بمن يؤمن بها او ينكرها ، او بعدد افراد هذا الفريق او ذاك ، والضريبة لو صحت فكرة المؤمنين ستكون رهيبة ، لا يعني هذا اطلاقا اني ادعو الى تبني فكرة الايمان لأنها هي جانب الامان حيث كل خسـارة الانسـان في حالة الخطأ هي بعض قيود فرضـت عليه في حياته التي انتهت على اي حال ، اما خســـارة الطرف الآخر فلا تقارن ، ليس هذا الايمان من قبيل الاحتياط هو ما ادعو اليه ، لأنه ببســـاطة ليس إيمانا حقيقيا ،فالإيمان يعني قناعة ويقين ، شيء في العمق وليس تبني افكار من على السطح ، ولكن الحل هو ان يسعى الانسان بكل ما اوتي من جهد وبكل الموضـــوعية ، وبكل التجرد للوصـــول الى الحقيقة النقية بعيدا عن الهوى ، لان الخاسر الاول والاخير هو نفس الانسان ، قمة الغيبوبة ، ليس في ان اكون جاهلا ببعض المعلومات العلميـة ، او اتبنى بعض الافكـار المتخلفـة دنيويا ، ولكن قمـة الغيبوبة هو انه عندما يكون هنـاك موضـــوع على هذا القدر من الخطورة ، فنأخذه بكل هذا الاســـتخفاف ، كل ما نفعله هو محاولة لإقناع انفسنا اننا الاذكى والاعقل ، فنسخر ونتهكم ، ونتلاعب بالكلمات ، ونسعى الى اقناع المزيد والمزيد بأفكارنا ، نعلى من يتفق معنا الى اعلى عليين ونسـقط من يختلف معنا اسـفل سـافلين ، كل هذا مظهر من مظاهر عدم النضـــج الفكري ، حتى ولو كان هناك احتمال باقل نســـبة ان يكون لما يقوله المؤمنون صـــدى من الحقيقة ، احتمال واحد في المائة ، في الالف ، في المليون ، في البليون ، خطورة الموضوع كفيلة ان نعطيه كل الاهتمام وسأبدأ بنفسي :

هل كما يظن هؤلاء العلمانيين والملحدين ان الدين يعني الغاء العقل ، ان الدين يتعارض مع الثابت من العلم ، هل يعني انه طالما أنا مؤمنة فلابد ان اكون مغيبة ، او اني لابد ان انحي العقل والعلم جانبا لكي ابقي على ايماني ؟واقول

لو كان القرآن الذي اومن بقدســيته و ســماويته حقيقة وليس على طريقة د.خالد يقتصـــر على ذكر المعلومة الدينية ، عقيدة ، شـريعة ، اخلاق ومعاملات على اهمية هذه المعلومة القصـوى ، دون ان يبين لي لماذا على ان اومن بالله اولا ، اذا كان يتعامل على ان مسـألة العقيدة لا تأتي الا عن طريق ايمان ليس للعقل دخل فيه ، اذا كان الطريق الوحيد للوصـــول الى الله هو معلومة ورثتها عن ابوي او المجتمع الذي اعيش فيه ، فهذا يعني ان كتابي المقدس يدعوني الى ان اومن ايمانا اعمى وعلى

ذلك لن اومن ،لان الكتاب الذي ينتمي الى اله يدعوني الى الايمان به وعبادته لابد ان يحتوى على افضل السبل والادلة على هذا الاله ، ليس مفروضا ان اذهب لأبحث عن الله وادلة وجوده بعيدا ، في الفلسفة المجردة او المنطق او اي شيء آخر ، وليس مفروضا ان اغمض عيني والغي عقلي واومن لأنه ببساطة يوجد الف دين تتعارض معا على مستوى القمة ، كيف اميز الحقيقة ، لابد ان من ينتمي اليه كتابي يقودني الى اليقين والاقناع عن بصيرة .

لو تعارض كتابي المقدس مع الثابت من العلم مثل ما يدعيه د. خالد منتصر بخصوص آية ويعلم ما في الارحام ، فلن اومن به ، لأنه لو كان هذا الكون ينتمي الى اله خالق ، والى نفس هذا الاله ينتمي كتابي المقدس فالمفروض الا يوجد تعارض لان التعارض يعني اما غياب المعلومة او ابلاغها بصورة خاطئة وكلا الاحتمالين لا ينفيهما د. خالد بل يجد الجرأة في اثباتهما بحق منزل القرآن ، ثم يدعي بعد ذلك ان علمانيته بعيدة عن الالحاد !

واخيرا لو لم ينطبق على القرآن آية ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ،وآية لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلن اومن به ، لأنه ككتاب مقدس لابد ان يختلف عن كل ما انتجته عقول البشر ، والآن سأثبت لكل المتنطعين والمتقولين على القرآن الكريم ان الله سبحانه وتعالى لا يريدنا ان نصل اليه الا عن طريق العقل والعلم ، وان ايماننا به لابد ان يكون على بصيرة ، وان افضل استخدام واحترام للعقل والعلم هو من خلال مقاييس دينية ، وان اهل الانتماءات العلمانية والملحدين هم ابعد ما يكون عن العقل الذي يتشدقون

وسأقوم بالرد على كل هذه الافكار التي يبثها ويربط فيها العلم بالدين كي يدعونا الى الكفر بآيات القرآن وبالله وبنبوة النبي وبالعبادات وسأبدأ بآيات القرآن التي اتخذها سبيلا للطعن على مصداقيته

اولا آية ويعلم ما فى الارحام

اوضحت سابقا ، عندما يعقد د. خالد منتصر الندوات ليحدثنا عما اصبح الآن متاحا من خلال تطبيق تقنية السونار من علم ما في الارحام ، فهذا الكلام لا يمكن ان يهدف الا التشكيك في صحة الآية القرآنية نفسها ، وبالتالي في مصداقية القرآن ككتاب مقدس ،هنا د. خالد يستخدم العلم الثابت لدحض المعلومة الدينية التي نتعبد بها ،

هنا سارد على هذا الادعاء وسأستخدم في ردي احد أشهر التفاسير القرآنية المعروفة التي توفي صاحبها في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي عام سبعمائة اربع وسبعون هجرية

تفسير ابن كثير

"هذه مفاتح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها احد الا بعد اعلامه تعالى بها فوقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب (لا يجليها لوقتها الا هو) وكذلك انزال الغيث لا يعلمه الا الله ولكن اذا امر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الارحام مما يريد ان يخلقه الله تعالى سواه ولكن اذا امر الله بكونه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا اعلم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه "

ولنتناول الآية من اولها يقول الله سبحانه وتعالى في سورة لقمان : " ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ..... " عندما تحدث ابن كثير عن

علم الساعة ذكر ان الله سبحانه وتعالى قد خص نفسه بهذا العلم لم يطلع عليه احد ، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولكن عندما تحدث عن نزول الغيث ذكر ان هذا علم الله الذي عندما يشاء يطلع عليه من شاء من ملائكته وعباده ، وايضا عندما تحدث عن علم ما في الارحام ذكر انه علم الهي اذا شاء الله اطلع عليه من شاء من ملائكته ومن عباده .

ها هو ابن كثير يفسر الآية تفسيرا لا يعتمد فيه الا على لغة القرآن الخالصة ، لا يتحدث على ضوء علم قدمه السونار او السائل الامينوسي ، لا يحاول الخروج من فخ ، هنا يخبرنا انه بالنسبة لعلم ما في الارحام لن يكون حكمه حكم علم الساعة ولكن مثله مثل نزول الغيث سيكون مسموحا بشيء منه للبشر ، اذا هذه المحاضرات التي يعطيها د. خالد منتصر عما اصبح الآن متاحا بفضل السونار من معرفة ما في الارحام لا يتعارض اطلاقا مع تقوله الآية القرآنية الكريمة حسب تفسير ابن كثير ،والآن كيف قادت لغة القرآن ابن كثير رحمه الله الى التفريق بين علم الساعة من جهة ونزول الغيث وعلم ما في الارحام من جهة اخرى ؟

الله سبحانه وتعالى عندما تحدث عن علم الساعة ،ذكر التعبير ب عنده ، والعندية هي امتلاك او الاستئثار بهذا العلم ، انا عندي هذا الموضوع، يعني انا الذي احوزه وهكذا علم الساعة اختص الله به نفسه لم يطلع عليه مخلوق ، ونرى آيات القرآن تؤيد هذا المعنى ففي سورة الاعراف ،: " يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في

السماوات والارض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون "

وفي سورة النازعات : "يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية اوضحاها " وفي سورة فصلت : "اليه يرد علم الساعة "

الله سبحانه وتعالى يوجه الرسول الكريم عندما يسأل عن الساعة ان تكون اجابته هي انما علمها عند ربي مرة وانما علمها عند الله مرة اخرى في نفس الآية ،

هنا اكد الله سبحانه وتعالى على اختصاصه وحده بعلم الساعة ،والرسول الكريم عندما سئل متى الساعة كانت إجابته ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وكان السائل هو جبريل عليه السلام كما جاء في الحديث ومن هنا جاء قول ابن كثير لا يعلم بها لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا

ولكن عندما تحدثت آية سورة لقمان عن نزول الغيث وعلم ما في الارحام استخدم القرآن تعبير وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ،فما هو وجه اعتراض د. خالد منتصر على صحة المعلومة القرآنية وكيف فهم تعارضها مع الثابت مما قدمه لنا السونار ؟ المعلومة هنا هي الله يعلم ، هل اثبت السونار ان الله لا يعلم ؟ هذا هو الحال الوحيد الذي يعني عدم صحة المعلومة ، ولكن د. خالد فهم من ويعلم منسوبة الى الله ، ان العلم يقتصر فقط على الله ،وهذا وإن كان فيه وجه من الحقيقة والصحة طبقا لآية قرآنية أخرى ،إلا أن الآية هنا تتحدث أنه من حيث المبدأ سيكون لدى الانسان بعض العلم بما يحدث في الأرحام ،لأنه كما فهم ابن كثير اثبات المعلومة بحق احد لا ينفيه بحق غيره ، ولكن لكي يقتصر الحكم على شخص واحد بعينه لابد من اثباته بحقه ونفيه بحق غيره فيما يعرف في اللغة بأسلوب القصر ، او الحصر ، عندما اقول حضر محمد فقد اثبت الحضور بحق محمد ، ولكن لا يمنع ان يكون علي قد حضر ومحمود قد حضر ، ولكن اذا قلت لم يحضر الا محمد فقد اثبت الحضور بحقه ونفيته عما سواه وبذا قصرت الحضور عليه ، ومثلها اذا قلت حضر محمد وحده ، فهل قالت الآية ذلك ؟ هل قالت ويعلم وحده ما في الارحام او ولا يعلم ما في الارحام الا هو ، هل عطفت نزول الغيث وعلم ما في الأرحام على عنده علم الساعة فقالت ان الله عنده علم الساعة ونزول الغيث وعلم ما في الارحام فيكون لهما حكم علم الساعة من اقتصاره على الله سبحانه وتعالى . ففيم تشققات وتصدعات د. خالد والقيامة التي قامت ولم تقعد حتى الآن

عندما نزلت الآية لم يكن هناك فارق بين علم الساعة ونزول الغيث وما في الارحام ، الناس كانت تجهل تماما اي شيء يتعلق باي من هذه المعارف ، ولوكان هذا القرآن من عند غير الله لكان المنطقي ان يعطف نزول الغيث وعلم ما في الارحام على علم الساعة ليشملهم التعبير ب عنده ، فيقول : ان الله عنده علم الساعة ونزول الغيث وعلم ما في الارحام ولكن التعبير القرآني الدقيق فرق بين حال العلم الاول وبين حال الثاني والثالث ، تفريقا يفهمه الخبير بلغة القرآن ،من أهل الذكر ،لأن القرآن لا يقول مثلا ،: " بالنسبة لعلم الساعة لن يعلمه الا الله وحده ولكن بالنسبة لنزول الغيث وعلم ما في الارحام سيكون مسموحا للملائكة والبشر بشيء منه " أسلوب السرد هذا ليس لغة القرآن لغة القرآن لغة عالية ،وخاصة جدا وأفضل استخدام للكلمات ومعانيها ، فيما يعد اعجازا لغويا ،فهل كانت الثقة التي يتحدث بها ابن كثير في موضعها في وقت لم يكن هناك أي دليل علمي يرشده للمعنى ،هل كان مغيبا ؟ ، ألم يتحقق ما فهمه فعلا الآن بواسطة السونار والسائل الامينوسي بل كل ما يجد من معارف في هذا المجال حتى يرث الله الارض ومن عليها ، هكذا يخبرنا في هذا الوقت ان ، الناس سيكون لديهم القدرة على الاحاطة بشيء من علم الله فيهما ، ايضا تطبيقا للآية الكريمة ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وبعد أليس هذا إعجازا غيبيا أيضا ؟،وهذا والحمد لله ليس قولي حتى لا يدعي د. خالد اني احاول الخروج من الفخ ، ولكن هو ما فطن اليه ابن كثير في وقت ايضا لم يكن هناك من العلم ما يقوده ، ولكنها لغة القرآن الخالصة ، وهذا يعني ان كل ما اخذ د. خالد يتعب نفسه في سرده مما اصبح الآن متاحا من علم ما في الارحام ، هو ما تنبأت به الآية القرآنية الكريمة ، ليس هذا فقط ولكن الموضوع يتسع ليشمل كل ما يمكن الاحاطة به من هذا العلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها مما لا يخطر على بال د. خالد منتصر ، الحقيقة انه كان بدون ان يدري يثبت صحة الآية والاعجاز الغيبي الذي فيها ، وانها لا يمكن ان تنتمي لإنسان كانت تحكمه علوم وافكار تلك الفترة ، وان القرآن فعلا كتاب سماوي محكم

سؤال ، ولكن هذه الآية يفهمها المؤمنون على انها تتحدث عن مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا الله كما يقول في آية أخرى في سورة الانعام : " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله حتى ان الطبري وغيره من المفسرين في تفسيره للآية ، فهم ان علم الساعة ونزول الغيث وعلم ما في الارحام لهم نفس الحكم اختص الله بهم سبحانه وتعالى ذاته فلم يطلع عليهم ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ،

الحقيقة ان هناك فارق بين من يقرأ التفسير وهو يحترم القرآن و بغرض الوصول للحقيقة فيكون لديه القدرة على التمييز والحكم على صحة التفسير وفهمه ، وبين من كل همه البحث عن غلطة في القرآن فبمجرد ما يظن انه وجد ضالته يظل يرددها ويعلنها منذ ان كان طالبا حتى اقترب من

الاحالة الى التقاعد !فمثل هذا لن يصـل الى الحقيقة ابدا لان الهه هواه كما قال الله سـبحانه وتعالى ،الأمر أعمق من أن يؤخذ بهذه السطحية

الواقع أن تفسـير ابن كثير الذي اعتمد فيه على لغة القرآن الخالصـة والذي توصـل من خلاله إلى أنه على عكس علم السـاعة سـيكون مسـموحا للإنسـان أن يحيط بشـيء من علم ما في الارحام ،والتفاسـير الأخرى التي تعتمد على معلومة أن علم ما في الأرحام هي من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا الله سـبحانه وتعالى لا يوجد أي تناقض بينها والسـبب الذي يجهله د. خالد أن هناك فارق لا نهائي بين علم الله سبحانه وتعالى وعلم الانسان المحكوم بحقيقة وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ،كل ما سـيعرفه الانسـان من علم نزول الغيث ،أو علم ما في الارحام حتى تقوم السـاعة لن يتعد قطرة من محيط لا نهائي من علم الله ،قطرة لن تخدش الغيبية والمسـتوى الالهي من العلم لا كيفا ولا كما هذا المسـتوى من العلم الذي سـيظل غيبا إلى أن تقوم السـاعة ،هذه القطرة تمثل الكثير جدا بالنسـبة للإنسـان والدليل هذه الجلسـات التي يعقدها د. خالد منتصـر مبينا ومتباهيا بما اتاحه لنا السونار من معرفة ما في الارحام ،حتى انه يقارن بين ما أصبح يعرفه من خلال السونار وما يظن او يفهم ان القرآن يقرره بالنسـبة لعلم الله وهو مجرد علم الذكورة والانوثة للجنين ،وهكذا يرى من خلال هذه المقارنة انه اصبح اكثر علما بما في الارحام من الله نفسه فأي اله هذا !

الموضوع أعمق بكثير من هذا الفهم السطحي الذي يتعلق بالفكرة عن الله والقرآن أيضا ،الموضوع يتطلب تقدير الفارق بين علم المخلوق وعلم الخالق ، يا دكتور خالد علم الله سبحانه وتعالى هو علم من خلق هذا الكون كله بكل تفصـيلة فيه ،وأبدعه كل هذا الابداع ،أما علم الإنسـان الذي علمه الله ما لم يعلم فهو العلم الذي سـمح الله به من خلاله لهذا الخليفة أن يتعامل مع خلقه ،لتكون له حركة في الكون إما وفق ما يرضي الله فتكون عبادة ، أو حسب هواه فتكون إفسادا في الأرض ،هو العلم الذي يطلع الانسان عليه ليصل الى الله عن قناعة وبصيرة ويقين .

وقبل أن أستطرد أريد أن أضمن هنا أيضا موضوع نزول الغيث

ففيم يخص نزول الغيث ، ولنتأمل عظمة القرآن ودقته : إنه يتحدث عن عملية نزول الغيث نفسـه ، والله دائما يتحدث عن هذا الموضـوع كنعمة عظيمة تقترن بوجود الحياة على الارض ، وينسـب هذا الفعل الى نفسـه سـبحانه وتعالى فيقول : "هو الذي انزل من السـماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها "لأنه هنا يتحدث عن المطر الذي نعرفه فنزوله منسـوب الى الله بالكلية ، ليس لاحد ناقة فيه ولا جمل

ولكنه في آية سـورة لقمان يتحدث عن مبدأ نزول المطر وغيبيته فاسـتخدم تعبير وينزل الغيث ،لم يقل حتى هو الذي وهو ما يعني كما ذكرت عدم استبعاد تمكينه للبشر ان ينزلوه ،اي ان موضوع المطر الصـــناعي ، لا يتعارض مع الآية ، بل ان الآية تتنبأ به ، ولكن لا يمكن مقارنة هذا بالفعل المنسوب الى الله مباشرة والذي يجري على مستوى الكرة الارضية كلها ، الله سبحانه وتعالى هو الذي يقضـــي كل قطرة ماء اين ســتولد وكيف ، وفي اي مكان تنزل ، هو الذي ينشـــئ الســحاب ويبســطه في الســماء كيف يشـــاء ، هو الذي يقدر كل ذرة غبار تحملها الرياح وســيتم تلقيح اي قطيرات بها لتكون نواة يتم التكاثف عليها ، الله ســبحانه وتعالى يقول : "وارســلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السـماء ماء فأسـقيناكموه وما أنتم له بخازنين " او تلقيح القطيرات الصـغيرة ببعضـها لتنمو و تثقل وتسـقط ، عملية في غاية الروعة ،وتسـير وفق نظام وعلم وابداع لتحقيق هدف يتعلق بإمكانية الحياة نفســـها على الارض ، فهذا الماء الذي تأتي غالبيته العظمي من مياه المحيطات والبحار في عملية تقطير بالغة الروعة لينزل قدر كبير منه على اليابســـة في صـــورة ماء عذب ، فيحيي الأرض بعد موتها ،والرياح ايضـــا تلعب دورا كبيرا هنا ،والا لأن معظم مســـاحة وجه الارض هو عبارة عن مسـطحات مائية فالمفروض ان ينزل الماء كله على هذه المسـطحات التي تبخر منها ،حكمة بالغة في كل ترتيب يدل على غائية وقدرة وإرادة مطلقتين ،ويتطلب تضـــافر وتكامل ، عمليات وحقائق علمية ليحدث ، هذا ما يســـير بإرادة الله المباشـــرة بدون اي تدخل من مخلوق في تبخير مياه المســـطحات المائية وارتفاعها كيلومترات فوق ســـطح الارض لتحمل هذه الآلاف او الملايين من الاطنـان من الســـحب بهذه الطريقـة المعجزة ، ثم لتنمو هذه القطيرات الميكرومترية ، الى قطرات ملليمتريه ، ثم تســـقط كيفما اراد الله لها ان تســـقط ، كل قطرة في المكان المقدر لها ، وفي جزء الثانية الذي أراده هذا هو الفعل المنســـوب الى الله ، والذي لا يتعارض مع تمكين بعض البشـــر ان يقوموا برش بعض المواد بالطائرات لتعمل كنوى تكاثف لتنمو قطيرات الماء الصـغيرة الموجودة اصـلا بقدرة الله ،ويستخدمون فيها نفس الفكرة العلمية التي ابتدعتها ارادة الله وقدرته ، مواد تعمل كنوى تكاثف ، عملية تلقيح ،فيسـقط المطر ، وعلى ذلك هل يشعر احد ان الغيبية التي يوصف نزول المطر ان الله عنده مفاتيحها قد خدشت ، نعم هذا المستوى الالهي من الفعل هو المقصود من اعتبار سقوط المطر هو احد مفاتح الغيب التي لا يعلمها الا الله ، ولكن آية لقمان لا تنفي تمكين الانســـان ان ينزل المطر بأمر الله وتيســـيره وهدايته ، ولكن هذا المسـتوى البشـري على الرغم انه يمثل للإنسـان انجازا وثورة فهو لا شـيء على الاطلاق مقارنة بالمستوى الالهي الذي سيظل غيبا مهما تقدم الانسان

ليس هذا فقط ولكن لا يظن احد ان ارادة البشـــر وهي تقوم بإنزال هذا المطر الصـــناعي تعمل منفصـلة عن ارادة الله ، ولكن في حقيقة الامر المطر يسـقط وفقا لإرادة الله التي اجراها من خلال ارادة بشـــرية وبعلم الله فيما يخص كل تفصـــيلة ، الله هو الذي ينزل الغيث بإرادته ولكن اجرى الانزال على يد بعض البشـــر ، وهذا معنى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فإرادة الله هي التي تنفذ ولكن من خلال فعل بشـري يسـره الله لأصـحابه ومعنى قوله وما تشـاءون الا ان يشاء الله ، فلا توجد الا مشيئة واحدة هي التي تجري الامور وفقها هي التي تمضي هذه الارادة او تمنعها او تؤجلها او تعدلها لا يمكن للكون ان يعمل من خلال ارادات تعمل مســـتقلة ، لا يمكن ان يسـير عالم وفيه سـبعة بلايين اله كل منهم فعال لما يريد وعلى ذلك فوضـع تيسـيرات الله لعباده في تحقيق مثل هذه الانجازات البشـــرية في مواجهة مع ما ينســـب الى الله من قدرة وافعال هو الجهل بعينه

نأتي الى ويعلم ما في الارحام

لا ادري عندما تتحدث الآية عن علم ما في الارحام بكل هذا الاطلاق الذي يليق بمن ينسب اليه هذا العلم ، من الذي يجرؤ على تقييده ،وتحديده تحديدا لا يتناســـب الا مع قدرات البشـــر ؟ هذه هي المشكلة ، الذي يتناول الموضـوع يتناوله من خلال بشـريته وعلمها المحدود فيجد الموضـوع متعلقا بجنس الجنين او مثل هذه الامور التي كانت غيبا منذ عهد قريب ، ثم احدثت التقنيات العلمية ثورة اصـبحنا نعلم الكثير عنها بمقاييسـنا فلا يتخيل الا ان ما تتحدث عنه الآية هو كل ما يعلمه الله او تذكر الآية انه يعلمه والذي اصبح متاحا لنا الآن ، افهم هذا بالنسبة للمفسرين القدامى المحكومين بمعارف عصرهم فبالنسبة لهم الرحم لا يعني سوى جنين ، وجنين محجوب عنهم تماما علم جنسه وشـقاؤه وسـعادته ، هذه هي حدود علم ما في الارحام لديهم ولذلك يفهمون ان اختصـــاص الله بها ســـبحانه وتعالى هي الغيبية المقصـــودة ، وهذا الحال في هذه الآيات ذات الطابع العلمي مفهوم ، ولكن الا نرى انه كلما تقدم العلم ووفر لنا المزيد من المعارف اصـــبحنا اقدر على فهم آيات القرآن ذات الطابع العلمي بصـورة اعمق ،وخصـوصـا ان التعبيرات والالفاظ القرآنية تبدو اكثر توافقا مع ما نعلمه الآن مما يدل على ان هذا القرآن لا ينتســب الى اهل ذلك العصــر ولكن الى الله ســبحانه وتعالى مبدع العلم .

كل كتاب محكوم بثقافة عصـــره وعلومه لا يتجاوزها ، ولذلك كلما بعد زمن تأليف الكتاب كلما احســسـنا بالغربة عنه ،وهذا ما يحدث ايضـا بالنسـبة لتفاسـير مثل هذه الآيات ، على عكس القرآن نفسه ،وانا لا اتحدث عن الآيات التي تعطينا المعلومة الدينية ولكن الآيات التي تتخذ من الابداع في

خلق هذا الكون والتي يحفل بها القرآن الطريق الى الايمان بالله عن قناعة وبصيرة ويقين وهناك آيات كثيرة في القرآن ينطبق عليها هذا الحكم

ولكن اذا كان مفسروا مثل هذه الآيات معذورين وكل قصورهم هو في عمق تناول الجانب العلمي فقط ، فإن فهم امثال خالد منتصر يعكس الافق الضيق الذي يعاني البعض منه والذي مصدره الفكرة البالغة البهتان والضلال عن الله نفسه ، والمبالغة والغرور في تقدير حواجز المعرفة التي امكن للعلم ان يخترقها والتي مهما وصلت لن تتجاوز ما ذكره القرآن عندما يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ، و هنا مع بساطة الآية ويعلم ما في الارحام ، الا ان لغة القرآن تعطينا كل شيء فقط يتطلب الامر طريقة عميقة في الفهم ورغبة حقيقية في الوصول الى الحقيقة وليس مجرد البحث عن خطأ لابد ان نجده ليس لأنه موجود في القرآن ولكن موجود في فكرتنا عنه ، مما يجعلنا لا نفهم ولا نصل الا لما نريده ، تعالوا نتأمل ماذا تقول الآية

الله هنا كما قلت يتحدث بإطلاق تام ، حتى كلمة الارحام جاءت مطلقة لم تقيد بأرحام النساء ، الآدميات ، لان علم الله يشمل كل ما يطلق عليه رحم ، ومن المعروف ان الجنس البشري لا ينفرد بالتناسل عن طريق الحمل في الرحم ولكن يشاركه فيه الكثير من المخلوقات الاخرى ، يشملهم التعبير بما في الارحام ، تماما مثلما يقول القرآن ما تحمل كل انثي ولم يقل كل امرأة ، انه يتحدث عن خلقه كله ،بل يمكننا القول ان الكلام ينطبق ايضا على كل ما هو في حكم ما في الارحام ،مثل ما يجري داخل البيضة التي هي وسيلة تكاثر الكثير من الكائنات

ثانيا الله لم يقيد الآية بالأجنة ، فلم يقل ويعلم ما في الارحام من اجنة ، ولم يقل من في الارحام ، ومن المعروف ان الحمل هو حالة خاصة للرحم وان الارحام دائما تجري فيها تغيرات مستمرة لا تنقطع ، خلايا وانسجة تتكون واخرى تموت او تنتهي وكلها عمليات لتحضير الرحم لاستقبال حياة كائن جديد يخلق بطريقة بالغة التعقيد و الدقة الاعجاز والروعة ،في مكان مهيأ تماما لتخليق كل هذه الاصناف والاشكال من المخلوقات، هذا العلم الالهي ليس علم من تجري الامور بعيدا عن ارادته ثم هو يعلمها ولكن علم من لا توجد خلية ولا تنعدم الا بأمره على مستوى هذا الكوكب كله ، الله سبحانه وتعالى يعلم ما يجري في ارحام جميع الكائنات لحظة بلحظة علما مستمرا لا ينقطع سواء اكان فيها اجنة ام لا ،كل خلية في عين ، بل في قرنية ، او شبكية ،كل ظفر ، كل شعرة ،نعم تجري وفق علم وقوانين ونظام ولكنه يجري كله بأمر الله القيوم الذي يصورنا في الارحام كيف يشاء ، فلا يحدث الا بمشيئته ، هذا هو علم الله الذي تدل عليه الفاظ الآية الكريمة ، ثم إن الله سبحانه وتعالى علمه شامل ،انكشافي لا يشغله شيء عن شيء ،في نفس اللحظة وفي كل لحظة

يعلم كل ما يجري في السـماوات والارض على مسـتوى مثقال الذرة ، اي الهبأة أو النملة وهي اصـغر ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ،هذا هو الإله الذي نعبده ،وهذا هو مفهوم الاله الذي تتحدث عنه الآية ،وأسـأل د. خالد من معلوماتك عن الاله الذي من المفروض أنك تؤمن به ،هل يصـل علم الله الى هذا الحد ،أم أنك ترى أن علمه ليس بهذه الدرجة ،ما هي الفكرة أصلا عن الله ،القرآن يقرر هذه الحقيقة فيقول : " لا يعزب عنه مثقال ذرة في السـماوات ولا في الأرض ولا أصـغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين " لا يغيب عن علم الله في اي لحظة أي شـيء مطلقا ،ليس هذا فقط ولكن الامور لا تجري كيفما اتفق بدون نظام او بعشوائية إنما تجري كما قدرها الله وكما شاء لها أن تكون ، الله يتحدث أيضـا عن علمه وحكمته فيقول : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا "فكيف بعد كل هذا نضـع علمنا في مواجهة مع علم الله ثم نرى اننا الاعلم بفضـل ما وفره لنا السـونار! ما الذي قدمه لك السـونار ، طول الجنين ووزن الجنين !ما وصـل اليه هذا الجنين تحديدا ، في هذا الرحم تحديدا أهذا كل شـيء ؟ ثم إن كان لديك عشرة شاشات سونار معروضة في وقت واحد فلن تستطيع ان تركز في اي وقت الا في واحدة منها ماذا يمثل هذا في علم الله ، الحقيقة عن ما يفعله هنا د. خالد وحزبه قد تنبأت به هذه " الآية الكريمة ، حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصـيدا كأن لم تغن بالأمس " ، في وقت لم يكن للعلم فيه اي ذكر يتحدث الله سـبحانه وتعالى انه سـياتي وقت في نهاية الزمان يظن اهل الارض انهم قادرون عليها، افلا ينبئنا كلام د. خالد منتصـر ان هذا الزمان قد بدأت تظهر علاماته ، بدلا من نسـبة الفضـل الى منزله اصبحنا نرى انفسنا وقد اصبحنا قادرين على السيطرة على الارض

عموما الله سـبحانه وتعالى يعلم أن د. خالد سـيعقد مثل هذه الندوات ليسـهب في الحديث كيف اننا بفضـل السـونار قد اصـبحنا نعرف اكثر مما ينسـبه القرآن الى الله من علم ،وقد أخبرنا الله أنه يعلم لنتأمل هذه ، الآية : "ولو بسـط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكنه ينزل بقدر ما يشـاء إنه بعباده خبير بصـير " الرزق هذا كل ما ياتي من عند الله قد يكون مال او يكون علم ، الله يقول انه ينزل مثل هذا الرزق بقدر كيفما شـاء وبحكمه ، لأنه لو بسـطه كثيرا سـيؤدي ذلك بالناس ان يبغوا في الارض بغير الحق ، انظروا ما الذي فعله السونار وما اتاحه من علم بالدكتور خالد منتصـر ، فاصـبح يرى من خلال هذا العلم الدليل على خطأ القرآن وما يتبع هذا او يترتب على هذه الفكرة ، فما بالنا لو علمنا مرة واحدة كل ما سـيتاح بإذن الله من علم ما في الارحام حتى قيام السـاعة ، انظروا التعبير ببغوا في الارض ، هل هناك بغي اكثر من ان ينظر الى المعلومة التي اتاحها الله لنا على انها دليل ضد الله نفسه ،؟القرآن يخبرنا ان الله سبحانه وتعالى خبير بصير بعباده ولذا فهو

يعرف يا دكتور خالد انك ستقوم بعقد هذه الجلسات لتبين ما اتاحه لنا هذا السونار مدللا بهذا على خطأ الآية القرآنية ، ولذلك فنحن نعلم هذا العلم بقدر رفقا بأمثالك! ، ارأيت كيف هو علم الله وحكمته وخبرته وبصره ؟

وسؤال آخر ، ما هذا السونار والسائل الامينوسي الذي اتاح لنا معرفة الذكر والانثى بل تجاوز كل هذا بكثير ؟ اهو علم بشري في مقابل العلم الذي يزعمون نسبته الى الله ، الم تتوقف وتسأل نفسك سؤال عميق بعض الشيء بدلا من هذه السطحية المفرطة ؟ ما الذي يجعل لشيء اسمه موجات فوق صوتية اي ترددات لأمواج صوتية اعلى مما تستطيع الاذن ادراكه ، هذه القدرة ، هذه الطاقة الموجهة ،ما الذي اودعها فيها ، وكيف تتحول من موجات لا تسبب الاحساس بالسمع للأذن إلى ابداع يمكن العين من ان ترى ما لا تستطيع رؤيته بقدراتها الطبيعية ؟ هل تظن ان الموضوع مصادفة ، او صنع تدابير عمياء ،انظر حولك يا دكتور لترى ، ما الذي يجعل كونا او كوكبا مثل هذا مسرحا لكل هذه التكنولوجيا ، والتقدم ، حتى اصبحت طريقة الحياة وتيسيراتها في تغير باستمرار ، لماذا يأتي عصر اسمه عصر البخار ، فعصر الكهرباء ، فالذرة والليزر والاستنساخ ، والاتصالات ا لرهيبة ، اليس كل تطبيق من هذه التطبيقات العظيمة جاء نتيجة لنظام وعلم وقوانين وابداع وقدرات وضعت فيها اولا ثم وضعت في الانسان مكنته من الانفراد بالتعامل معها ؟

هناك اربع كلمات في القرآن ، كلمات تلغرافية ، مطلقة تماما وبترتيب ، تجيب على كل شيء وتقف في وجه من ينسبون الكون الى الصدفة والعشوائية والترتيبات العمياء ، تقف في وجه الدارونية بالطريقة التي يتبناها د.خالد منتصر ويضعها في مقابلة مع الدين ينتصر لها فيها عليه ، لترد على هذا الزعم .

آية في منتهى العمق ،" سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى "

الله سبحانه وتعالى عندما يأمرنا بتسبيحه وتنزيهه واجلاله وتقديسه وهي أفعال تعبدية ، يقدم لنا اهلية الله لهذا ، وهي انه خلق ، وهذه هي اول قضية هل هو خلق ام كون اتى بترتيبات عمياء باقي الآية يقدم الدليل ، فسوى ، قدر ، هدى ، هذا الخلق فيه اولا تسوية تدل على انه خلق ،انظر الى اي تفصيلة ، اي دقيقة ، لتكن الذرة او الخلية ، او كائن كامل ، او قانون فيزيائي او حقيقة علمية ، انظر الى هذا، السونار الذي تتحدث عنه او هذا السائل الامينوسي ، علم ، حكمة ، تعقيد ، دقة ،نظام ، عمق ، ابداع شديد ابعد ما يكون عن الفوضى او العشوائية او الجهل ، او الصدف العمياء

، او كيفما اتفق ،، وبعد هذا فهو ثانيا ليس ترتيب عبثي ولكن غائي ، هدف مقدر فيه ، والغائية لا يمكن ان تتفق مع الصدفة ، هناك خطة ، غرض يدل على ارادة وقدرة على تحقيق هذه الارادة ،ثم هداية هذه المخلوقات لتحقيق هذا الهدف ، ولو انقطعت السلسلة الرباعية هذه وغاب احد مكوناتها ، ما كان هذا العالم الذي نراه اليوم ونتعامل معه ، وكل ما يفعله الانسان حيال هذا ، هو اما اكتشاف لبعض تفاصيل هذه التسويات المعجزة واما اختراع ، فما هو الاختراع ، ماذا يعني اختراع الدينامو ، او الميكروسكوب ، يعني هداية الله لبعض عبادة كيف يحتالون في التعامل مع عناصر الكون من قوانين او حقائق من خلال التسوية التي وضعها فيها لتحقيق الهدف الذي قدره سبحانه وتعالى ،هذه الكلمات الاربع تحكم الكون كله قوانينه وكائناته وتقف امام الداروينية التي يعتنقها خالد منتصر وحزبه لتضربها في مقتل ، وتصور عمق الآية القرآنية ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، لا يمكن ان تجد مثل هذه الكلمات التلغرافية المطلقة الاربع وبهذا الترتيب الا في القرآن الكريم ،

وعلى ذلك فالموضوع اعمق بكثير جدا من هذا التناول المغرق في السذاجة للدكتور خالد منتصر ، عندما يعزي الى دارون الفضل في كل تقدم علمي نحرزه ، كل كبد يزرع ، كل ، كل ما هو فضل دارون في كل هذا ؟ هو ان العلم انطلق كالصاروخ بمجرد ان اثبت دارون ان الكون جاء بدون اله ، كانت هذه الفكرة الكهنتوتية هي التي تعرقل العلم ، وكان عصر النهضة وانتهاء عصور الظلام قد بدأ على يد دارون من جديد

لنر اهو حقا فضل دارون ؟، هل نتوجه بالحمد والشكر الى دارون بعد كل عملية جراحة ونقل اعضاء او اكتشاف دواء لمرض عضال او .او؟ هل هو دارون ام رب دارون يا دكتور ، لنتخذ عملية زراعة كبد مثالا ، ما الذي يسر اجراء هذه العملية وجعلها في الامكان .

ما الذي ييسر اجراء اي عملية جراحية عموما

هذا الجسم العجيب القابل ان يقطع فيه بالمبضع ثم يخاط الجرح ويلتئم ، انسجة تبني مكان القطع تلتحم وتضاف الخلية الى الخلية في طريقة بالغة التعقيد والاعجاز ، انظر الى اي جرح صغير يحدث وراقب كيف يتم التآمه بالتدريج حتى يعود كما كان ، وكيف يحدث هذا في هذا الجرح الكبير ، ما الذي ابتكر هذا العلم ، وفكرة الالتآم ، لا تقل ان فكرة تجديد الانسجة موجودة في الكائنات الدنيا وتطورت ، انا اسال عن منشأ هذه الفكرة اصلا . وعن العلم المرتبط بها كيف ابدع .

ثم عملية التخدير ! مواد تعمل على مركز في المخ ، او النخاع الشــوكي ما الذي اوجد هذه المواد واعطاها هذا التأثير ، وجعل بالإمكان ان يقطع في جسم الانسان لساعات وهو لا يشعر باي شيء ، ثم هو بعد ذلك يفيق وينتهي تأثير هذه المواد حيث يتعامل معها الجسم بالطريقة المناسبة والا ظل على غيبوبته ، مرة اخرى انا اتساءل عن فكرة وجود مادة يمكن تحضيرها او موجودة في الطبيعة لها هذه القدرة الغريبة و هذا العلم المتعلق بها والمتعلق بهذا الجزء من المخ ، ما الذي اوجد هذه الفكرة والعلم المتعلق بها ، أليست هذه هي التسوية في الجسم الانساني ، وفي قابلية الذرات لترتبط فتكون مركبا مثل هذا مقدر فيه ان يمكنني من النجاح في تخدير هذا المريض حتى يتم اجراء العملية ، مهدي الى كل هذا من قبل الله ، أليســت هذه التســوية والغائية والهداية التي يتحدث عنها القرآن كبرهان لا يدحض على قدرة وابداع خالق وليس صــدف عمياء ، كان لكل هذا الفضــل في امكانية اجراء الجراحة ياد كتور هذا ما يقوله العقل وليس فكرة غياب الاله التي ابتدعها دارون هي التي جعلت الناس ينطلقون ، اين امكانيات هذا الانطلاق من الذي ابتدعها !؟

ثم هذا الموضــوع الغاية في الاهمية واعني به ما يتعلق بالدم ، فرع آخر من العلوم الطبية ، تتعلق بإمكانية نقل الدم من انســـان لآخر ، ثم هذه الجلطة التي توقف النزيف ، عملية تتطلب خطوات كثيرة معقدة ووجود عدد كبير من المواد ينتجها الجســم بطريقة غاية في التخصـــص والابداع ، والقدرة ، غائية تتعارض مع الصـدفة والعشـوائية ، ثم باسـطات العضـلات التي تقلل كمية المخدر الى الحد المسموح به في اجراء عملية كان اكتشافه انجازا كبيرا في عالم الطب ، ثم هذه المضادات الحيوية التى تفتك بكل هذه الميكروبات الفتاكة والتي تقي المريض من المضـــاعفات الخطيرة ، ثم هذه المواد التي تعمل ضـــد الالم وتجعل المريض بعد الافاقة قادرا على تحمله ، عوامل كثيرة جدا لابد ان توجد ، كل عامل على درجة كبيرة من العلم والتعقيد والابداع ، لا ننظر الى كل هذا وفقط نروج لدارون وكانه هو الله الذي ابتدع كل هذا فنتوجه اليه بالشــكر والحمد والعبادة ايضـــا ، والى كتابه اصـــل الانواع بالتقديس وهذا انا لا افتريه عليه ، ولكن من يقارن كل هذا الكلام عن القرآن الذي يردده خالد منتصر والذي يطعن فيه على مصداقيته بالدليل العلمي الذي يتبناه مع ما يقوله هو نفســه عن كتاب اصـل الانواع يجد العجب ، فكتاب دارون بالنسـبة له يمثل نصـف الثقافة العالمية عبر القرون ، ومهما قرات من كتب لأعظم المؤلفين فلن تزيد على نصــف مثقف كما يقول د.خالد طالما لم تقرأ كتاب اصـــل الانواع ، ومهما كان لديك من عشـــرات الآلاف من الكتب في مكتبتك فطالما انها لا تحوي كتاب اصـــل الانواع فلابد ان تكون المكتبة مصـــابة بالأنيميا ! ويكفي انه لم يتحمل كلمة نقد واحدة في حق دارون قالها شـيخ الازهر فانبرى يدافع باسـتماته عنه وعن عبقريته في عدد من مقالاته في الصحف وفي المقابل كما ذكرت لا يتحمل ان ينسب احد الى الله فضلا ولذا

كيف انبرى يفند فكرة الله اسقط النظام ، الم اقل مهما حاول الانسان ان يخفي ما يريده حقيقة ، فلابد ان هناك نقطة لن يستطع ان يرغم نفسه على ادعاء ما لا يقبله في الواقع ، ارأيتم كيف يمكن للمرء ان يجهد نفسه عندما يقرر ان يعيش شخصيتين وكيف انه في النهاية سيفشل .

ثم انظر يادكتور وانت تتحدث عن السونار والسائل الامينوسي تذكر ان هذه القدرة التي اودعت فيك لتطلق هذه الاسماء على مسمياتها ، هي ما اشار القرآن اليه وهو يتحدث عن آدم وكيف افرده بهذه القدرة عندما سلمه قلادة الخلافة على الأرض ، ليكتشف ويتعلم ويتعامل مع الكون ، ضرورة من ضرورات هذا التعامل ، انظر كم الاسماء والتعريفات، هذا لمن اراد ان يحترم عقله وعلمه ايضا ، الموضوع اعمق بكثير جدا جدا من هذا التناول البالغ الضحالة والسذاجة الذي يمتاز به فكر هؤلاء العلمانيين .

موضوع النطفة والعلقة

د. خالد منتصر على ما يبدو يعتبر نفسه ممثل العلم ، يتكلم باسم العلم بكل ثقة فيرد على آية ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، بانه لا شيء هناك اسمه النطفة او العلقة ، طبعا هو يعني لا شيء من وجهة نظر العلم ،تكذيب صريح للآية القرآنية ، لا ادري كيف يدعي انسان يرى هذا انه ما زال يؤمن بإحكام وسماوية القرآن بعده ! ، ويزيد انه هذه هي تعبيرات القابلات وهم يصفون حالات اجنة اجهضت قبل اكتمالها ، استنتاج طبعا لأنه لم يسمع احد قابلة تصف سقطا انه كان نطفة او علقة ، والسبب بسيط جدا غاب عن عقل د. خالد العلمي الذي لا يفهم ما هي النطفة او العلقة ، هو ان النطفة او العلقة شيء بالغ الصغر ، النطفة عبارة عن نقطة ،العلقة ربع مليمتر !وعندما يقول لا شيء في العلم اسمه النطفة والعلقة ماذا يريد ، هل يريد ان يقول انه لا توجد مرحلة في تخلق الجنين ينطبق عليها وصف النطفة او العلقة ، هذا اذا موضوع علمي يناقش مناقشة علمية ، ام يريد ان يقول ان العلم لا يعرف هذه الاسماء ، وهذا في الواقع رد يعكس ضيق افق شديد ، ماذا تريد ان تكون الاسماء التي يطلقها القرآن ، الزيجوت ، او الحيوان المنوي او البويضة ، او التوتية ، هذه الالفاظ التي اطلقها او اصطلح عليها العلماء فيما بعد وكان من الممكن ان يطلقوا غيرها ، القرآن لا يستخدم بالقطع التعبيرات العلمية التي اختارها البشر بعد نزوله ولكن يعطي اوصافا مطابقة للحال ، والذي يحكم في هذه الامور المختصون ، ما رايك

في دكتور محمد على البار مؤلف كتاب خلق الانســـان بين العلم والقرآن او دكتور محمد فياض مؤلف كتاب ،إعجاز القرآن في آيات خلق الإنســان ، علماء مصـريون ، متخصـصـون أكثر من حضــرتك في هذا الفرع من الطب الذي يختص بعلم ما في الأرحام ،مسـلمون فلابد أنهم مدلسـون ومنـافقون ،إلى آخر النعوت التي يطلقها د. خـالد على من يخـالفونـه في الرأي ،إذا مـا رايك في الدكتور موريس بوكاي الجراح الفرنســي الشـهير ، صــاحب المقارنة الشـهيرة للكتب المقدسـة مع العلم الحديث ، وما رايك في الدكتور كيث مور مؤلف كتاب ((الحائز على الجائزة الامريكية لكتاب في علم الاجنة الفه عالم بمفرده ، هناك محاضـــرة في جامعة الينوي مدتها اثنين وســـبعون دقيقة وموضوعها علم الاجنة والقرآن ويتحدث فيها ستة دقائق ايضا عن خلق العظام قبل العضلات ، وكســاء هذه العظام بها ، وهو موضــوع تعرض له ايضــا دكتور خالد منتصــر ، ولكن ما يهمني اكثر هنا هو تلك المحاضـرة التي القاها دكتور موريس بوكاي عام الف وتسـعمائة وسـتة وسـبعون اين ؟ هل على ناس جهلاء كان يدلس عليهم؟ ، بل في الاكاديمية الفرنســية للعلوم الطبية التي كان قد مر على انشائها وقت المحاضرة مائتا عام وثلاثة ، مؤسسة عريقة لا يؤمها الا كبار العلماء من الاطباء الفرنسيين في بلد له وضـعه المرموق علميا ، والقي دكتور بوكاي محاضـرته متطوعا عن قناعة وكان موضــوعها ، علم الفسـيولوجي وعلم الاجنة في القرآن ، وهناك تسـجيل له بالصــوت والصـــورة وهو يتحدث عن رد فعل مســـتمعيه على محاضـــرته حيث يقول وما ان انتهيت من محاضــرتي حتى اصــابهم الذهول ، شــخص اجنبي ، لم يتعرف على القرآن الا حديثا ثم يتكلم بكل هذه الحماســـة والاخلاص عن نفس هذه الآيات التي ينكر د. خالد صـــلتها بالعلم وانها من كلام القابلات اليس هذا ادعى ان يعرف دكتور خالد قدره ويكف عن التحدث بلســـان العلم تماما كما يرفض ان يتحدث احد على لســـان الاســـلام ، ويعلم ان العلم الخاص به الذي لا يجد فيه الا كل تعارض مع الدين هو علم محكوم بطريقته السطحية احيانا والمغرضة احيانا اخرى .

الرد على موضوع خلق الإنسان من طين :

طبعا غني عن البيان ان هذه الفكرة التي يؤمن بها جميع اتباع الرسـالات السـماوية تتعارض تماما مع دارون ونظريته ، والحقيقة ان هناك من لا يجدون مثل هذا التعارض عندما يتأولون موضـــوع خلق الانسان من طين انه لم يخلق منه مباشرة ، ولكن خلق الحياة في صورة بدائية جدا كان منه ثم تدرج الخلق بعد ذلك ، فكرة يؤمن بها البعض ولكني لا اومن بها نفســي ، المهم بالطبع ليس هذا ما يتبناه د.خالد ، هو يقول بمنتهى الصـــراحة ان فكرة خلق الانســـان من طين هي فكرة تنتمي الى اساطير الاولين ، حيث ان كل من الحضارة السومرية والبابلية والاغريقية والفرعونية تنسب خلق

الانسان من طين الى اله من الهتها ولذا فهو يقرر ان هذه الفكرة انتقلت من الاساطير الى التوراة ، وطبعا من اي منهما الى القرآن .وهو يأتينا بهذه المعلومة من كتاب دكتور فراس السـواح مغامرة العقل الاولى ، ومن الغريب انه ذكر هذه المعلومة في كتابه وهم الاعجاز العلمي ليس من قبيل تكذيب الآية القرآنية ، ولكنه كان يحاول ان يفهمنا ان معركته هي مع دكتور زغلول النجار الذي يزعم ان هناك سند علمي لهذه الفكرة وهي ان نسبة العناصر واكاسيدها تتشابه في كل من الطين والجسم الانساني ، ولكنه بدلا من تعرضه لهذا السند العلمي تعرض للآية القرآنية نفسها وللمعلومة التوراتية ، كان تدليس د.زغلول النجار بالنسبة له ليس في الطريقة المتكلفة التي يثبت فيها معلومة دينية عن طريق العلم ولكن التدليس هي في محاولته اثبات المعلومة القرآنية الخاطئة اصلا .

والآن سارد على د. خالد ليس من مصدر آخر غير الذي ذكره ولكن من نفس كتاب دكتور فراس السواح مغامرة العقل الاولى الكتاب الذي يحتج به .

لو قرأ د. خالد منتصر صفحة 11 من كتاب مغامرة العقل الاولى لرأى هذه العبارة : اما القرآن فقد اثبت ما اوردته الاساطير مرجعا اياه الى اصله السماوي قبل ان تمتد اليه يد التحريف بقصد او بسوء نية

الكلام واضح هناك اصل سماوي لفكرة خلق الانسان من طين ، وهذه المعلومة كانت موجودة على الارض منذ بدء الخليقة ، لان آدم نفسه كان يعيش على الارض وفكرة اصله الطيني انتقلت الى نسله شرقا وغربا ، ولذلك نجد لها هذا الانشار في كل هذه الحضارات وغيرها ،، والقرآن نفسه ذكر على لسان نبي الله صالح عليه السلام انه قال لقومه : "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها "هذه المعلومة ايضا كان انبياء الله دائما يخبرون بها قومهم ، وكل ما فعله اصحاب هذه الحضارات انهم حرفوا المعلومة حيث نسبها كل منهم لإله من الهتهم ، هذا هو كل شيء لا القرآن ولا التوراة اخذوا المعلومة من هذه الاساطير ولكن هذه الاساطير حرفتها عن اصلها السماوي وجاءت الكتب السماوية لتعيدها الى اصلها ، وهذا هو ما يقوله د.فراس السواح نفسه ولكن كالعادة لا يمكن للدكتور خالد منتصر ان يأتي بمعلومة صحيحة أو من عمقها

!

هل اخبر النبي الصحابة ان الساعة ستقوم في خلال مائة عام من الحديث ؟

ذكرت ان آيات القرآن تتفق على ان الله سبحانه وتعالى قد خص نفسه بعلم الساعة ، لم يطلع عليه نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ، وانه حتى عندما تحدث عن الساعة في آخر سورة لقمان ،استخدم

التعبير عنده الذي يعني الانفراد بالعلم على خلاف الحديث عن نزول الغيث وعلم ما في الارحام ، ولكن هناك حديث صحيح ذكره مسلم يرد فيه الرسول عليه الصلاة على سؤال عن الساعة قبل وفاته بشهر قال فيه : " عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ، لما رجع رسول الله رضي الله عنه من تبوك سألوه عن الساعة فقال صلي الله عليه وسلم لا تأتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة اليوم . "

" أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد قال الراوي انما هي نفس مخلوقة اليوم "

فهل كما فهم د. خالد منتصر خالف الرسول اوامر القرآن وافتى بمعلومة لم يحطه الله بها وتأكد عدم صحتها بعد ذلك ، هل قال الرسول كما فهم د. خالد من حديثه ان الساعة ستقوم في خلال مائة عام ؟ لنر

الرسول قال لا تأتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة اليوم ، فما هي النفس المنفوسة ، هي نفس مخلوقة موجودة ساعة الحديث ، هو يخبر بمعلومة غيبية احاطه الله بها وهي ان كل من على الارض في هذه اللحظة ستنتهي حياته في خلال مائة عام ، اي بعد مرور مائة عام لن يكون على الارض احد من الموجودين الآن اي وقت الحديث ، فمال هذا وقيام الساعة ، لو قلت مثلا انه في خلال مائة وخمسين عاما من الآن لن يبقى على الارض احد من الموجودين عليها الآن ، اليس كلامي صحيح ، على اساس انه لا يعيش احد اكثر من مائة وخمسين عام ، فهل يعني هذا ان الساعة ستقوم خلال مائة وخمسين عام ؟ طبعا لا او انه لا يوجد على ظهر الارض الآن كائن كان موجودا من مائة وخمسين عام ،فهل معنى ذلك انه من المفروض ان الساعة قد قامت ، هذا هو كل ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنه لم يكن يستنتج المعلومة ولكن الله احاطه بها وهو ما يطلق عليه انخرام قرن النبي ، اي انه بعد قرن من وفاته لن يكون هناك انسان من الذين عاصروه ،فكيف فهم دكتور خالد من الحديث ان النبي قد حدد ميعاد الساعة بمائة عام ، هل لانهم سألوه عن الساعة وذكر هو رقم مائة فلابد ان يكون هذا هو المقصود من الحديث ، اليس هناك كلام قاله الرسول يجب ان يفهم ؟ والا لكان الرسول قد اجاب مباشرة ستقوم الساعة خلال مائة عام ، فلماذا يجيب الرسول بهذه الصيغة ، الموضوع يحتاج لفهم .

اذا كان الله سبحانه وتعالى قد- املى رسوله الاجابة على هذا السؤال فقال يسألونك عن الساعة فقل انما علمها عند ربي ،، هذا اول توجيه الهي بشان الساعة اما التوجيه الثاني فقوله تعالى انما انت

منذر من يخشـــاها ، هذه فقط مهمتك وليس مهمتك الاخبار عن ميعاد قد حجبته عنك .فكيف يفهم انسان مؤمن ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد خالف الاوامر الالهية وافتى بما لا يعلم ؟

نعم هم ســألوه عن الســاعة وقد اجابهم ولكن لم يتجاوز في اجابته التوجيه الالهي ، لم يخبرهم عن ميعاد الســاعة ولكنه وجههم التوجيه الذي يليق بنبي ، لماذا تســالون عن الســاعة ، ما يهمكم من امرها ، المهم لكل انسـان هو متى تحين سـاعته هو ، ما يفصـل كل انسـان عن السـاعة هي الانفاس المعدودة المتبقية له في هذه للحياة ، هي فرصته الوحيدة في الرجوع الى الله ، التوبة ، الاستغفار ، ادراك ما فاته ، او حتى يعمل لنفسه عملا طيبا يبقى بعد موته ،

وهكذا قال النووي في شـرحه لصـحيح مسـلم حيث ذكر فوائد للحديث منها : وفيه الاسـلوب الحكيم وهو ال جواب على ما ينبغي ان يسـأل عنه لا عما سـئل عنه فإنهم سـألوه عن السـاعة متى هي ، فأجابهم ان ساعة كل مخلوق موته ، وساعتهم جميعا بوجه عام قبل مائة سنة)

ثم ان الانســان اثناء نومه او بعد موته لا يشــعر بالوقت ، هذا النبي الذي ذكر القرآن ان الله اماته مائة عام عندما سأله كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم ، والله يخبرنا انه يوم القيامة ايضا سيظن الناس انهم مكثوا يوما او بعض يوم ، ويقول الله ايضا متحدثا عن الساعة كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها ،فهنا كان الرد النبوي الحكيم هو ما وجهه الله اليه انما انت منذر من يخشاها ، اذا كنتم تسـالون عن السـاعة لأنكم تخشـونها فلا تعتمدوا على بعد المدة كما تظنون ، ولكن اعلموا انها قريبة جدا لن تزيد في احسـن الاحوال عن مائة عام ، وهذه هي سـاعتكم الحقيقية والله سـبحانه وتعالى يقول وان عســى ان يكون قد اقترب اجلهم ، فهل تحقق ما ذكر النبي بهذا المفهوم العميق ، نعم تحقق ، وتحقق بعدها ملايين وبلايين المرات ، ويتحقق في كل لحظة ، والحديث انذار للجميع ، لهؤلاء الغافلين وللدكتور خالد وحزبه ، ليس امامكم فرصة اخرى لتعرفوا الحقيقة التي ستفرض نفسها عليكم فرضا اياما كانت ، هناك اله او لا يوجد او كيف اعبده ،لن تتأثر الحقيقة بالسخرية او الاســتهزاء او اللعب بالكلمات ، او التظاهر بغير الحقيقة ،او عدد الناس الذين اقنعتموهم ، منتهى الغيبوبة ان يكون هناك حقيقة بمثل هذه الخطورة وليس هناك سـوى وقت ضـئيل جدا لإدراكها ثم نأخذ الموضوع بكل الخفة ,هذا هو ما يوجه الرسول اليه .

الفصل التاسع

الرد على محاربة د. خالد للشريعة

بعد الحديث عن حربه الشعواء على العقيدة ،ما يتعلق بالله والقرآن ،والنبي ،والفكرة عن الدين نفسه ،لم تسلم الشريعة من محاولاته الضارية لتشويهها والنيل من حكمة الله وراءها ،فالذي يأمر به الله كفريضة نراه عن يتحدث عن ضررها البالغ على الصحة ،وما ينهى عنه القرآن نراه يدافع عنه باستماته ،الصيام ضار بالكبد والكلى ،بما يعني مدمر لصحة الإنسان ،وماء زمزم سام ،والخنزير المنهي عن أكله ينبري هو للدفاع عن فوائده ولا ينسى وهو يفعل ذلك ان يتطرق الى موضوع التعصب الديني،ونراه ابدا لا يفعل العكس .لا يتحدث عن حكمة او فائدة لفريضة ،او ضرر يتعلق بنهي الهي عن فعله ،فماذا تعني الحرب على الدين اكثر من هذا ؟

فقد طلع علينا د. خالد منتصر بتصريح غاية في الخطورة مفاده ان الصيام والامتناع عن الطعام والشراب فترة طويلة ضار بالكبد والكلى ، وقال اذا كان الصيام مفيدا كما يدعون فلماذا لا نصوم باقي ايام السنة ؟ ويقول انه يؤمن تماما بان الصيام شعيرة ولكن اعتراضه هو على الترويج لفكرة فائدة الصيام علميا وهو ما عبر عنه في مقال قديم بتسويق العبادات ! لان هذا هو اقحام العلم في الدين ، ولذلك فهو لا يكتفي بنفي الفكرة والدعوة كما يزعم الى الصيام من قبيل انه فريضة وكفى ولكن ، ايضا يبين كالعادة تعارض العلم والدين ،

قبل كل شيء اسجل اعتراضي الشديد على تعبير تسويق العبادات .، تعبير غاية في القبح ، معناه بوضوح ان العبادات في حاجة الى ما يروجها ، ومعناه ان هذا التسويق عن طريق ربط العلم بها بطريقة ايجابية ، هو دافع اقوى من موضوع طاعة الله وابتغاء رضوانه ،ومفهوم العبادة نفسه الذي يمثل اقوى دافع لحث الانسان على عمل اي شيء ،نعم بعض الناس في بعض العبادات يكون لديهم اهداف حقيقية غير هدف الطاعة ومرضاة الله ، مثل الذي يتصدق نفاقا ، او لغرض دنيوي ولكن هل مثل هذه عبادات ؟ولذلك كانت الاعمال بالنيات ، ولكن الحديث عن الفائدة العلمية للصوم مثلا او لتحريم اكل الخنزير يختلف هنا حيث يبدو وكان هناك من يريد ان يحث الناس على الصيام لهذا الغرض الدنيوي لان الغرض الديني لا يكفي ، وعلى ذلك لو ترك الامر لن يقبل الناس على الصيام وكانه بضاعة بائرة ، وليس هذا فقط ولكن لو كان د. خالد يدرك معنى العبادة لعلم ان اي محاولة لجعل الناس يقدمون على الصوم لغرض دنيوي، ما هو الا دعوة لإفقاد هذا الركن مفهومه كعبادة ودين ،

الواقع ان الدكتور خالد يدعي قضـية لا اصـل لها ، فلا يوجد انسـان يزعم انه يصـوم فقط لان الصـيام مفيد ، ولكن الجميع يصـومون لان الصـيام فريضـة ، وطاعة لله وابتغاء مرضـاته ، هو الركن الرابع من اركان الاسـلام الخمسـة ،حتى الطفل الصـغير ذو السـبعة اعوام عندما يبدأ في الصوم لأول مرة ولو انه ليس فرضا عليه او عندما يصوم فترة من النهار يفعل ذلك بغرض طاعة الله لان هذا يشـعره بالسـعادة ، ولا يقول لان هذا خير لصـحتي ، ولكن موضـوع انه خير للصـحة موضوع جانبي وليس هو لا الغرض الاساسي و لا الثانوي للصوم ، الصوم غرضه أخروي مثل باقي العبادات

وإذا كان يعني هؤلاء الذين يمتنعون عن الصوم من الأصحاء استهانة بالفريضة ،فمثل هؤلاء ،لن يهتموا أيضا كثيرا بأية فائدة صحية علمية للصوم ،فالبعض منهم لا يكف عن وضع السيجارة في فمه على الرغم من التحذيرات بضـــررها الأكيد والآخرون يتناولون المخدرات ،وهم على دراية بخطرها على صحتهم وجيوبهم 1

والحقيقة انه اذا كانت نية الانسان في الصوم هو غاية دنيوية مثل تحسين الصحة ، فلا عبادة هناك ، تماما مثل الذي يطيع الطبيب واوامره من اجل صحته

لو كان الدكتور خالد منتصـر فعلا يحترم الصـيام كفريضـة وشـعيرة لعلم اصـلا معنى العبادة ، الغرض الوحيد الذي ما خلقنا الله الا من اجله : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون "لعلم ان العبادة هي علاقة بين العبد وربه الله هو الذي يحدد لنا كيف نعبده ، ماذا نفعل ما يرضـــيه وما يســـخطه ، عندما يأمرنا الله بالصـــيام يا دكتور خالد فهذا الامر هو مقياس لطاعتنا الله وابتغاء رضوانه ، مقياس لعمق ، علاقتنا به ومن الطبيعي والبديهي ان الطاعة والعبادة لابد ان تكلفنا جهدا وطاقة وتحملا ومجاهدة للنفس ، نفعل ما يرضـــي الله من خلال ارادتنا الحرة ونحن قادرون على المعصية وربما هي الاسهل والامتع نتصدق ببعض مالنا الذي تعبنا في الحصول عليه ، والافضل ان ننفقه على انفسـنا ، نخرج في عتامة الفجر في البرد القارس لنصـلي في المسـجد والافضـل ان نبقى تحت الفراش الدافئ ،ام ماذا تظن ، نعبد الله وفق اهواءنا ، نفعل ما يعن لنا ،من الطبيعي انه عندما نمتنع عن الطعام وهو امامنا ، وربما لا يرانا احد ونحن نطعمه وليس هناك ما يحول بيننا وبين تناوله غير التقوى ومراقبة الله ،غير ابتغاء الثواب ، غير ادراكنا لماذا يجب علينا ان نعبد الله ، ما هو مفهوم الله ولماذا هو جدير بالعبادة ، هذا هو الدين الذي نعرفه ومن خلال هذا المفهوم فقط نؤمن انه نعم العبادة تتطلب تضـــحية وطاقة ومجاهدة وتعب ونصـــب ، ولكن لا يقبل ابدا ان يكون ذلك من خلال ضرر يحل بالإنسان هذه فكرة غير مقبولة ولا يمكن ان يدين بها انسان مؤمن

، الله سبحانه وتعالى لا يمكن ان يعني اصابتنا بالضرر ونحن نطيعه او انه لا يعرف ان هذه العبادة تضرنا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، والدليل ان الله قد احل الافطار لمن يسبب الصيام له ضررا ، المريض ، المسافر ، الحامل ، المرضع ، عندما يقول الله سبحانه وتعالى ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فلا مجال للتعالم ، والرسول والصحابة الذين كانوا يقاتلون في سبيل الله ، ليس اشق من هذا ،ماذا كانوا يطعمون ؟.، لو كان د. خالد يحترم الدين والشريعة لعلم ان اهداف الشريعة ، هي الحفاظ على النفس ، والدين والعقل ، والمال ، والنسل ,وانه عندما يقال ان في الصوم فوائد صحية ، فليس معناه ترويج عبادة الصوم او تسويقها مثل هذا التعبير السوقي ، ولكن الله من فرط رحمته بنا يكلفنا بما يفيدنا حتى وان كان فيه مشقة .

،عندما يتحدث البعض عن فوائد صحية للصوم فهذه حقيقة علمية نحصل عليها من مصادر علمية متاحة للجميع ،اما أن توهمنا ان كل ما هو مع الدين علميا فليس الا محاولة لتسويق العبادات ،بينما ما تقرره سيادتك علميا ايضا وهو الضرر البالغ من هذه العبادات هو العلم الحقيقي مرة أخرى حضرتك لست المتحدث الرسمي باسم العلم ،ليتك لا تمارس هذا الهكنوت العلمي لترينا انك انت وحدك الذي تقرر ما هو العلم وما هو ليس من العلم في شيء.

وبعد أليس هؤلاء أيضا أطباء محترمون وباحثون أيضا والمفروض ان ما يخبروننا به هو علم أيضا :

1- كشف خبير المناعة المصري الدكتور مجدي بدران، عضو الجمعية المصرية للحساسية والمناعة، واستشاري الأطفال، وزميل معهد الطفولة بجامعة عين شمس، عن حقيقة علمية مذهلة توصلت إليها نتائج 36 بحثا ودراسة علمية عالمية من بينها 4 أبحاث أجريت في العام الحالي حول هرمون الجوع (الجريلين)، الذي يفرزه الجسم عامة وخلال صيام رمضان بصفة خاصة.

وقال بدران، فى تصريحات صحفية، اليوم الأحد: ***إن هذا الهرمون يعزز تكوين أوعية دموية جديدة في جسم الإنسان، متفرعة من الأوعية القديمة الموجودة به، مشيرا إلى أنه استنادا إلى هذه الحقيقة العلمية فإنه يمكن القول أن الصائمين يزرعون بصيامهم أوعية دموية جديدة في أجسامهم، وأنه لو علم الناس بأسرار وفوائد الصيام لصاموا بعد رمضان قدر المستطاع يوما أو أكثر أسبوعيا.***

وأضاف: أنه في إطار محاولاته المستمرة لكشف أسرار مدرسة الصيام العلمية التي مازالت تمثل واحة مجهولة تتحدى ما وصل إليه الإنسان من تقدم علمي، تأكد أن كيمياء الصيام في جسم الإنسان هي صمام المناعة والأمان للقلوب، وأن الجهاز الدوري في جسم الإنسان (القلب والأوعية الدموية والدم)، هو معجزة ربانية تتعاظم وتتجلى وظيفته في الصيام مع ممارسة الأنشطة البدنية.

وأشار إلى أن هرمون الجوع، طبقا لما أثبتته الأبحاث، له وظائف وقائية للقلب والأوعية الدموية، ويعزز وظائف الشرايين التاجية التي تغذي القلب نفسه كعضو، ويثبط تطور تصلب الشرايين التاجية والشرايين بشكل عام، بالإضافة إلى دوره في قمع التهاب الأوعية الدموية، فهو مضاد للأكسدة والالتهابات، ويخفض ضغط الدم المرتفع، ويعزز وظائف الأوعية الدموية ويحمي الحاجز الدموي في المخ.

ولفت بدران إلى أن تعزيز نمو الأوعية الدموية يحدث بصورة طبيعية خلال التئام الجروح، وأثناء نمو الجنين، وخلال عملية التكاثر، وفي عمليات التجميل، فمع تشكيل نسيج جديد في جسم الإنسان، لا بد من إمداداه الدائم بالدم بكميات كافية لنموه وسلامته والقيام بوظائفه بكفاءة.

وأوضح أن شبكة الأوعية الدموية في جسم الإنسان هي شبكة مهولة يبلغ طولها حوالي 60 ألف ميل (أو حوالي 97 ألف كم) وهي عبارة عن موصلات ذات اتجاهين من الطرق متنامية الأطراف، موضحا أن محيط الكرة الأرضية يصل لحوالي 40 ألف كيلومتر، مما يعني أن الأوعية الدموية للإنسان يمكن أن تلتف حولها مرتين ونصف تقريبا.

وتابع بدران: أن عدد خلايا الجسم في الشخص البالغ تبلغ تريليون خلية تقريبا لكل كيلو جرام من وزنه، وأن الدم هو السائل الحيوي الضروري للحياة وترسانته المناعية حيث يحمل كيمياء المناعة لمكافحة الأمراض والحفاظ على درجة الحرارة الجسم والتوازن في درجة الحموضة، إلى جانب كونه وسيلة لنقل وإيصال الأكسجين والمغذيات والغازات والهرمونات من وإلى الخلايا في جميع أنحاء الجسم.

2- أكد الدكتور سعيد شلبي أستاذ الباطنة والكبد بالمركز القومي للبحوث ونائب رئيس أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا إن الأبحاث العلمية الحديثة تؤكد باستمرار فوائد الصيام لصحة جسم الإنسان ومساهمته في علاج الكثير من الأمراض، مشيرا إلى أن الهدف من الصيام هو

إراحة الجسم من هضم الغذاء ، وإتاحة الفرصة لاستهلاك المدخر منه وطرح السموم المتراكمة فيه ، وتنشيط العمليات الحيوية للجسم .

وأوضح شلبي - في تصريح لوكالة أنباء الشرق الأوسط اليوم - ***إن أحدث الأبحاث كشفت عن مساهمة الصيام في علاج العقم وتنظيم دورة الحمل للمرأة ، مشيرا إلى أن التقليل من حجم الماء داخل الأوعية الدموية يؤدي إلى تنشيط الآلية المحلية بتنظيم الأوعية وزيادة إنتاج البروستا جلاندين، والذي له تأثيرات عديدة وبجرعات قليلة؛ إذ إن له دوراً في حيوية ونشاط خلايا الدم الحمراء، ودوراً في التحكم في تنظيم قدرة هذه الخلايا لتعبر من خلال جدران الشعيرات الدموية.***

وأضاف إن بعض أنواعه له دور في علاج العقم، حيث يسبب تحلل الجسم الأصفر، ومن ثم فمن الممكن أن يؤدي دورا في تنظيم دورة الحمل عند المرأة، كما يؤثر على عدة هرمونات داخل الجسم، فيذبه إفراز هرمون الرنين وبعض الهرمونات الأخرى مثل الهرمون الحاث للقشر الكظرية وغيره.

كما أشار إلى أن العطش أثناء الصيام له فوائد عديدة بطريق مباشر أو غير مباشر نتيجة لزيادة مادة البروستجلاندين، حيث يمكن أن يقوم بتحسين كفاءة خلايا الدم ، وحماية الجسم من قرح المعدة ،والمشاركة في علاج العقم، وتحسين الذاكرة وتحسين آليات عمل الكلى.

وقال: إنه ثبت العلاج بالصوم لعدد من الأمراض المزمنة مثل الربو، حساسية الصدر، الالتهاب المزمن للشعب الهوائية وبعض أمراض القلب والروماتيزم، والتهاب المفاصل، والتهاب الأوردة المزمن، وقرحة الدوالي وحب الشباب وارتفاع الكوليسترول في الدم وعسر الهضم وسوء الامتصاص والتهاب القولون المزمن ومرض البول السكري والتهاب الجيوب الأنفية المزمن والتهاب اللوزتين المزمن والسمنة وكذلك الوقاية من أخطارها.

وأكد أن جميع القوى العضلية والفكرية تتحسن أثناء الصوم ، كما تتحسن القوى المعنوية كالعاطفة والمحبة تحسناً ملحوظاً بفعل الصوم ، لافتا إلى أن الصوم لفترات قصيرة يزيد من قدرة الطلاب الذكائية والفكرية ، وتجعلهم أكثر قدرة على استيعاب دروسهم ، كما أثبت أن للصوم فائدة في تحسين أعضاء الحس والشعور؛ فقوة الإبصار تزداد خلال الصوم ازدياداً ملحوظاً، وكذلك حاسة السمع، والذوق، والشم.

وعلى ذلك اذا اعتبر هذا العلماني ربط الصوم بالعلم لصالح العلم تسويق للعبادة ، فإن ما يفعله هو ايضا ربط نفس هذا العلم ضد صالح الصوم للتسويق ضد العبادة ، أو للتسويق للإلحاد الذي تنطبق عليه كلمة تسويق بجدارة وهذا هو شأنه دائما ، لا يطيق ان يرى احدا ملتزما بدينه او مقتنعا به او فخورا او سعيدا بهداية الله له فيعمد لتشويه هذا كله وتشكيكه في امره ، انسان مثله مثل سائر العلمانيين لا يطيق الآخر وتعصبهم ضد الدين يفوق تعصب اصحاب الاديان لأديانهم .

تحريم لحم الخنزير

في مقال له بعنوان دفاعا عن العقل لا عن الخنزير قال :

تحريم لحم حيوان لا يعنى تحقير ودونية هذا الحيوان، ومحاولة البحث عن تفسير علمى خلف هذا التحريم محاولة مكتوب عليها الفشل المزمن، فتحريم لحم الحيوان ذى الظلف وتحليل ذى الظلف المشقوق لا يعنى أن الجمل والماعز أفضل وأرقى من الحصان والحمار، وكذلك تحريم لحم الخنزير لا يعنى أن نخرج فى مظاهرة التحقير والشماتة والكيد الطائفى التى اجتاحتنا فى زمن الدروشة والبحث عن تفوق من خلال نصوص دينية وليس من خلال إنجازات وإضافات علمية حقيقية.

كالعادة الطريقة الخطابية في الكلام التي لا يقصر فيها على التلميح بما وراء ما يراه المسلمون من حكمة إلهية في تحريم لحم الخنزير ،من محاولة الكيد والشماتة التي تعكس التعصب الطائفي ضد من لا يحرم عندهم لحم هذا الحيوان ،ولابد ان يكون سيادته هنا المدافع والمناضل ضد هذه الميول الطائفية ، وأسأله ومن الذي قال إن الجمل والماعز أرقى من الحصان والحمار لأن الله حلل لحوم الأولى وحرم الأخيرة ، ،الله سبحانه وتعالى أقسم بالخيل في قرآنه الكريم في سورة العاديات ،والنبي الكريم يقول الخيل معقود بنواصيها الخير ،والله تحدث أيضا عن نعمته في خلق الخيل والبغال والحمير لركوبها وزينة ،ولم نرى من يحتقر هذه الحيوانات لأن أكلها محرم هكذا يخلق الدكتور موضوعا لا أصل له يناضل في قضية غير موجودة اصلا، ومع ذلك فالموضوع يا حضرة الدكتور يختلف بالنسبة لتحريم لحم الخنزير ،هناك سبب بل أسباب علمية لتحريمه ولعلم حضرتك القرآن الكريم نفسه ألمح إلى هذا ،فهؤلاء الذين تدعي انك تراجعهم بالعقل هم أعلم منك بقرآنهم ،وبالأسباب العلمية الحقيقية وراء التحريم

لحم الخنزير لا يمثل لى مشكلة شخصية لأننى لم ولن أتناوله، ولكن ليس لى هذا الموقف العدائى الرهيب ضد الحيوان نفسه، فأبناء جيلى يتذكرون الحصالة القديمة التى على شكل خنزير والتى كانت من مقتنياتنا المفضلة، ومس «بيجى» شخصية كارتونية محببة للأطفال، ودراستى الطبية علمتنى أن أهم حيوان خدم الطب هو الخنزير، لأن نسيجه أقرب الأنسجة إلى الإنسان، ومن خلال هذه القرابة وهذا الشبه أجرينا عليه اختباراتنا المعملية قبل تجربتها على الإنسان، وأخذنا منه الأنسولين والذى هو من أفضل الأنواع قبل اكتشاف الأنسولين البشرى بالهندسة الوراثية، وكذلك الكالستونين لعلاج هشاشة العظام، ومن المحتمل جداً أن هذا الشامت والكاره قد أهداه الخنزير صماماً فى القلب وأنقذ حياته وحينها لم يرفض لأن الشىء لزوم الشىء، وهو يعرف جيداً أن أفضل الصمامات تؤخذ من الخنزير!.

كلام سفسطة لا معنى له ،فوجود مشكلة لك مع لحم الخنزير او عدم وجودها لا يهمنا في قليل او كثير ،وموضوع الحصالة ،هناك ايضا سوار على شكل ثعبان كانت النساء تلبسه

أما حديثك عن استخدام الخنزير في التجارب العلمية ، فأذكرك أن الفئران أيضا تستخدم لهذا الغرض ،وعن كونه كان مصدرا للأنسولين ،وعن استخدامه في الحصول على صمام للقلب ،واستخدامه في الحصول على مركب لعلاج هشاشة العظام فهو مع الأسف ليس موضوعنا هنا ،الذي حرمه القرآن هو أكل لحم الخنزير فلماذا تصر على الخروج عن النص !

ويقول :

أحياناً «يتفذلك» البعض ويحاولون إلصاق كل الرزايا والخطايا الصحية بلحم الخنزير، بداية من الدودة الشريطية وانتهاء بأن لحم الخنزير يجعل الرجل ديوثاً أى لا يغار على امرأته!!،

والرد بسيط، فإذا كان لدى الخنزير دودة التينيا سوليم، ففى البقرة التينيا ساجيناتا، وإذا كان الخنزير يتغذى على القمامة، فأتمنى أن يذهب الإعجازيون فى رحلة إلى حظائر الخنازير الخمس نجوم فى الخارج ليشاهدوا أنها تتفوق فى نظافتها على مساكن العشوائيات التى تعد بعشرات الآلاف فى بلادنا، ومن عاش فى الريف مثلى لابد أنه قد شاهد ماذا تأكل الدواجن

وهى تسـرح أمام البيوت، والتى أحياناً تقتات بالفضـلات.. وهذا تعبير مهذب حتى لا تصـابوا بالقرف!!.

د. اسمح لي ان اقول لحضرتك ان معلوماتك بسيطة جدا وسطحية أيضا

فأولا القرآن الكريم لم يكتف بتحريم اكل لحم الخنزير كأمر إلهي واجب الطاعة وكفى ولكنه أوضـح العلة فقال سـبحانه وتعالى : **(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْـــفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْـــقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيم** [سورة الأنعام 145]

الله توقف فقط من بين هذه المحرمات عند لحم الخنزير ووصـــفه بأنه رجس ،اي نجس غير طاهر

انا هنا ســأعرض رأي أحد المتخصــصــين المســلمين علميا ،اســتاذ في كلية الطب البيطري بأسيوط وحائز على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم البيولوجية 2002

أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بتركيا 1432هـ - 2011م

أ.د/ حنفى محمود مدبولى

رئيس قسم الفيروسات بكلية الطب البيطرى جامعة بنى سويف – مصر

ليسانس أصول الدين قسم التفسير – جامعة الأزهر 1999

جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم البيولوجية 2002

ملخص البحث

حرم الله عز وجل لحم الخنزير وذلك من قول الله تعالى:(قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام:145) . وبين ربنا عز وجل وهو العليم الخبير أن العلة فى تحريم لحم الخنزير هى (إنه رجس) أى نجس ، ضار ومؤذ ونتن وهذه علة ذاتية قائمة لا تنفك عن لحم الخنزير أبدا . وهذا يبين أن العلة فى التحريم ليست عارضة أو مكتسبة . والعلة العارضة كأكله القاذورات والقمامة وهذا يحدث فى بعض البلدان دون غيرها لأن الغرب يطعمون الخنازير أعلافا طيبة ويربونها فى حظائر نظيفة مغلقة ومكيفة وهنالك تنتفى هذه العلة العارضة. كما أن العلة أيضا ليست مكتسبة تزول بزوال سببها كإصابته ببعض الأمراض الطفيلية والبكتيرية والفيروسية لأن كل هذه الأمراض مكتسبة ومن الممكن السيطرة عليها إما بالعلاج بالمضادات الحيوية ضد مسببات هذه الأمراض أو باستخدام اللقاحات وهى الآن شائعة وتستخدم على نطاق واسع وبذلك تنتفى هذه العلل المكتسبة . وبإنتفاء العلة العارضة أو العلة المكتسبة ينتفى الحكم وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى الذى يتلى إلى أن تقوم الساعة. وبذلك تبقى العلة الذاتية التى لا تنفك عن لحم الخنزير فى كونه نجساً وضاراً ومؤذياً لمن يأكله هي الأصل فى بقاء الحكم الشرعي

وقد تحققت نجاسة لحم الخنزير كما تحقق الضرر من أكل لحمه من خلال الأبحاث العلمية العديدة وهذه بعض نتائجها

1. أن الخنزير حيوان سبعى له أنياب يأكل الجيف والفئران ولو سمحت له الفرصة لأكل الأطفال لأكلها وهذا عكس الأنعام تماما فهى بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب والكلأ فقط

2. أن عدم وجود انزيمى Xanthin oxidase &Uricase فى بلازما الخنزير وقلة وجوده فى الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك فى أنسجته فالخنزير يتخلص من 2% فقط من هذا الحمض والباقى يختزن فى جسده وهذا عكس الأنعام فهى تتخلص من حمض البوليك بكميات كبيرة لوجود (Xanthin oxidase فى بلازما الأبقار وهو يقوم بتكسير حمض البوليك إلى آلنتوين والذى يفرز فى بول الأبقار بكميات عالية جدا وبالتالى تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالى اللحم فيكون لحم الأبقار طاهرا طيبا . كما يوجد فى بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز (Uricase) والذى يقوم بتكسير حمض البوليك وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضا طاهرا طيبا

3. أن كثرة وجود حمض البوليك فى دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأن رجس

4. أن كمية انزيم اليوريكاز فى كلى الأبقار حوالى ستة أضعاف الموجود في كلى الخنازير

5. أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضـــا من حمض البوليك يجعل تراكم هذا الحمض فى لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل فى علة التحريم للحم الخنزير وهى أنه رجس وهذا من الإعجاز العلمى لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير

6. أن الخنزير يحتوى على 50% من لحمه دهنيات وأن هذه الدهنيات منها 38% دهون مشبعة تراى جلسريد ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوى على 6% فقط من الدهون وهى سهلة الهضم والأغنام تحتوى على 17% دهون أيضا سهلة الهضم وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم لخنزير

ما ينبه اليه هذا الدكتور المتخصص هنا ايضا انه بينما توجد الدهون منفصلة في انسجة الحيوانات الاخرى فإنها هنا توجد مختلطة باللحم مما يؤدي الى ارتفاع نسبة الكوليسترول عند من يتناولها

7. أن الخنزير يحتوى على كميات عالية من هرمونات النمو وهى تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير وهذا أيضا ضررا آخر محققا من تناول لحم الخنزير وعلة ذاتية على التحريم

8. أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام و هذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير

9. أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول المسبب للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوى على هذا الهرمون

10. وأن نسبة الكوليسترول فى لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما فى البقر، ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول فى دم الإنسان ،وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين ، ولاسيما شرايين القلب ، وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط ، وهو السبب الرئيسى فى معظم

حالات الذبحة القلبية " . وهذه أضرار شديدة بصحة الإنسان .

11. وتعتبر هذه الأضرار علل ذاتية للتحريم ويبقى الحكم ببقاء العلة ويكون الخنزير محرما على التأبيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

من خلال نتائج هذا البحث يتضـــح بيان الإعجاز العلمي فى حرمة لحم الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار التى موجودة فى لحم ودهن ودم الخنزير تجعل الخنزير محرما لذاته وليس لعلل عارضــة أو مكتســبة وهذا الذى بينه ربنا عز وجل من قوله (فإنه رجس) أي نجس ، ضــار ومؤذ ونتن ومن هنا يتضح وجه الإعجاز العلمى فى هذا النص القرآني لحرمة لحم الخنزير.

اعتقد ان في هذا الرد على حجة حضرتك في نظافة حظائر الخنازير في اوروبا ،اما ما ذكرته من اقتيات الدواجن في الريف على الفضــلات فلو كان لديك بعضــا من العلم الديني لعلمت انه في مثل هذه الحالة يحظر اكل هذه الدواجن الا بعد فترة من تغذيتها طعاما نظيفا ،وهذه معلومة يلتزم بها عامة الناس عندما يشترون دواجن من المزارعين

وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذى بلغ رسوله النبي الأمي بتحريم لحم الخنزير كما بلغ الرسـل الكرام من قبله بحرمة هذا الحيوان القذر النجس أبحاث المؤتمر العالمي العاشـر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بتركيا 1432هـ - 2011م

ولو قرأت بعض المعلومات عن الخنزير لعلمت ان لديه اسوأ جهاز هضـمي حيث يقوم بهضـم الغذاء في اربع سـاعات فقط بينما يسـتغرق هضـمه في الابقار نحو اربعة وعشـرين سـاعة مما يسمح بالتخلص من السموم ،كما ان الخنازير ليس بها غدد عرقية تساعد ايضا في التخلص من السـموم ،هل تريد ان ارد على موضـوع التعصـب الطائفي هذا من كلام ،الانبا شـنودة الراحل نفسه تعليقا على موضوع تناول لحم الخنزير فهل انت ملكي اكثر من الملك

فقد نصــح البابا شــنودة الثالث، بابا الإســكندرية، بطريرك الكرازة المرقســية، جموع الأقباط بالابتعاد عن تناول لحم الخنزير، مؤكداً أنه رغم عدم تحريم أكل هذا النوع من اللحم، فإن تناوله يتسبب فى إصابة الإنسان بالعديد من الأمراض.

وشدد البابا على موقعه الرسمى «فى الجزء الخاص بالأسئلة» سنوات مع أسئلة الناس: «***إن الخنزير ليس محرماً أو نجســاً، مثلما كان يعتبره العهد القديم، وذلك لأن المســيح أحل كل شىء من الطعام، ولكن خطورة أكل لحمه ترجع إلى أنه يحتاج إلى دقة متناهية فى طهيه،***

إضـافة إلى ضـرورة توقيع الكشـف الجيد على هذا اللحم بعد ذبحه، وذلك لأنه من الحيوانات التى تتناول القاذورات والمخلفات غير النظيفة، مما يتسبب فى نقل العديد من الأمراض».

وقال ايضا انه لم ولن يتناول لحم الخنزير

تحريم لحم الخنزير ليس اختراعاً إسـلامياً، فالدين اليهودى حرمه، وفى سـفر اللاويين والتثنية نقرأ عن الخنزير «من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسـوا»، ومن قبلهما الديانة المصـرية القديمة التى تنكر فيها سـت على هيئة خنزير وهو يقتل حورس المحبوب، وفى الأساطير الكنعانية قتل كبير الآلهة على يد خنزير برى، وكذلك قتل الإله أدونيس.

إذا كانت أفضلية الدين تحدد بأسبقية تحريم لحم الخنزير، فلا تلوموا من يخرج عليكم ويختار الديانة اليهودية أو الفرعونية أو الكنعانية بسـبب إعجازها العلمى فى تحريم لحم الخنزير!، ونرجو من الله أن يغفر لنا الصورة التى يرسمها خطباء المنابر له كمنتقم من البشر بأمراض الخنازير، والتى ينتقصـون بها من قدسـيته وجلاله وعدله، أسـتغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لماذا يتسم كلام د.خالد منتصر دائما باستخدام التعبيرات التي تنضح بروح العداء الشديد للإسلام وأهله ،تعبير اختراع إسلامي ،هل هذا تعبير يليق بإنسان يدين بالإسلام فعلا ويحترمه ،هناك بالقطع تعبيرات اكثر ادبا وكياسة واحتراما للدين وشريعته ولكن اشعر ان هذه الطريقة في الكلام تصور قول الله تعالى **" قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر "**

ثم تعبير افضلية الدين تحدد بأسبقية تحريم لحم الخنزير ،من الذي استخدم هذا المقياس لتحديد افضلية الاديان ،اذا كان الدين الاسلامي هو الدين الخاتم فمن الطبيعي ان ما يأتي فيه من احكام يكون تاليا او موافقا او مختلفا مع سبقه من احكام في اديان اخرى وعلى ذلك لا مجال لاستخدام هذا المقياس العبقري الذي ابتدعته ،ثم هناك شيئا آخر ،توافق الشرائع التي سبقت الاسلام معه في تحريم اكل لحكم الخنزير فاذا كانت كلها سـماوية اي من عند الله فما هو العجيب في هذا التوافق اذا كان هناك سبب علمي يستدعي وجوب هذا التحريم ،اما ما تقوله عن الفرعونية او الكنعانية ،وهي بالقطع ليست اديانا سماوية فاحب ان اذكرك ان الدين دائما كان سابقا على اي حضارة ،واذا وجد هذا التوافق بين القرآن والفرعونية في تحريم لحم الخنزير فليس لان القرآن قد اقتبس هذه الفكرة من هذه الحضـارات كما ربما تريد ان تلمح ، ولكن لان هذه الحضـارات في الاصـل هي التي اخذت الفكرة عن مصـدر ديني بعيد ،تذكر ان نبي الله ادريس كان يعيش ايضا في مصر ،ثم تذكر مرة اخرى ان اقتصار القرآن على التوافق مع التعليمات او الشرائع السـابقة والتي تحمل سـببا وبعدا علميا صـحيحا هو دليل على قدسـية القرآن وعلى إعجازه العلمي رغم كل سـفسـطتك !لان هناك الكثير والكثير من هذه الافكار التي لا تمت الى العلم بصـلة والتي ابتعد عنها القرآن تماما ،حاول ان تكون محايدا منطقيا بعيدا عن تحكيم الهوى وروح العداء للإسلام التي تشع من كلامك والتي لا تجعلني أصدق انك فعلا تريد من كلامك الدفاع عن العقل المزعوم او حتى عن الخنزير الذي لا ادري ما الذي يضـايقك حتى لو نظر اليه البعض بتحقير او استهانة طالما هذه النظرة لن تؤذي هذا الحيوان المظلوم في شيء ، بل

ولن يشعر بها ،ولكن اشعر ان ما تدافع عنه هنا هو علمانيتك التي تتعامل بمثل هذا العداء لكل ما من شأنه ان يزيد الناس ايمانا بدينهم وقرآنهم .

الفصل العاشر

معارك علمانية مصطنعة

بالطبع ليس الدكتور خالد منتصر وحده هو الذي يقود هذه المعارك ،ولكن يبدو أن من يملكون الأصوات العالية ،يتحكمون في مفاصل الدولة ،من بيدهم مفاتيح السيطرة على ثقافة العامة وعقولهم ،من الإعلاميين سواء مذيعي التليفزيون او الصحفيون غالبيتهم من هذا الفريق ، اليس من العجيب ان نجدهم جميعا يتبنون نفس المواقف ويتحدثون بنفس اللغة ،لا يمكن أن يكون السبب وراء ذلك هو حقائق تفرض نفسها ،لا يمكن تحت ظروف طبيعية ان تتفق آراء كل هؤلاء ،بل الطبيعي ان يكون هناك وجهات نظر متباينة ،خصوصا اذا كان الموضوع لا يحتمل هذا الاتفاق ،وهذه نماذج من هذه المعارك :

أعرف العلماني بمجرد أن يطعن على الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله ،و الطعن والقدح في كلام هذا الشيخ الجليل المعروف بتعمقه في محاولة فهم آيات القرآن الكريم ،يكاد يكون عرفا أو اتفاق بين كل من يدينون بالعلمانية ويدافعون عنها ،وهم يصطنعون الغيرة على الوطن والدين أيضا ،ولا أعني بكلامي هذا إطلاقا ،أن كلام هذا الشيخ وتفسيره وفهمه لآيات القرآن هو حجة لا يجب أن يختلف أحد معه فيها ،ولكن مثل كلام أي مجتهد يتعرض لتحليل آيات القرآن عن علم ودراسة وإمكانية وقدرات خاصة وهبها الله له يمكن ان يخطئ فيه أو يصيب فهو ليس قرآنا ،ولكن ما أعنيه بالتحديد هو انتقادهم الشديد على وجه الخصوص لتفسيره للآيات القرآنية التي تتعرض للمسيح عليه السلام وما يتبع ذلك من إشارة تمليها الضرورة إلى الاختلاف بين العقيدة الإسلامية وما يعتقده النصارى عن المسيح ،وهو اختلاف جذري وعميق ،وكالعادة يتخذون هذا مدخلا لاصطناع الدفاع عن الأخوة المسيحيين شركائنا في الوطن ،بطريقة توحي أن الشيخ الشعراوي يؤجج للفتنة الطائفية ،هذا الهجوم على الشيخ الشعراوي بهذا الخصوص والذي الغرض منه ظاهريا هو نصرة الاخوة المسيحيين من ظلم يقع عليهم من المسلمين حزب الأغلبية العددية التي لا ينكرها أحد يتكرر في مواقف أخرى ،ومما يؤسف له أن بعض من ينتمون الى الدين المسيحي تنطلي عليهم هذه الممارسات ولا يدركون ما وراء ها ،لا يدركون حقيقة توجهات هؤلاء الأشخاص الذين لا يقصرون في

اســتخدام كل مناســبة للتظاهر بحربهم على ما يريدون ايهام الجميع انه يؤجج ويشــعل الفتنة الطائفية بينما في الواقع حربهم وعداؤهم هو على كل ما له طابع ديني إســلامي أو مســيحي وعلى هذا فهم لا يرون وســيلة خير من ضــرب هذا بهذا مدعين ومتظاهرين انهم يطهرون الجروح حتى لا تلتئم على قيح وصـديد ولكن مع عداؤهم لكل ما يمت لأي دين بصـلة لا يمكن ان ننكر ان حربهم المسعورة اوضح ما تكون ضد الاسلام ،اما ما يخص المسيحية فالأمر لا يتخذ هذا العداء السافر واخلأسباب هي

أولا لأنه كما قلت الدين الإســلامي في مصــر هو الأظهر لأن الافراد المنتمين اليه هم الأكثر عددا ،والأعلى صوتا

ثانيا لأنهم يريدون أن يرسـخوا فكرة اضـطهاد المسـلمين للمسـيحيين بصـفتهم الأقلية المظلومة والمقهورة ،والتظاهر بالدفاع عن هذه الأقلية ضــد الأغلبية الظالمة يقتضــي أن يكون الهجوم على ما يرسخون له انه من مظاهر هذا الاضطهاد هو أشرس وأعتى

ثالثا ،أما الســبب الثالث فهو ســبب علمي يخص الاختلاف بين العقيدة الإســلامية والعقيدة المسـيحية ،فالدين الإسـلامي منهج حياة يقتضـي التدخل في سـلوكيات الإنسـان وتصـرفاته في الأمور الدنيوية لأن المسلم يعلم أنه يسجل عليه كل ما يفعل بل كل ما يلفظ من قول ،وسيحاسب على مســتوى مثقال الذرة أي الهبأة ،وأنه لا تحمل نفس وزر نفس أخرى ،وهذا التدخل الديني في شـئون الدنيا هو على وجه الخصـوص ما تناصـبه العداء هذه العلمانية بشـدة ،هم يريدون تهميش الدين لأقصــى درجة ،ولذلك يصــمون بالتخلف والتراجع الحضــاري كل اعتبار ديني لسـلوك دنيوي ،وهم يلقون على الدين وحده مسـئولية ما نحن فيه من تخلف وأوضــاع متردية ،أما في المسيحية فالأمر ليس بهذه الصـورة على عكس الاسـلام الايمان هنا هو اسـاس العقيدة المســيحية بينما القرآن دائما يقرن الإيمان بالعمل فيقول الذين آمنوا وعملوا الصــالحات ،في المسيحية هناك فكرة الخلاص وهو ان المسيح عليه السلام قد صـلب واريق دمه ليفدي البشـر من الخطايا وعلى هذا فمن يؤمن أن المسيح هو مخلصه فهو مسيحي حق ولست اعني هنا من حديثي حتى لا يســتغله امثال هؤلاء الذين لا يكفون عن الاصــطياد في الماء العكر ،أن الدين المسيحي لا يحض على عمل الصالحات وتجنب الذنوب ،فقط الشريعة ليس لها وضع هنا كما في الاســلام فحســب علمي اعلم ان القديس بولس قد قام بإلغاء الشــريعة واعلاء فكرة الايمان بالخلاص .

والحقيقة أن من يتأمل ســلوكيات هؤلاء العلمانيين الذين ســأتخذ د. خالد منتصــر نموذجا لهم ،يرى أنهم عندما تحين لهم الفرصــة لا يتوانون في الهجوم على ســلوكيات المســيحيين عندما تكون لها طابعها الديني ،لا يستطيعون منع انفسهم عن النقد والتصدي لما له دافع ديني وراءه ،ليعلم من يريد ان يعلم الحقيقة المجردة كما هي ان تعصـب هؤلاء وتحيزهم وغضـبهم وتعلقهم بعلمانيتهم ورفضهم لفكرة الدين كدين يفوق تعصب اصحاب الاديان لدينهم وسأوضح هذا من

تعبيراتهم ،وطريقة تناولهم للأمور التي تعكس حقيقة تغاير تماما ما يريدون ان يلقوه في روع الآخرين انه انتصار للعدل والمساواة ،وتكافؤ الفرص ،والتقدم والمواطنة وحقوق الانسان !

وهذه أمثلة من هذه المعارك المصطنعة التي يخوضونها بطريقة لا يمكن انكار أنها متفق عليها

قامت القيامة ولم تقعد عندما ظهرت دعوة او فكرة تذكر بموضوع اهمية الصلاة على النبي ،،ظهرت في صورة ملصقات تقول هل صليت على النبي اليوم ،ومع ان الموضوع لا يبدو بكل هذه الخطورة ،ومع أنها فكرة طرأت على بال أحدهم لن تلبث أن تتوارى وراء أفكار أخرى ، ربما يريد من ورائها كسب بعض الحسنات اتباعا لقول النبي عليه الصلاة والسلام من دعا الى حسنة فله اجرها واجر من اتبعها لا ينقص ذلك من اجورهم شيء ،يمكن ان تكون هذه هي النظرة الطبيعية المفروضة ولكن قامت الدنيا ،الجميع يتحدثون بنفس الأسلوب والطريقة وكأنهم جميعا قد تم برمجتهم على نفس رد الفعل هذا ،وكأننا على أبواب حربا عالمية ثالثة بين المسلمين والمسيحيين في مصر ،ولا أظن أن أحدا من المسيحيين قد اشتكى ولو فعل فليس لديه حق ان يفعل ،ولكن هؤلاء المدافعين ضد اسباب الفتنة الطائفية في مصر والتي لابد ان تتمخض عنها مثل هذه الدعوة انبروا بنفس الكلام في كل قناة تليفزيونية وفي كل صحيفة وكأن الواجب الوطني يحتم على الجميع ان يدلي كل بدلوه هنا ،نحن جميعا نحب النبي ونصلي عليه ،فما الداعي لهذه الدعوة ،وماذا لو دعا المسيحي اقرانه لدعوة مثلها لابد ان الحرب الأهلية ستشتعل في مصر بين مسلميها ومسيحييها ،ولماذا ملصقات في السيارة وهذا ممنوع وكأنهم لم يشاهدوا مثل هذه الممنوعات قبلا او كأنهم المكلفون بتنفيذ قانون منع الملصقات في السيارة ،لم يخرج واحد منهم برأي مخالف مع ان الاختلاف على اتفه الاشياء يكاد يكون عرفا في مصر ،لماذا كل هذه الضجة المصطنعة ،التي لا يمكن ان تكون بمثل هذا الاتفاق في دولة متحضرة يفكر فيها كل بعقله تفكيرا مميزا عن غيره ،لماذا ونحن تعودنا مثلا عند دخول محلات الصاغة التي فيها نسبة تكاد تكون متساوية بين المسلمين والمسيحيين ان نجد فيها المسيحي يعلق صورة المسيح وتحتها عبارة الله محبة والمسلم يعلق في محلة آية قرآنية ،ولم تقم الحرب ولم تشتعل بين المسلم والمسيحي واعتاد الناس ان يخرجوا من هذا المحل الى المحل الآخر وليس لديهم من دافع سوى تحقيق المصلحة الشخصية في اي منهما ،

مثال آخر مرة واحدة قامت الدنيا من أجل تفسير آيتين في سورة الفاتحة

غير المغضـــوب عليهم ولا الضـــالين ، مع أن الآية تعني عموم المغضـــوب عليهم وعموم الضـــالين ولكن هناك بعض التفســـيرات تقول إن المقصـــود بالمغضـــوب عليهم هم اليهود ،والمقصـود بالضـالين هم النصـارى ،من الذي يشـعل الفتنة الطائفية هنا ،من يرون هذا التفسير أم هؤلاء الجهلاء الغيورون على بلادهم من خطر الفتنة الطائفية ،هذه التفسيرات موجودة من قرون فما الذي ذكرهم بها ولماذا التفتيش والتنقيب والصـيحات المتعالية وكأن هذا التفسـير هو الســـبب وراء ما يحدث في البلاد أحيانا من قبل بعض المتعصـــبين الذين لا يفهمون روعة وسماحة دينهم وتقبله للآخر والأزهر كل عمله هو دفع الاتهام دائما هو في موقف المدافع ضد هذه الهجمات ،لم نعد نعمل مثل هذه التفسيرات ،إجابة متخاذلة ، تعطي هؤلاء الفرصة للمزيد من اللعب على هذه الأوتار ولنناقش الموضوع بهدوء وبموضوعية

هنا في مصر يوجد من يدينون بالإسلام ومن يدينون بالمسيحية ،وطالما هناك شيء اسمه ديانة اسـلامية وأخرى اسـمها ديانة مسـيحية فلابد أن هناك فروق جوهرية بين الديانتين ،ولما كانت الديانة موضـــوع عميق جدا وعلى اعلى جانب من الأهمية ،أهمية تتعلق بمصـــير الإنســـان في عالم أبدي فلابد ان كل ديانة تحدد لمتبعيها مفهوم الإيمان بها ،الفكرة عن الإله ،وحدانية مطلقة ،ام ثالوث ،هل المسـيح هو فقط نبي كريم ان هو اله او ابن اله ،هل هناك صـلب وفداء لخطايا البشر المؤمنين بأن المسيح صلب من أجلهم ،ام ان المسيح لم يصلب ولا يوجد شيء اسمه فداء او خطيئة اصلية ورثها الناس عن آدم وكل إنسان مسئول عما اقترفت يداه ،فروق على مستوى القمة ،من يؤمن بفكرة منها يكون هو المؤمن حســـب الديانة التي تتبنى الفكرة فهذا هو مفهوم الإيمان عنده وعلى ذلك فمن الطبيعي والمفهوم تماما أن يكون تابع الديانة الأخرى التي تتبنى افكارا مناقضـــة كافرا ،فالأمر لا يحتمل إلا هذا الوصـف ،فعبارة تكفير المسـيحي التي ما فتئ هؤلاء العلمانيون يتناولونها وكأنها وصـمة يوصـم بها المسلمون الذين يرون المعتقد المسـيحي كفرا تدل على جهل شـنيع ،لأنها أولا هذه النظرة إلى الديانة الأخرى منطقية تماما ،وثانيا هي موجودة عند كل من يؤمن بديانة تجاه اصـحاب الديانة الاخرى ،التكفير إذا منطقي ويحدث بين المسلمين والمسيحيين على قدم المساواة ومن يشك في هذا فلينظر الى المواقع المسيحية وكيف ينظر اصـحابها الى الاسـلام ومن يدينون به ،وعلى هذا فمن غير المفهوم تماما هذا الإصـرار على النظر الى المســـلمين على انهم المعتدون والمخطئون في حق الآخر وأن الآخرون هو الطرف المظلوم والضـــحية ،وعلى ذلك فلا مجال هنا للتظاهر بالانتصـــار للجانب المظلوم والغضـب له ،ما أراه هو أنه كعادة هؤلاء طالما موضـوع الدين من أسـاسـه لا يمثل لهم أهمية فهم يعمدون الى ضـــرب كل طرف بالطرف الآخر ،وبعض الســـذج من ذوي النوايا الحســـنة ينساقون وراءهم

وعلى ذلك أفهم تماما ان تكون صفة الضلال منطبقة على من يخالفونني في العقيدة لأن عكس الضلال هو الهدي فطالما ارى ان عقيدتي هي الهدى فلابد أن الأخرى ضلال ولابد ان هذا هو حالي ايضا مع اتباع الديانة الأخرى والقرآن نفسه حمل هذا الوصف فقال

:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) المائدة 72

(لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) المائدة :73

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) المائدة :77

الله هنا يصف الذين يقولون إن الله هو المسيح بن مريم والذين يقولون إن الله ثالث ثلاثة بالكفر ،واستخدم لفظ الضلال ثلاث مرات في آية واحدة واصفا من يعتنقون مثل هذه الأفكار وناصحا أهل الكتاب بالتخلي عنها

وعلى ذلك فالتفاسير التي ترى ان المقصود بالضالين حسب سورة الفاتحة هم النصارى حسب سورة المائدة لم يأتوا بها تعنتا ،أو بسبب ضيق افق ولكنهم يستندون على آيات قرآنية

والآن ما الذي أغضب هؤلاء العلمانيون المتعالمون ،هل أمرت سورة الفاتحة بقتال الضالين أو إيذائهم ،أو الانتقاص من قدرهم بأي صورة ،كل ما في الأمر ان هذا دعاء من العبد إلى ربه أن يهديه الطريق المستقيم الذي من الطبيعي انه يرى انه في عقيدته ويجنبه اتباع طرق الضلال التي لابد ومن الطبيعي ان تكون في عقيدة غيره ،ما هو العدوان على الآخر الذي يريدون دفعه ،ما هذه الغضبة المصطنعة ،هل لو دعا مسيحي ربه مثلا ان يثبته على اعتقاده بألوهية المسيح والصلب والفداء والا يصبح مثل هؤلاء المسلمين الضالين المختلفين معه في اعتقاده ,ماذا في ذلك ، وهل يمكن ان اصدق ان هذا لا يحدث بالفعل ، وما هو الضرر الواقع

علي ،لماذا كل هذا التناول الاحمق المغرض ،ولكن ديني يأمرني كيف اتعامل مع الآخر الذي يختلف معي في مفهوم الكفر والايمان القرآن يقول لكم دينكم ولي دين ،فليؤمن كل انســـان بما يشـــاء والقرآن يأمرني بالتعامل مع الآخر بالعدل والتســـامح طالما ان الآخر لم يترجم اختلافي معه في العقيدة الى عمل عدواني ضدي يقول

(لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) سورة الممتحنة 8:

الرسـول عليه الصـلاة والسـلام امر بالوقوف إذا مرت امام المسـلم جنازة يهودي او مسـيحي ،القرآن وقف في آيات عظيمة مع يهودي ضد أنصاري لأن اليهودي كان صاحب حق ،القرآن يأمرنا ألا نترجم عداءنا لأحد إلى ظلم ،بل يجب العدل مع من نحبهم ومن نكرههم

المشـكلة بين المسـلم والمسـيحي في مصـر يسـاهم فيها بقدر محترم هؤلاء الجهلاء المتعالمون ،يجب على كل واحد أن يدرس جيدا ويعرف عقيدته من أهل الذكر الذين امرنا القرآن بسؤالهم ،ويجب أن يعرف فيم تختلف عقيدته عن عقيدة الآخر ويجب أن يعرف حدود ما تؤدي اليه هذه المعرفة ،ليس تعاليا على الآخر أو هجوم عليه أو ظلم له ،ا ليس من حقي وان كنت على يقين ان ديني هو الحقيقي وأن صـــاحب الدين الآخر على ضـــلال وهذا أمر كما ذكرت متبادل ،أن أجاهر بنعت الآخر بالكفر أو الضـــلال ،لان القرآن يقول لكم دينكم ولي دين ،ولأن الله خص نفسه وحده بالحكم بين الجميع في هذه القضية حين نعود إليه سبحانه وتعالى ،أنا أعلم تماما ما تعتقده صـديقتي المسـيحية في ديني وفي نبيي وفي كتابي المقدس القرآن ،ولكن هذا لا يمنعني من التعامل معها بما يرضي الله وبما امرني به طالما لم تترجم هذا الى عمل عدواني ضدي ،

،لأن كل ما تراه في ديني ونبيي وقرآني هو شـــيء يخصـــها هي بالكامل ،هي وحدها التي ســـتتحمل تبعاته ،هذه الامور لن تحل الا من خلال فهم حقيقي للدين وأنه كما أن معتقد أي إنســـان في دينة وعقيدته وعقيدة الآخرين ليس مجال مجاملات ولا تنازلات ولا حلول وســـط ،فإنه أيضـا ليس مجال للتعالي وفرض الوصـاية على الآخر ومعتقداته وليس مجالا أيضـا لدس

انف اي علماني متعصـــب ضـــد الأديان كلها أن ينقب ويفتش في مناهج الدين او كتبه طالما تقتصـــر على المعلومة الدينية ولا تدعو الى اعلان الحرب على الآخر وعلى ذلك بدلا من هذه الصـيحات المتخلفة التي تطالب بتقليص مناهج الدين يجب على العكس ان تكون في زيادة لأن الإنسـان إذا لم يحصـل على معلوماته الدينية من مصـدرها المفروض سـيحصـل عليها من اي مصـدر مشـوش ،متعصـب تعصـبا أعمى بعيدا عن الدين وحقيقته وروحه الجميلة ،يجب ان يكون من يقوم بتدريس مادة الدين على قدر من الفهم العميق لدينه ويجب أن يحترم سـن التلميذ المتلقي فلا يدرس له الا ما يناسب سنة ،وعلى هؤلاء العلمانيين اعداء الدين والمشـعلين حقيقة للفتنة وهم يصطنعون اخماد اوارها ان يبتعدوا حتى نهدأ

مشـكلة مصـطنعة أخرى ،مشـكلة الخمار او ما يطلقون عليه الحجاب ،غطاء الرأس الذي يأمر القرآن به ،لو قررت مسـلمة أن تلتزم بتعاليم دينها وأن ترتدي الحجاب فما شـأن الأخرى الذي لا تريد ارتدائه ،ولماذا المناطحة والمجادلة في صـحة فرضـية الحجاب ،لنفترض أن مسـلمة تفهم من آيات القرآن وحسـب ما أجمع عليه جميع علماء الدين فرضـيته (وقد رأيت بنفسـي شـيخا أزهريا يتحدى واحدة من صـاحبات الأصـوات العالية التي تزعم أن بعض الفقهاء لا يرونه ،كانت السيدة إقبال بركة انها اذا أثبتت ذلك فسيقوم بخلع لباسـه الأزهري ولن يمارس وظيفته بعد ذلك ،ورأيتها تفشل ،ومع ذلك لم تكف عن مهاجمة الحجاب ومن يرتدونه ،لم يجبر احد اي سـيدة او فتاة على ارتداء الحجاب ،من لا تريد ارتدائه عن قناعة بعدم فرضـيته ،أو اتباعا لهوى نفسها مع المجادلة بالباطل فلتقتصر ذلك على نفسها ،إذا لم يعين الله احدا وصيا أو حفيظا على احد فيما يخص احترام أوامره ونواهيه ،فالأحرى انه ليس من حق أحد إعلان الوصـايا على غيره فيما هو بالقطع ليس له مردود ديني ،اما التعلل بالتقدم والتأخر ،وظلم المرأة ،والنفاق الذي يصـم به د. خالد كل من تلتزم بغطاء شـعرها ،فهو لا يخرج عن تدخل سـافر مرفوض في شـئون الآخر وفي نواياه الداخلية ، تحت سـتار هذه الادعاءات وأريد أن أسأل ما هو على وجه التحديد هذا التقدم الذي أحرزته هذه السيدة السافرة التي ترتدي ملابسها على أحدث موديل، ،الطريقة التي يجادلون بها تدل على جهل شنيع بمفهوم الشريعة ،هذه السـيدة التي لم تكن اصـلا منتمية إلى الإسـلام ثم اعتنقته لأسـباب أبعد ما تكون عن العمق والموضـوعية، لا تكف عن الهجوم على فكرة الحجاب ،وكل احاديثها لا تخرج عن اسـباب خطابية جوفاء ،ما هذا الشعر ،ماذا يمثل ،حتى لو قمنا بقصه فلن نشعر ولن نتألم! ،التي ترتدي الحجاب تشـعر في نفسـها انها أفضـل مني! ،هكذا نحن نتهم الرجال في أخلاقهم !هذه السـيدة التي لم تكن في الأصل مسلمة تشعر بأنها الأجدر أن تعلم المسلمين دينهم و لو سألها أحد ،ما الفارق بين الديانة المسيحية التي كانت عليها والاسلام الذي اعتنقته ،سيجدها على جهل مخجل ،انا لا افتري هذا الكلام عليها فمن ضـمن صـيحاتها الخطابية العالية تذكر انها دخلت الإسـلام اعجابا بعدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وليس اعجابا بذقنه! ،وكأنها هكذا تضرب بنفسها مثالا يحتذي في عمق التفكير والبعد عن السـطحية والمظاهر ،ولو فهمت لعلمت أن تغيير

الديانة هي أخطر قرار يتخذه الإنسان في حياته ،والذي لابد ان يقوم على اسس متينة جدا من القناعة التامة بالعقيدة الأخرى التي انتقل اليها ،لان الفرق بين الديانتين هو فرق على مستوى القمة ،الفرق بين مفهوم الايمان والكفر في كل منهما ،اما الدخول في الاسلام بسبب الاعجاب بشخصية انسان منتمي اليه فهو قمة السطحية ولا يختلف كثيرا عن الاعجاب بذقنه !لأن هناك ايضا شخصيات تدعو الى الاعجاب بها حتي من بين من لا يدينون بدين ،كما انه في الاسلام ايضا ولتسأل الدكتور خالد منتصر شخصية مثل شخصية المنصور الذي قطع يد ابن المقفع وشواها وأكله لها ،فهل يكون هذا مبررا لخروجها من الاسلام وهو ايضا ما يدعو اليه خالد منتصر من خلال علمانيته ، هؤلاء هم المسيطرون على ثقافة العامة في مصر ،الذين لديهم الأقلام التي يتحدثون بها في الصحف والألسنة التي ينطلقون بها في قنوات التليفزيون ،واصحاب الصيحات العالية والجرأة الشديدة ،حتى ان احدهم واعتقد انه بإيعاز من هذه السيدة فريدة الشوباشي حيث ينتمي بصلة القرابة لزوجها الراحل قد تبني دعوة الى خلع الحجاب في ميدان عام لتحرير المرأة كما فعلت السيدة هدى شعراوي عندما قامت بالدعوة الى خلع النقاب ،والحجة التي يتذرع بها هذا الجاهل انه في الستينات من القرن الماضي لم تكن النساء غالبا يرتدين الحجاب وليس من المعقول ان يدخل كل هؤلاء النار ،فكرة يتباهى انه وصل اليها بعقله المستنير! قمة الجهل والتفاهة والتدخل في شئون الغير بلا اي مصوغ ، الموضوع كله عبارة عن سيطرة هؤلاء على المواقع المؤثرة لا نكاد نرى مذيعة محجبة ،او صحفية ،أو وزيرة ،وعندما ينطق أحدهم بآية قرآنية فلابد أن تكون مليئة بالأخطاء ،الحقيقة نحن تحت الاحتلال العلماني الذي هو سبب كل ما نعانيه من تأخر وتخلف وسطحية .

معركة ما فتئت تخوضها هذه النخبة المتعالمة المتثاقفة ،التي فرضت نفسها على الساحة وأعلنت وصايتها على عقول الآخرين ،وهي موضوع خانة الديانة ببطاقة الهوية ،وموضوع المادة الثانية من الدستور والتي تنص على أن قوانين البلاد لا يجب أن تتعارض مع الشريعة الإسلامية مع الإقرار بحقوق أصحاب الشرائع الأخرى في احترام شريعتهم ،المعركة بالأنياب والأظافر والترويج ان وجود هذه الخانة في بطاقة الهوية وهذه المادة في الدستور هو السبب وراء كل هذا التردي ،والتخلف والفتنة الطائفية ،وغياب مفهوم العدل والمواطنة وتكافؤ الفرص ،ثم الترويج لفكرة أن وعي المواطن وتفتحه يقاس بموافقته او عدم موافقته على إلغاء هذه الخانة وهذه المادة ،سعي دؤوب وعزيمة لا تكل في سبيل محو الاعتبارات الدينية ،فهل فعلا هذه الحملات تعتمد على منطق وحجة ورغبة حقيقية في تقدم البلاد وازدهارها

بالنسبة لخانة الديانة ،هل فعلا هي السبب وراء الاحداث الدامية المؤسفة التي يرتكبها البعض والخاصة بالاعتداء على الكنائس وقتل الأبرياء من روادها ،وهي السبب وراء التمييز الطائفي بين المسلم والمسيحي في الوظائف والمواقع على فرض وجوده كما يصورون

بطاقة الهوية ،هي بطاقة صغيرة موضوعة دائما في حقيبة ،أو محفظة لا تخرج إلا للضرورة عندما يتطلب الامر التحقق من هوية حاملها ،وغالبا لا ينظر الطالب الى هذه الخانة ،الا اذا كان الامر متعلق بمسألة تخص الديانة مثل عقود الزواج او وظيفة لها طابع ديني ،المتعصب دينيا والذي يفهم ان عليه محاربة الطرف الآخر ليس في حاجة لان يطلع على هذه البطاقة ،كما انه لن يجد مثل هذه الفرصة ،فمن المؤكد ان الذي يتعبد داخل الكنيسة لابد ان يكون مسيحيا ،وأن الأتوبيس الذي يحمل زوارا لاحد الأديره لابد ان يحمل مسيحيين ايضا ،فماذا يعني إلغاء خانة الديانة ،لا أفهم أن السبب وراء هذه الصيحة إلا دعوة لاعتبار الدين ليس جزءا من هوية الإنسان تماما مثل كونه ذكرا أو انثى ،او من مواليد هذه المدينة او المحافظة ،وعندها كما يظنون فلن يكون هناك مجال للتعصب الديني المشكلة الكبرى اننا لا نستطيع مواجهة مشاكلنا بطريقة مباشرة بعيدا عن اللف والدوران المغرض ،السبب وراء كل مظاهر التعصب الديني ،هو ان الناس لا يفهمون دينهم ،اما كون الدين جزء من هوية الانسان فهذا حق يقيني وكل محاولة لإلغاء هذه الحقيقة لا يمكن ان يكون لها سبب غير تهميش الدين والقضاء على وجوده في حياتنا و هذا لن يؤدي الا الى المزيد من احداث العنف لأننا في حاجة الى اعمال الدين وليس تحجيم دوره ،لان الفهم الصحيح للدين هو الكفيل بالقضاء على هذه الظواهر المرضية

الدين جزء من هوية الإنسان في مصر نعم ولا شأن لنا بأوروبا ولا أمريكا ،الدين هنا يمثل موضوعا جوهريا في حياة الجميع مسلمين ومسيحيين ،ويوجد بين المسلم والمسلم وبين المسيحي والمسيحي علاقة خاصة يتطلبها وحدة الدين وهي علاقة لا توجد بين المسلم والمسيحي وعلى الجميع ان يقر بها ويتقبلها ويتفهمها ،وهي صورة من علاقات اخرى كثيرة بين اشخاص تجمعهم اهتمامات مشتركة مثل ظروف العمل ،او الايمان بفلسفة او فكرة ،او هواية ،اذا اضطررت للتعامل مع شخص جديد علي معرفته تعاملا يقتضي الاحتكاك وقتا طويلا فلابد ان اتعرف على دينه ،لأنه سيترتب على هذه المعرفة نوعا من التعامل الخاص للذي يفرض نفسه بعيدا عن اي تعصب ،وابسط صورة ان اتفق معه على لقاء بعد صلاة العصر ،او اسأله في درس ديني حضره ولم أحضره أو أراجعه من خلال الكتاب الذي يؤمن به كلينا في تصرف يقوم به منافيا لتعاليم هذا الكتاب مثل التعصب او ظلم او انقاص حق لشخص يختلف معنا في الديانة ، اما ان يكون الحل الالمعي هو اعتبار الدين ليس جزءا من هوية الانسان بما يعني تهميشه ،او اننا نقوم بالتعتيم على دين الجميع ،لا يلبس المسلم دبلة فضية ،لا تلبس المسلمة الحجاب ،لا يسمي احد مولوده باسم يدل على دينه يتيمن به ،ما هذا التخلف ،هذه الطريقة تحمل في اعماقها استهانة واستخفافا بعقول الناس ،ساعدوا على رفع مستوى التفكير والفهم بدلا من التعامل مع الناس على انهم بلهاء ،التعصب لا يقتصر على مصر ولا يقتصر على موضوع الدين ،في امريكا بلد الحريات على الرغم من ان هناك معاناة بالغة بسبب التفرقة العنصرية بسبب اللون ،ولم يطالب احد بان يرتدي الجميع ماسكات على

وجوههم ،ولكن التناول لابد ان يكون من خلال العقل والاقناع والمنطق ،هنا في مصر تعصب في تقلد الوظائف بسبب الجنس ،تعصب ضد النساء ومع ذلك لم يطالب احد بإلغاء خانة الجنس من الديانة

وعلى فكرة الدين حتى في البلاد العلمانية مثل أمريكا له اعتبار ،من بين رؤساء امريكا ال لم يوجد إلا رئيس واحد ينتمي إلى الكاثوليكية ،وهو الرئيس جون كينيدي وكان أحيانا يهاجم بسبب ذلك واضطر مرة للدفاع عن أمريكيته ضد كاثوليكيته قائلا انا امريكي وبالصدفة كنت كاثوليكيا ،وحتى الرئيس اوباما الذي ينتمي الى اصول مسلمة كان يهاجم بسبب هذه الأصول فيدافع عن نفسه بأنه قد اختار المسيحية وهو يدين بها الآن ،وعلى الرغم من ان عدد اليهود في امريكا يفوق عددهم في اسرائيل إلا اننا لم نر رئيسا أمريكيا يهوديا حتى الآن ، ،وفي بريطانيا تعتبر الملكة هي رئيسة الكنيسة هناك ،اي لها منصب ديني ، وعلى ذلك فأليس من الغريب ان نجد من بين هذه الصيحات من يتساءل ولماذا لا يحكم مصر رئيسا مسيحيا ،تحديد دين الرئيس في اي دولة لا يعتبر نوع من التخلف او التعصب ،المفروض ان الدين له اعتبار عالي ،ومنصب الرئيس هو منصب واحد من بين ملايين البشر الذين يحق لهم قانونا الجلوس على هذا الكرسي ،ولا يزعم أحد أن الرئيس المختار في كل مرة حتى ولو في أمريكا (ولننظر الى رؤسائها المتعاقبين حتى ترامب) هو فعلا أكفأ من يحتل هذا المنصب وهذا يعني انه اذا كان هناك شخص مسيحي اولى بهذا المنصب لكفاءته فهناك الآلاف ايضا من المسلمين الذين ينطبق عليهم هذا الكلام ،وفي البلاد التي يكون فيها المسلمون اقلية ،يخضعون الى نظم بلادهم وقوانينها ولم يطالب احد بانه مثلا من الممكن ان يكون رئيس الصين او اليابان مسلما ،في البلاد الديمقراطية الآسيوية الإسلامية التي بها انتخابات حقيقية يكون رئيس الدولة مسلما ،فلماذا هذه الضجة المصطنعة ،ثم ان من يريد خدمة بلاده وتفعيل كفاءته ليس من الضروري ان يكون رئيسا للبلاد فهناك مناصب كثيرة يمكن من خلالها اداء هذا الدور وهي مناصب لا يعترض احد على وجوب اتاحتها للمسلم والمسيحي ، اما التعصب الموجود فعلا الخاص بتفضيل المسلم على المسيحي او العكس فهذا موضوع لا يمكن القضاء عليه الا بالتثقيف والتنوير ،ومن خلال الممارسة الفعلية للديمقراطية ،والانتخابات التي يفهم فيها المواطن دوره ومسئوليته ،وان صوته لا يجب ان يشترى ببعض المال ،او السكر والزيت !

نأتي الى المادة الثانية من الدستور والاصوات العالية المطالبة بإلغائها واعتبارها وصمة عار في الدستور ودليل التخلف ,من الملاحظ أنه بالإضافة إلى العلمانيين الذين يتزعمون هذه الصيحة نجد أن غالبية المسيحيين في مصر يوافقونهم ،وان كنت افهم سبب اعتراض العلماني فأنا لا يمكنني ان اتفهم وجهة نظر المسيحي ،نعم الدين الإسلامي يختلف عن المسيحية في انه منهج حياة ،هناك شريعة ،والديانة لا تعني الايمان فقط ،ونعم المسيحية ترتكز اساسا على الإيمان ،ولكن لماذا الاعتراض على احترام الشريعة الاسلامية في عملية تشريع القوانين ،اذا

كان هناك قانون لابد ان يتبع من الجميع مسلمين ومسيحيين ،فالشريعة الاسلامية بالنسبة للمسيحي شأنها كشأن اي قانون آخر ،طالما انه لا تتعارض مع تعليمات تخص دينه وهذا امر لا يوافق عليه احد ،فلماذا هذا الرفض وهذه الروح المعادية ، وقف المسيحيون مع الأنبا شنودة الراحل عندما اعترض بشدة على السماح بالزواج الثاني بعد الطلاق وهو امر يذكر رجال الدين المسيحي انه ممنوع عندهم ،المسيح نفسه نهى عنه على قدر علمي ،والحقيقة حسب ما أفهم هذا حقهم ،ليس من حق اي انسان ان يضع قانونا وضعيا يتعارض مع قانونا الهيا يعتقد فيه البعض ،فلماذا لا يتفهمون ان هذا هو ايضا حال المسلمين مع شريعتهم التي لا يجب ان تتعارض معها القوانين الوضعية وهو ما تنص عليه المادة الثانية من الدستور ،اذا كانت الشريعة الاسلامية مثلا تقتضي ان يكون للزوجة ذمة مالية مستقلة عن الذمة المالية لزوجها وانه ليس مال الزوجة للزوج كما في القانون الفرنسي الذي كان يطبق ،فهل لمجرد انه حكم يتعلق بالشريعة يجب رفضه لان هذا اقحام للدين في موضوع دنيوي **!**، وهل لمجرد انه يوصف بالإسلامي فيجب على المسيحي أن يرفضه ؟الشريعة كما اذكر دائما لا يمكن ان تتعارض مع المصلحة الدنيوية لان من مقاصد الشريعة المحافظة على النفس والمال ،والنسل ،فهل يوجد مصلحة دنيوية اعلى من هذا ،ولكنها الارتكاريا التي تصيب هؤلاء العلمانيين عندما يذكر اي اصطلاح او اجراء يمت الى الدين بصلة ،كما ذكرت من اهم مظاهر المواطنة التي يدعون الاستنصار لها الا يمس احد وتحت اي مبرر او مسمى الاعتبار الديني الذي يمثل اقصى قدر من الاهمية بالنسبة لكل من له دين ، مسلما كان او مسيحيا والا يفتن احد في دينه او يعيش في صراع بين ما يأمره به دينه وبين قانون وضعي يتعارض مع هذا الامر ،ليس من حق اي انسان تجرد من هذه الاعتبارات ان يعين نفسه بلا مناسبة ولا منطق وصيا على من لا يزالون ينتمون الى دينهم .ويرونه اغلى ما يتمسكون بهم وخصوصا اذا كانوا يمثلون الأغلبية .

الفصل الحادي عشر

وما تشاءون إلا أن يشاء الله

أستاذ جامعي ممن ينتسبون إلى النخبة المثقفة ويذكر قبل اسمه وصف المفكر الكبير كانت المذيعة المرموقة في بداية حديثها تذكره بآراء بعض الناس فيه وأن منهم من يصفه بالإلحاد ،فنظر إليها نظرة مستنكرة تعني أن هذا الوصف هو من قبيل الاتهامات التي لا يكف من يصفهم البعض بالإسلاميين من إلصاقها بكل من يختلف معهم ،ثم في خلال حواره معها وبدون

مناسبة قال وبكل ثقة وبطريقة لا تخلو من حدة ،لا يوجد شيء اسمه وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ولا يوجد شيء اسمه وما تشاءون إلا أن يشاء الله فالإنسان له إرادة ،هكذا أقحم هذه العبارة في الحوار ثم استمر في سائر حديثه ،وأريد أن أعلق على كلامه وأعيد ما ذكرته سابقا

أولا أنت هكذا تكذب المعلومة القرآنية بكل إصرار عندما يقول القرآن عبارة تعلق عليها بقولك لا يوجد شيء اسمه ما ذكره القرآن ،هذا الكلام واضح تماما ولا يحتمل كلامك تأويله فيه ،كنت افهمك لو قلت والله انا لا افهم هذه العبارة القرآنية ،هل يوجد تعارض بينها وبين مشيئة الانسان وإرادته الحرة ،هذا لمن يحترم القرآن فعلا ،ولكن طبعا كونك المفكر الكبير كما يصفونك فلا يمكن ان يوجد ما لا تفهمه حضرتك ولكن لابد ان يكون الموضوع خطأ قرآني تعترض عليه بشدة وهذا لا يعني الا واحد من أمرين لا ثالث لهما

1- إما أن حضرتك لا تؤمن بالقرآن ككتاب مقدس ولذلك تقبل ان يوجد فيه مثل هذه الاخطاء التي يمكن انت كبشر ان تصححها ،
2- واما اذا كنت تؤمن بقدسية القرآن ونسبته الى الله فلابد ان يكون ايمان حضرتك اعمى اذا رأيت انك وأنك مجرد بشر مخلوق عليك ان تراجع الله وتصحح خطأ ما يذكره خالقك في كتابه .وعلى ذلك لا افهم مطلقا صفة المفكر الكبير التي يدعوك البعض بها فلا يوجد في هذا المنطق ثمة علامة على التفكير او التفكر فضلا على وصف صاحبها بالكبير !

نأتي الآن إلى الآية القرآنية وما تشاءون إلا أن يشاء الله والتي جاءت في اكثر من سورة لنرى اذا كان حضرة المفكر الكبير محقا في قوله لا يوجد شيء اسمه وما تشاءون إلا أن يشاء الله لأن للإنسان إرادة حرة وأسأله

إذا كان هناك واحد او بعض الاشخاص يعملون في مؤسسة كبيرة فيها أقسام وفروع ،فهل يجوز لأي واحد فيهم أن يعطي نفسه إ جازة طويلة او قصيرة ،او يغادر العمل متى شاء او ينتقل إلى قسم آخر من أقسام المؤسسة أو فرع آخر ،هل يمكن لعمل مثل هذا ان يستمر ،هذا الوضع لا يمكن وصفه الا انه فوضى تامة لا يستقيم معها مصلحة او تأدية وظيفة ولكن لابد ان تكون هناك ارادة اعلى من كل هذه الارادات تمضي لمن يشاء ما يريد او تمنعه او تعدل طلبه او تؤجله ،إرادة لها نظرة أعلى وأشمل ،لماذا يحفى الناس بين مكتب هذا المدير أو هذا الوزير للحصول على تأشيرة او موافقة بالنقل او إجازة اذا كان لكل انسان ارادة ومشيئة حرة ان يفعل ما يشاء وقتما يشاء كيفما يشاء وبالمثل

هل يمكن لكوكب مثل الارض بها سبعة وثلث مليار انسان بشر ،مخلوق عاقل ان يستمر اذا كان كل انسان الها في نفسه فعال لما يريد ؟مالا يفهمه حضرة المفكر أن

هناك عمق شديد في الآية القرآنية ،عمق تعجز نظرة حضرته السطحية المغرضة ايضا من الوصول إليه

نعم لك إرادة ولن تحاسب الا على ما فعلته وفق ارادتك ،ولكن هذه الارادة بمفردها غير قادرة على تنفيذ ما تريده ،لا بد لإرادة الله ان تمضي لك ما تشاء ان شاءت ان تمضيه او تعرقله او تعدله او تؤجله ،لابد الا يحكم هذا الكون الا مشـــيئة واحدة ،اله واحد هو وحده الفعال لما يريد

يا حضـــرة المفكر نحن لم نخلق الا لهدف واحد عبادة الله ،نحن نعبد الله بتنفيذ اوامره واجتناب نواهيه في كل ما نفعله او حتى نقوله ،نحن خلقنا ليبتلينا الله اي يختبرنا ،الله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ،نحن نبتلي بالخير كما نبتلى بالشر ،نبتلى بالصحة كما نبتلى بالمرض ،نبتلى بالقوة وبالضعف ،بالغنى وبالفقر ،بالمستوى الاجتماعي المرتفع والمنخفض ،بجمال الخلقة او قبحها ،بتيســـير قضـــاء حاجاتنا او عرقلتها ،كل ما يحدث لنا في هذه الدنيا من خير او شر يتطلب استجابة او رد فعل منا اما يرضي الله او يسخطه ،وعلينا ان نفعل ما يرضي الله ليس لهدف دنيوي ولكن ونحن نريد ارضائه ،الله ييسر لكل انسان الطريق الذي اختاره خير يرضي الله ويتعبد به او شر ،لان ارادة الانسان بدون تيسير الله لن تفعل شيئا ،وسأضرب لك امثلة : إنسان أراد أن يقتل إنســـانا آخر ،هذا عمل شـــرير بعيد عن عبادة الله ولكنه عبارة عن ارتكاب معصية ،ولان الله لا يحاسب الناس بعلمه المطلق ولكن بما يقوم به الناس فعلا ،يعني الله سبق لعلمه ان هذا الانسان يريد ان يقتل فهو في علمه قاتل ولكنه لا يحاسبه كقاتل الا بعد ان يرتكب جريمة القتل ،ويوم القيامة تشـــهد عليه يده التي ارتكبت القتل حيث ستتحرر من سيطرة صاحبها عليها ،هذا اولا وثانيا ،رغبة هذا الانسان ان يقتل وارادته التي انعقدت على ارتكاب هذه الجريمة لا يمكن ان تكفي لان تتم جريمة القتل ولكن لابد ان ارادة الله تتفق معها ،تمضيها ،الله ييسر لهذا الانسان ما اختاره، يعمل الخطة التي رسمها ،من يفهم ان مهمة الاله ان يمنع الشر من العالم ويمنع القتل والسرقة فهو لا يفهم ما هو الدين ولماذا خلقنا ،الله يخبرنا في آية قرآنية ونفس وما ســـواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دســـاها ،ان الميل والقدرة على عمل الخير والشر هو الهام في النفس البشرية ،والانسان لن يستطيع ان يعبد الله او يعصيه بعمل الخير او الامتناع عن الشر الا ان كان بمقدوره طاعة الله او معصيته ولكن هذه القدرة لا تعمل الا من خلال ارادة الله

مثال آخر إنسان يريد قضاء مصلحة ما ،الله سبحانه وتعالى يمكن أن يبتليه بقضاء هذه المصلحة ،نعم قضاؤها وتحقيق ما أراد هذا الإنسان هو أبتلاء المفروض ان يشكر الله

من اعماقه على تحقق غرضه ، لا يستخدمه الا فيما يرضي الله ،وعندها ييسر الله لهذا الشخص من يحب الخير وقضاء حوائج الناس فتقضى المصلحة على يده ويثاب ان كان يبتغي مرضاة الله ،او يكون الابتلاء بعدم قضاء المصلحة لحكمة ،ربما يريد الله شيئا آخر خيرا مما يظنه الانسان ،او ربما سبق لعلم الله انه لا يوجد خير فعلا في قضاء هذه المصلحة ،او ان هناك من هو اولى منه ،او ان الله يريد ان يمتحن صبره ورضاه ،هنا يضع الله في طريق هذا الشخص انسان لا يحب الخير ويحب عرقلة مصالح الناس ،فييسر الله له هذا الطريق الذي اختاره ،

يجب ان نعلم ان هناك فارق ضخم بين ما يريده الله وما يرضيه ،لا يحدث ابدا الا ما يريده الله ،ويحقق الله ارادته من خلال ارادة الانسان على يده يحقق منفعة او ضرر ،ولكن الله بالطبع يسمح بما يرضيه وما يسخطه في كل حالة ييسر لكل انسان طريق الطاعة او طريق المعصية الذي اختاره ،الله يقول في القرآن (**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**) [سورة الليل 4 - 10] استخدم القرآن تعبير فسنيسره في كل مرة هذا ما تعنيه عبارة وما تشاءون إلا أن يشاء الله ،مثال من القرآن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة المائدة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [سورة المائدة 94]

الصيد في الإسلام محرم على المحرم ،يقول القرآن : (**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) [سورة المائدة 96]

الله سبحانه وتعالى أيضا يعلم بعلمه اللدني من يخافه بالغيب أي دون أن يراه فيلتزم بأوامره ويبتعد عن كل ما حرم ،ويعلم أيضا من لا يخافه بالغيب ،ولكن الله لا يحكم على عباده من خلال هذا العلم ولكن لابد أن يكون العلم الذي سيحاسب وفقه الناس ،هو علم الواقع هو علم ما سجل عليه من طاعة فعلية أو معصية ،وعلى ذلك فالله سبحانه وتعالى ييسر لكل انسان سلوك الطريق الذي اختاره ،هنا مثلا ،الله يقول انه سيبلو أي يختبر الناس بشيء من الصيد ذكر أنه سيجعله في متناول أيديهم ورماحهم ،هذا هو التيسير ،ليكون في مقدور الطائع الذي يخاف الله في الغيب أن يمتنع عن الصيد مع استطاعته ان يفعل ويكون في مقدور العاصي الذي لا يخاف الله بالغيب ان يخالف الأمر الإلهي فيقوم بالصيد الذي اصبح في مقدوره لأنه في متناول يده

ورمحه ،وقبلها كان ســـبب عدم ارتكاب كل من الذي يخاف الله ومن لا يخافه المعصـــية ان الصـيد لم يكن في متناول ايديهم ورماحهم ،هكذا يسـر الله لكل طرف ان يترجم الايمان بداخله الى عمل حقيقي يحاسب عليه

عندما شـاء من يخاف الله بالغيب أن يطيع الله أمضـت مشـيئة الله مشـيئة هذا الإنسـان ،وهكذا بالنسبة للعاصي الذي لا يخاف الله

لا يوجد أي تعارض بين أن يكون للإنســان إرادة حرة يحاســب عليها وبين أن يخضــع كل ما يحدث في هذا الكون لمشيئة واحدة هي مشيئة الله سبحانه وتعالى ،الله يقول في سورة الإنسان أيضـا **(إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [**سورة الإنسان 29 - 30]

القرآن هنا أكد على حقيقة أن للإنســـان مشـــيئة أو إرادة حرة ولكنها لا تعمل إلا من خلال ارادة الله القيوم المهيمن ، لا يمكن أن يســـير الكون إلا وفق إرادة واحدة ،لا يمكن أن يكون للكون إلا إله واحد هو وحده الفعال لما يريد ،كلام الله عميق حكيم ،لا يفهم إلا بالتدبر والتفكر واحترام القرآن والإيمان بقدسيته وليس من خلال هذا الجهل والتعالم والغرور !.

الفصل الثاني عشر

وأخيرا: بل نحن نحتاج إلى الدين لا إلى العلمانية

العلمانية هي المشكلة والدين هو الحل

لا يوجد أقوى من الدافع الديني الصحيح لعمل كل ما فيه خير هذا العالم الذي نعيش فيه ،الشر والقتل ، والظلم ،والكذب ،والغش ،والخداع والتدليس والاستقواء على الضعفاء ،والتعالي على الآخرين ،هو سمة هذا العالم الذي لا تحكمه سوى الاعتبارات والمصالح الدنيوية التي حتى عندما تتفق مع تعاليم الأديان لا يطبقها أصحابها إلا داخل حدود بلادهم كما أوضحت.

في مدينة صغيرة بالولايات المتحدة اسمها دوفر كان هناك مشكلة كبرى أدت الى التناحر بين الجار وجاره وهي الدعوة لأن تشتمل المناهج الدراسية على نظريات أخرى غير الداروينية التي بها الكثير من الفجوات على الرغم من نضال أصحابها والمروجين لها لتقرير فكرة أنها حقيقة علمية لا يجب أن يدرس علم البيولوجي والفسيولوجي والكيمياء الجزيئية إلا من خلالها ،كان هناك نظرية أخرى يدعو أصحابها الى ان تشتمل عليها المناهج الدراسية وهي نظرية التصميم الذكي التي تعني ان هذه الآليات العشوائية العمياء التي تقوم عليها نظرية التطور لا يمكن ان تنهض تفسيرا لوجود هذا الكون بكل ما فيه من تعقيد بالغ وروعة ،وغائية وهداية الى هذه الغائية ، ولكن كل هذا يتطلب تدبير ذكي مثل كل عمل نعاينه على هذه الارض يتسم بالعمق والتعقيد والابتكار والغائية ، وعلى الرغم من ان اصحاب هذه النظرية قد أكدوا أنه نعم

هذه النظرية ستوفر الدليل على ان هذا الكون من صنع إله قادر عليم ،الا انهم أوضحوا ان التناول سيتم عن طريق تناول علمي منطقي بحت بعيد عن المنظور الديني ،إلا أن المعترضين ادعو ان تدريس هذه النظرية هو عمل سلبي ضد حق التلاميذ الدستوري في فصل الدولة عن الكنيسة وان هذا عودة الى العصور الوسطى ،والحقيقة أنه لو تأملنا لوجدنا ان هذا الفصل قد تم بطريقة ابعد ما تكون عن الصحة او المنطق ،ولكن علاج تطرف باسم الدين بتطرف لا ديني

التشخيص كان من البداية خطأ اطلاق تعبير إقحام الدين في العلم على ما كان يحدث في العصور الوسطى والذي ادى الى اضطهاد العلماء وقتلهم وحرقهم بدعوى تعارض الدين مع العلم كان تشخيصا خاطئا ،ما أصبح يؤمن به الآن الكثير من العلماء الغربيون الذين نشأوا وسط هذه الثقافة الغربية العلمانية هو ان العلم ضرورة للدين وان الدين ضرورة للعلم ،ولكن المشكلة كانت في تدخل الكنيسة وفرض سيطرتها بطريقة خاطئة ،لا يمكن الوصول الى الله عن قناعة وبصيرة ويقين الا من خلال العلم الذي هو كل ما في هذا الكون من معارف تنتمي الى اله خالق ،ولا يمكن ان يكون العلم في احسن حالاته الا في ظل اعتبارات دينية عميقة ،لأن العلم يأتي بالضار والنافع ،وما سببه من كوارث على مستوى الكرة الارضية بل من مخاوف لحدوث المزيد منها لم يأت الا بسبب هذا الفصل الملعون عن الدين ،لا يمكن لإنسان يؤمن ايمانا حقيقيا باله يعلم انه سيقف امامه ليحاسبه على ما قدمت يداه ،على مستوى مثقال الذرة كما يقول القرآن وكما يؤكد المسيح في الاناجيل أن يكون سببا في كل هذا الدمار الذي ادى الى سفك الملايين من الابرياء في انحاء الارض ،لم يكن من الممكن انفاق هذه البلايين من الدولارات في عالم يهلك فيه الآلاف جوعا على انتاج الاسلحة الرهيبة الكيمائية والبيولوجية والتي تؤدى الى الاصابة بعاهات ،وامراض وآلام يعجز الانسان عن تصورها ،في ظل اعتبارات دينية صحيحة كانت البيولوجيا ستستخدم فقط في مقاومة الامراض وعلاجها ،كانت الذرة ستستخدم فقط في الاغراض السلمية ،وكذلك الكيمياء ،لم يكن لدولة قوية مثل امريكا ان تلقي بثقلها في بلد ضعيف مثل فيتنام لتجعله قطعة من الجحيم على الارض ،لأغراض دنيوية بحته بعيدة عن اي اعتبار ديني ،هذا هو العلم العلماني الذي لا يحكمه دين ،المنفصل عن الدين كما يقولون وكذلك تفعل في العراق وافغانستان ،وكذلك فعلت بريطانيا في الهند ومصر وفرنسا في الجزائر وبلجيكا في الكونغو ،تدمير تام واستخدام العلم في اسوأ الاغراض ثم يدعون ان هذا هو التقدم و هذه هي حقوق الانسان الذي كرمته جميع الاديان والذي جعلته الدارونية التي يعبدونها مجرد الحلقة الأخيرة في تطور الكائنات عن كائن بدائي واحد او عدد قليل منها ولذلك فليس له وضع خاص أو أفضلية .

هذا العالم الذي نعيش فيه ،والذي نعاني من كم هو مليء بالصراع والحروب ،واستخدام العلم الذي يدمر في لحظات ما يعمره في قرون ،هو نتاج العلمانية ،اللحظات التي ينفصل فيها

الإنســـان عن خالقه هي اللحظات التي ترتكب فيها أبشـــع الجرائم على المســـتوى الفردي والجماعي ،ولكن لا ســـبيل لوجود مثل هذه المدينة الفاضـــلة التي تحكمها فقط المعايير الدينية وفكرة ان هذا الكون هو مجرد معبر الى حياة خالدة تتوقف طبيعتها على ايماننا بالله الخالق وتأدية مهمة العبادة التي ما خلقنا إلا من أجلها ،لا ســـبيل طالما ان هناك من يحكمهم الهوي فيروجون لفكرة ان هذه الحياة التي نحياها هي الهدف النهائي وعلى ذلك فهم يقاتلون بأنيابهم وأظافرهم لإعلاء هذه المقاييس العلمانية

الحقيقة انه على عكس ما يروج د. خالد منتصـــر الدين فطرة والعلمانية ضـــرورة ،نحن نحتاج الى الدين لننعم ليس بخير الآخرة فقط ولكن خير الدنيا لن يتحقق الا في ظل اعتبارات دينية ،صحيحة ،هذا الدين المشوش الذي لا يتخذ د. خالد سواه عندما يقارن بين الدين والعلمانية هو ضـحية العلمانية ،نتاجها ،نتاج وطن تسـيطر عليه فئة قليلة من العلمانيين يحتلون كل المواقع المؤثرة على فكر العامة ،الاعلام مرئي ومسـموع ومقروء وانظروا الى ما اصـبح الآن عرفا في الصـحف وهو ان حرية الكلمة تعني قصـرا حرية الهجوم على القرآن ،وتوجيهات الدين والله نفســه احيانا ،انظروا الى الصــحف والقنوات التليفزيونية التي تفتح صــدرها لكل جاهل دينيا يســهب في نقد والتعليق على آيات القرآن نفســها والازهر اذا رد يرد على اســتحياء لان هؤلاء قد القوا في روع الجميع ان الدين وتعاليمه مجرد تجمد وتحجر والقرآن الذي انزل منذ اربعة عشر قرنا المفروض اننا تجاوزنا ما فيه ، وعلى ذلك على كل من يريد أن يثبت مجاراته للعصـر أن يسـاير الركب ! ثم هذه المواقع السـياسـية والتثقيفية ويكفي ان السـيد وزير الثقافة قد اعلنها صـــراحة مصـــر دولة علمانية وعلى ذلك فلا عجب ان نجد كل هذا الجهل الديني وبعد الناس عن الفهم الحقيقي له ،اين يتعلم الانسـان دينه ،في المدارس التي تقلص فيها منهج التربية الدينية كثيرا ،في البرامج الدينية المتراجعة امام سيل المسلسلات ،وبرامج التوك شو التي غالبا ما يكون مقدميها والغالبية العظمى من الضـــيوف من هؤلاء العلمانيين الذين يطلقون عليهم افتراء على العامة النخبة المثقفة

يا دكتور خالد نحن نحتاج الى التطهر من دنس العلمانية الذي اصـــاب كل مؤســـســـات الدولة ،نحتاج الى الدين في السياسة حتى لا تكون عبارة عن الاعيب واكاذيب وخداع وفي الاقتصـاد حتى ينظف ويتطهر ،ويكون اقتصـــاد اخلاقي يقوم على مبـادئ القرآن الكريمـة ،نحتـاج الى تكثيف دروس الدين في مدارســنا وليس تقليصــها ،ليعرف كل انســان كيف يتعامل مع الآخر ارقى معاملة فكلما ازداد اتباعنا لتعاليم الدين كلما ازددنا رقيا ،ليعرف الانســـان القوى كيف يتعامل مع الضـعيف وكيف يعطي كل انسـان حق الآخر عنده ،وان الدنيا ليسـت كما تصـورها المسلسـلات في ظل اعلام علماني هي نصـب وخداع ومحاولة كسـب المال بأي طريق وانفاقه على الملذات ،نحتاج الى الدين لنعمل ونتعلم ،فالعلم فريضـــة والعمل عبادة ،نحتاج الى الدين ليعلم التلميذ كيف يحترم اباه وامه ومعلمه ،وكيف يفعل كل ما يفعل وليس في ذهنة الا ابتغاء

مرضاة الله ،نحتاج الى الدين لنعلم انه ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم انه جائع ، وانه انا يعني الرسول عليه الصلاة والسلام وكافل اليتيم في الجنة هكذا كإصبعين متلاصقين ،نحتاج الى الدين لنعلم انه من غش فليس منا بدلا من هذا الغش الذي اصبح متفشيا كالطاعون في كل شيء التجارة والصناعة ،اما في التعليم فحدث ولا حرج حتى امتحانات الثانوية العامة تعاني من التسريب ، نحتاج الى الدين لنشعر بالآخر ،وان الله يكون في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه ،نحتاج الى الدين لنعلم ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه ، لأنه سيقف أمام خالقه ويحاسبه على الامانة التي حملها له كيف أداها، نحتاج الى الدين لنعلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ،نحتاج الى الدين لنعلم انه من فرج عن مسلم كربة من كربات الدنيا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، نحتاج الى الدين لنتعلم ادب الاستئذان قبل الدخول على الناس حتى لا نكشف ما لايريدون اعيننا ان تقع عليه ، نحتاج الى الدين لنعلم ان هذه الدنيا متاع وانها زائلة لا محالة وهو امر على الرغم من الجميع يعايشونه كواقع الا انهم يغفلون عنه في تصرفاتهم عندما تحكمها الدوافع الدنيوية نحتاج الى الدين لنعلم كيف ان كل راع مسئول عن رعيته ،نحتاج الى الدين لنعتصم بحبل الله جميعا ولا نتفرق ،نحتاج الى الدين لنعلم ان القرآن يأمرنا ان نؤدي الأمانات الى اهلها وان نحكم بين الناس بالعدل ،وأن حتى من يختلفون معنا في الدين ولو كانوا كفارا لا يؤمنون بالله طالما لم يترجموا كفرهم الى عمل عدائي ضدنا علينا ان نعاملهم بالبر وهو اسم جامع لكل معاني الخير والقسط الذي هو العدل ،وان نفي بعهودنا ،اليس هذا وغيره هو كلام القرآن وتعاليمه البالغة الرقي والبالغة الوضوح وانه لا مجال ان يفهمها كل انسان كما يشاء كما يروج الدكتور خالد امعانا في تغييب العامة دينيا ،لماذا تنسب كل هذا الى علمانية الغرب اليس هذا هو الاسلام الذي تحدث عنه شيخك محمد عبده والذي سيبقى اسلاما ولو صدر من غير مسلمين ،اما ان كل ما تعرفه من الدين هو ما فعله المنصور مع ابن المقفع ،او ما تنسبه من صلاح الدين الى السهروردي والذي تتنبأ ان يكون حالنا اذا حكمنا الدين ،اين الدين هنا ،اتمنى واقول اتمنى ولا اقول آمل لأن هذا الأمر يبدو بعيد المنال أن تحكم العقل والعدل وتبتعد انت وحزبك الذي يصفق لكل مقالة تكتبها ولا تفرغ قريحته من ابداع غيرها تبتعدوا عن الهوى ،لان هناك في النهاية حقيقة واحدة ستفرض نفسها على الجميع ،حقيقة ثابتة راسخة لن تتغير أو تتبدل ولن تتأثر بعدد الذين يعتنقونها ،أو عدد الذين يرفضونها تحكيما لهوى النفوس ومن يغفل عن هذه الفكرة فهو انسان يعاني من الغيبوبة التامة الحقيقية .